

موسوعة النظم الإسلامية

الكتاب الرابع

نظام الإسلام

في

الدعوة إلى الله تعالى

تأليف

الأستاذ الدكتور

أحمد أحمد غلوش

عميد كلية الدعوة الإسلامية الأسبق

جامعة الأزهر

الناشر مؤسسة الرسالة

نظام الإسلام في الدعوة إلى الله تعالى

الطبعة الأولى

١٤٣٨ هـ - ٢٠١٧ م

﴿ حقوق الطبع محفوظة للمؤلف ﴾

الناشر مؤسسة الرسالة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، سيدنا محمد ﷺ، وعلى آله وصحبه أجمعين .

وبعد ؛؛؛؛؛

فقد قضى الله تعالى بإيجاد مخلوق يعمر الأرض بمنهجه سبحانه وتعالى وسط عوالم عديدة سخرها الله تعالى لخدمة هذا المخلوق.

وبدأ الخلق بإنسان واحد هو آدم ﷺ الذي صنعه الملائكة بأمر الله من الطين، ونفخ الله تعالى فيه من روحه، وأخرج منه زوجته حواء، وبهما تكاثرت الذرية، وامتألت الأرض بالناس .

ومع وجود آدم ﷺ وجد إبليس اللعين، وقد أنظره الله تعالى وذريته لغواية الأدميين، وإضلالهم ليظهر الخبيث من الطيب .

ومع عالمي الأنس والجن كان الملائكة، وهم لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴿١﴾ .

وأخذت الدنيا مسيرتها بقدر الله تعالى، واستمر الوحي ينزل للناس في سائر الأمم، ووجد في كل أمة رسول، واستمر الشيطان في وساوسه وإغوائه. وختم الله تعالى الرسل والرسالات بالإسلام، وبمحمد ﷺ، وتحددت معالم الحق، وظهرت علامات الباطل في حركة الحياة، وصار الإسلام هو المنهج الذي اختاره الله تعالى للناس ، فأمرهم بالإيمان به ، والالتزام بشريعته، والرجوع إلى مصادره الثابتة، والتمسك بالتطبيق العملي الذي كان عليه رسول الله ﷺ، وسلف الأمة، فهم القادة والقذوة، وهم رواد الاتصال بالله ﷻ.

(١) سورة التحريم الآية : ٦ .

وكان الأمل أن يدخل الجميع في دين الإسلام ، فقد صدق الإسلام
بجميع الرسل، وأكد أصول الأديان كلها، وحافظ على حقوق الإنسان، ونظم
كافة جوانب الحياة، وقدر الله تعالى له الثبات والدوام بثبوت مصادره ،
وصلاحيته لكل زمان ومكان .

لكن الواقع غير هذا الأمل .

فمن اللحظة الأولى لظهور الإسلام برز أعداؤه ، وأخذوا يقاومونه بكل
ما أوتوا من تشكيك قولي، وصد عملي، واضطهاد عام لكل من يدخل في
الإسلام ، ويهتدي بهدي الله تعالى .

وقام رسول الله ﷺ بتبليغ الإسلام، وأوصله إلى كل مكان في العالم
بواسطة الرسائل، والدعاة، واستقبال الوفود، والصدع بكلمة الحق، والتذكير
الدائم بعبودية الإنسان لله ﷻ، وأمر المسلمين من بعده بمواصلة الدعوة إلى
دين الله تعالى وفق نظام يوضح كافة جوانب الدعوة التي أوجبها الله تعالى
عليهم، وعلى من يأتي بعدهم إلى يوم القيامة .

والتزم الصحابة والتابعون وخلفهم بالدعوة على منهج رسول الله ﷺ ،
وتركوا تراثا لمن بعدهم من المسلمين، يتلمسون خطاه، ويهتدون بهديه ،
وصار واجبا على المسلمين في كل عصر أن يأخذوا الإسلام من مصادره ،
ويأخذوا نظام الدعوة والاتصال من الوحي المنزل على رسول الله ﷺ ،
وبخاصة ما فيه من مناهج الرسل - عليهم السلام - مع أقوامهم، وتطبيقات
رسول الله ﷺ العملية، وسيرة السلف الصالح .

إن الإسلام والدعوة إليه أمران متلازمان، لأن الإسلام هو دين الله
الثابت بمصادره، والدعوة إليه نظام ثابت لتبليغ الوحي للمدعوين من خلال
منهجية توضح القضية في ثوب جميل ملائم للوقت، ومحبيب للناس.

إن نظام الدعوة إلى الإسلام يرتبط ارتباطاً عضوياً بالإسلام نفسه،
فموضوع التبليغ والإرشاد هو الإسلام الذي يعمل المنهج على حمله، وإبلاغه
وتذكير المؤمنين به، مع التحذير من كيد أعدائه، وصد الناس عنه .

ومن توجيهات القرآن الكريم، والسنة النبوية وتطبيقات السلف الصالح
اتضح نظام الدعوة إلى الله تعالى، وتم التعريف بالإسلام، وبهذا النظام
ظهرت أمة تؤمن بدين الله، وتدعو إليه وفق خطة محكمة، صالحة للتطبيق
في كل زمان ومكان.

وفي العصر الحديث تكالب خصوم الإسلام عليه، وأخذوا في تشويه
أحكامه، وإقلاق شأن متبعيه، وصد الناس عنه بالمزاعم الكاذبة، والهجمات
المنتابذة، وصرف الناس عنه بكثير من الصوارف المادية، والمعنوية،
والتاريخية، وبكل ما يستطيعون مستفيدين بالوضع المزري الذي وصل إليه
حال المسلمين، حيث الضعف المادي والجهل الديني ، والانحطاط في الخلق
والسلوك، والبعد عن تعاليم الإسلام .

إن عالم اليوم يعيش عداوة أخطر على المسلمين من الجاهلية الأولى،
لأن الخصوم اليوم تسلحوا بالثقافة الفكرية، والعلوم التجريبية، وملكوا المال
والقوة، وتصوروا أنفسهم قادرين على كل شيء بالعلم، واشتدت عداوتهم
للإسلام والمسلمين

ولذلك

وجب على المسلمين تدارك الأمر، والعودة إلى دينهم بصدق،
والإخلاص في طاعتهم لله تعالى بدقة، والاهتمام بكافة المعارف وبخاصة
تلك التي مكنت لأعدائهم، وأن يعمرروا الأرض بالزراعة، والصناعة، وأن
يجتهدوا في صناعة القوة، ولا يتكاسلوا ويقعدوا، ... وعليهم أن يهتموا بمعرفة
دينهم، والتمسك بتعاليمه، وإظهار محاسنه، والدفاع عنه، ...

وعلى المسلمين أن يملكو أسباب القوة المادية، لأن من يمد يده لغيره لا يستطيع مجادلته .

وواجب على العلماء مواصلة الدعوة إلى الإسلام، وهدم الزيوف المصنوعة، ورد الأكاذيب الموضوعة ، وإبلاغ الإسلام للكافة على وجهه الصحيح بالحكمة التامة، والحسن في الحوار والجدل، والقوة في الإرشاد والوعظ، وأن يكونوا قدوة وأسوة فيما يدعون غيرهم إليه .

وصار واجبا على جميع المسلمين الاستفادة بكافة أساليب الاتصال، وكل صوره، ومخترعاته، مثل الكلمات المنطوقة، والصور المنشورة، والأقوال المرئية والمذاعة، والرسائل المتعددة، ... وغيرها، لأن " الحكمة ضالة المؤمن أنى وجدها عمل بها".

ومن إعجاز القرآن الكريم أنه أمر بالدعوة، وبين الملامح الرئيسية لها، فقال تعالى:

- ﴿ فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكِّرٌ ۖ لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُصَيِّرٍ ۝ ﴾ (١) .
- ﴿ ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ ۚ وَجَدِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ۝ ﴾ (٢)
- ﴿ قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي ۖ وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ۝ ﴾ (٣) .
- ﴿ لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ ۚ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ ۚ ﴾ (٤) .

(١) سورة الغاشية الآيتين : ٢١، ٢٢ .

(٢) سورة النحل الآية : ١٢٥ .

(٣) سورة يوسف الآية : ١٠٨ .

(٤) سورة البقرة الآية : ٢٥٦ .

إن على الدعوة الاستفادة بالوسائل العلمية لنشر الإسلام، وتبليغه للناس، ورد الأكاذيب على قائلها، لأن الحديد لا يفله إلا الحديد، والحق يزهق الباطل، وضوء الشمس يزيل غبش الظلام .

وفي هذا الكتاب سأحاول - إن شاء الله تعالى - أن أحدد المعالم الرئيسية لنظام الدعوة إلى الله تعالى في العصر الحديث وهي على النحو التالي :-

١- استنباط نظام الدعوة من المصادر الدينية، ومناهج الرسل، والتطبيقات الدعوية في العصر الأول، وإرشادات السلف الصالح.

٢- تتبع التطور التاريخي لعملية الدعوة، لبيان العوائق التي عرقلت حركتها، ومنعت الدعوة من الوصول إلى العديد من أماكن العالم قديماً وحديثاً.

٣- بيان العوامل التي تحقق نجاح الدعوة في العصر الحديث، وطرق إيصال الإسلام بحقيقته وجوهره إلى الناس من خلال النظام المستمد من المصادر الإسلامية، وعمل سلف الأمة، وبذلك تتضح القضية، ويتم إعداد الدعوة، ويسهل التواصل مع الناس بأي وسيلة معاصرة توضح الإسلام، وتنتشر حقائقه .

٤- بيان حاجة الدعوة إلى هيئات مسئولة في العالم الإسلامي تشرف على تطبيق النظام، ومتابعته، ومعرفة إيجابياته، وسلبياته خلال حركته مع الناس لتنمية الإيجابيات، والتخلص من السلبيات .

٥- توضيح المنهج العملي في نظام الدعوة، كما نراه في مصادر الإسلام وتاريخ المسلمين، فلقد قام الدعوة والعلماء ومعهم أولو الأمر بالدعوة إلى الله في بيئة تهيأت لتقبل الحق، ورفض الباطل، والتعاون على الخير، وبذلك اتسعت الدعوة، وشملت كافة طبقات المجتمع من عامة وخاصة، ورجال ونساء، وأطفال وشباب وشيوخ،

وعمت جميع الأماكن، في البيت، وفي المصنع، والحقل، والمتجر، وفي دور العبادة، وأثناء التعليم وبعد العمل، مع مراعاة واقع التنوع البشري لأن ما يؤثر في جماعة قد لا يؤثر في غيرها، ولذلك قالوا: لكل وقت آذان، ولكل حدث حديث، ولكل كلمة مع صاحبها مقام .

٦- تعريف المسلمين بالإسلام نظريا وعمليا ليقفوا على وجه الخير فيه، ومن المعلوم أن من جهل شيئا عاداه .

وحال المسلمين اليوم مع الإسلام مزر، فأغلبهم يجهل الإسلام ولا يعرف منه إلا قشورا بسيطة، وهذا الحال مكن غير العارف بالإسلام أن يتكلم فيه، ويفتي في أحكامه، ويهرف بما لا يعرف .

٧- إبراز العوائق التي تقف في وجه الدعوة وتأثيرها السيئ في عملية الدعوة، وبيان ما فيها من مسالب وسوءات، وطرق التغلب عليها بطريقة علمية صحيحة لتسلم عملية الدعوة من الغبش، ويصل الإسلام للناس على وجهه الصحيح، ويتميز الخبيث من الطيب .

إن الدعوة إلى الإسلام واجب على كل مسلم على أن يقوم بها الجميع كل على قدر استطاعته، وهي أشد وجوبا في العصر الحديث أمام كثرة المذاهب، وتعدد الآراء، وانتشار المفاهيم، وسهولة الاتصال، وبخاصة أن أصحاب المذاهب الأخرى يتحدثون في مواجهة الإسلام، ويتناصرون لقهر المسلمين مهما كان الاختلاف المذهبي بينهم .

وبعون الله تعالى سيقوم الكتاب على محورين متلازمين :-

المحور الأول : بيان حاجة الناس جميعا قديما وحديثا إلى دين الله ﷻ، وضرورة تبليغه، والدعوة إليه، ليصل الناس إلى الوجه الحسن الذي يليق بآدميتهم وإنسانيتهم .

المحور الثاني: توضيح أركان نظرية الدعوة التي يتم بها تبليغ الإسلام، وهي الأركان التي يتكون منها النظام الإسلامي في الدعوة إلى الله تعالى .
وسبب تلازم المحورين أن المحور الأول يدور حول الواقع الذي كان عليه الناس عند مجيء الإسلام وقبل مجيئه، وواقعهم في العصر الحديث، لإظهار أهمية دعوتهم إلى الإسلام .

وهذا المحور يحدد الدواء والعلاج المناسب له، ليتخلص الناس من الضلال الذي هم فيه، ومن لوثات المادية التي وقعوا فيها .

وفي المحور الثاني يتم بيان المنهج الأمثل الذي يصل به الإسلام للناس بما يحتويه من علم نافع ، وخلق كريم، وتقدير لسائر الرسالات التي أنزلها الله تعالى للناس .

وسياتي - بإذن الله تعالى - كل محور في باب، وبذلك يعد الباب الأول تمهيدا ضروريا للباب الثاني .

وأملني أن أقدم لكل مسلم المعرفة الحقة، وأخاطب عقله، لننهض سويا في خدمة الإسلام، وإيجاد الأمة المسلمة على نحو وجودها أول مرة .
إن الإسلام أمانة في عنق كل مسلم رجلا كان أو امرأة ، وسوف يسأل الله تعالى كل إنسان عن عمره فيم أفناه، وعن شبابه فيم أبلاه.

أسأل الله تعالى :

- أن يوفقني للصواب في هذا العمل الحيوي الذي يهم كل مسلم ومسلمة .

- وأن يعينني في إخراجه على نحو ما أتمنى ﴿ إِن أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ ﴾ (١) .

- وأن يلهم المسلمين الرشد والوعي ليعودوا إلى دينهم عودا حميدا .
 - وأن يرزقني القوة ما أحياني، وأن يجعل عقلي، وسمعي، وبصري وقوتي الوارثة لي.
 - وأن يصرف الشيطان ووساوسه ، وإغوائاته عني في نومي ويقظتي.
 - وأن يكرم أبي وأمي برحمات سابغة من عنده .
 - وأن يجعل قبرهما روضة من رياض الجنة .
 - وأن يبذل سيئاتهم حسنات، ويضاعف لهم الصالحات .
 - وأن يغفر لي أي تقصير أو نسيان في حقهما .
 - وأن يكرمهما بصحبة النبيين والصالحين .
 - وأن يصلح أحوالي وأحوال أبنائي وذريتي .
 - وأن يجمعني بأبواي وأولادي في جنات النعيم .
 - وأن يكرمني بصحبة نبينا محمد ﷺ في الآخرة ، فهذا منتهى أمني .
 - وأن يحقق رجائي، ويقبل توبتي، ويغفر ذنبي فهو الغفور الرحيم .
- وأسأل الله تعالى أن يفتح أمامي مغاليق الفكر، ويهديني سواء السبيل، وهو حسبي ونعم الوكيل .

أ . د : أحمد أحمد غلوش

أول المحرم ١٤٣٩ هـ } التجمع الخامس نرجس ٤ في
٢١ سبتمبر ٢٠١٧ م }

الباب الأول

المسار الدعوي

في الحياة الإنسانية

المسار الدعوي في الحياة الإنسانية

أوجد الله تعالى الكائنات كما هو مقدر منذ الأزل، وهدى كل مخلوق لما خلق له، ونظم الوجود كله بحكمة، ودقة، وجمال.

ووضع الله تعالى الإنسان سيدا في هذا الكون، فرزقه العقل، والفهم، والإدراك، وعلمه الفكر، والسعي، وعرفه مناهج العمل، ووسائل التحكم في كل ما يحتاج إليه في الأرض أو في السماء، يقول الله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْوُجُهِ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ۝ ﴾ (١).

وأكرم الله تعالى الناس، ولم يتركهم لعقلهم المحدود القاصر، فأرسل لكل أمة رسولا، يقول الله تعالى : ﴿ وَإِنْ مِنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ ۝ ﴾ (٢). وكان الرسول يأتي لأمته وقد فسدت عقيدتها، وضلت أعمالها، فيدعوها إلى العقيدة الواحدة، ويصلح أمرها بشريعة تناسب أحوالها، وحياتها .
وختم الله تعالى الرسالات برسالة محمد ﷺ الذي جعلها عامة لكل الناس، ودائمة إلى يوم القيامة .

ومن الملاحظ أن الناس في كل عصر كانوا في حاجة إلى دين الله تعالى ليعودوا إلى العقيدة الصحيحة، ويصلحوا ما هم فيه من فساد .
ويلحظ كذلك أن الدين مطلقا محتاج إلى من يعلمه، ويؤمن به، ويطبقه، ويدعو الآخرين إليه، لأنه مفهوم عقلي مُنزل، ومن المعلوم أن الفكرة بصورة عامة تحتاج إلى من يتقنها، ويؤمن بها، ويحملها، ويوصلها للناس، ويدعوهم إلى العلم بها، والعمل بما فيها، وهذا هو المراد بالدعوة إلى الله تعالى .

(١) سورة الإسراء الآية : ٧٠ .

(٢) سورة فاطر الآية : ٢٤ .

وفي هذا الباب سأتناول بالدراسة موضوعين أساسيين يؤكدان ضرورة الدعوة إلى الإسلام بصورة جادة في إطار النظرية التي يتضمنها نظام الإسلام في الدعوة، حيث سأذكر بإيجاز مسار الدعوة إلى دين الله تعالى كما ظهر على لسان رسل الله - عليهم السلام - وهم يدعون أقوامهم إلى الله تعالى، مع بيان ضرورة الدعوة إلى الله تعالى في كل زمان لإصلاح أحوال الناس.

وسيأتي هذا الباب - بعون الله تعالى - مكونا من ثلاثة فصول هي : -
الفصل الأول: سيكون عن تأملات في الوجود كما خلقه الله تعالى، وكما وضع فيه الدين منذ اللحظة الأولى حيث كان آدم عليه السلام هو أبو البشر، وكان منهجه في دعوة بنيهِ وذريته، وهو أول نبي بعثه الله تعالى .

الفصل الثاني: وسيتضمن حاجة الوجود إلى دين الله تعالى لينتظم الناس في الأمم كلها على منهج الله تعالى، وقد حقق الله تعالى للناس هذه الحاجة، فبعث في كل أمة رسولا، وختم رسالاته برسالة سيدنا محمد صلوات الله عليه متميزة بالعالمية والدوام إلى يوم القيامة .

الفصل الثالث: ويشمل نظرة موجزة للدعوة إلى الإسلام في العصر الأول، حيث كان التأسيس والتأصيل، وفي العصر الحديث حيث الحاجة، وضرورة الدعوة .

الفصل الأول

الوجود كله خلق الله تعالى

الوجود كله خلق الله تعالى

الدعوة إلى الله تعالى نظام كامل، يمثل نظرية شاملة تحدد جوانب عملية اتصالية، لتبليغ رسالات الله تعالى للناس كما نزل الوحي بها على رسل الله جميعا، فلقد كانوا عليهم السلام يسلكون منهاجاً دعوياً واحداً ذا هيكل صوري واحد هو منهاج الهدى، وعنه يقول الله ﷻ: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهِدَّتْهُمْ آفَتُهُ﴾ (١).

فقد هدى الله تعالى رسله بالوحي، وأرشدتهم إلى الصراط المستقيم، وعرفهم بمنهاج الإصلاح مستدلاً بالأوضاع الحياتية التي كانوا عليها. وأخذ الرسل جميعاً يدعون إلى عقيدة تجمع الناس على عبادة الله وحده، وشريعة تصلح حياة الناس، وتأخذهم إلى الله تعالى بالحكمة، ومكارم الأخلاق.

واتحد الرسل جميعاً في الدعوة لعقيدة واحدة وهي التي وصاهم الله بها، يقول الله ﷻ: ﴿شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ﴾ (٢). وتبعاً لحال كل أمة تنوعت البراهين، وتعددت الشرائع، يقول الله تعالى: ﴿لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾ (٣).

وكان كل رسول يصدق بالرسالات التي سبقته، ويصحح العوج الذي حدث فيها، ويوضح الجديد الذي تحتاج إليه أمته، ويمهد للرسالة التي تأتي بعده، يقول الله ﷻ: ﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَبْنِي إِسْرَءِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقًا لِمَا

(١) سورة الأنعام الآية : ٩٠ .

(٢) سورة الشورى الآية : ١٣ .

(٣) سورة المائدة الآية : ٤٨ .

يَبْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْبَةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ ﴿١﴾ .

وختم الله تعالى الأديان كلها بدين شامل لكل الرسالات، جامع للصلاحيات المطلقة للناس جميعا في كل مكان وزمان، هو دين الإسلام الذي رضي به الله تعالى للناس، وأكمّله وأتمّته، وحفظ مصادره، وحث على مواصلة الدعوة إليه في إطار نظرية متكاملة يلتزم بها المسلمون جميعا، يقول الله تعالى : ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتِمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيْتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ (٢) .

ووجهني الله تعالى إلى الكتابة في النظم الإسلامية، ومنها " نظام الإسلام في الدعوة إلى الله تعالى " فقصدت الوحي المنزل راجيا استنباط نظرية في الدعوة مستمدة من مصادر الإسلام، ومعتمدة على عصر السلف الصالح، حيث ساد الوحي حياة الناس، وعاشوا به وله مخلصين .
وكما درج عليه علماء الأمة ومفكروها العدول الذين حملوا الأمانة، ووثقوها بالأدلة، وبلغوها للناس بمنهج استنبطوه من الوحي المنزل على رسل الله أجمعين، وتركوه فينا تراثا نهتدي بهداه، وننهل من معينه، ونقتدي بهم في منهجية عملية واضحة .

وفي هذا الفصل سأحاول توضيح نظرية الدعوة إلى الله تعالى عسى أن يوضع اسمي بجوار هؤلاء العلماء في الدنيا، وأكون في زميرهم في جنات النعيم .

وأرى أن هذه الدراسة تحتاج إلى النظر في الكون الإنساني منذ وجوده لبيان منطلق الدعوة، ومجال حركتها، ومدى حاجة الناس إليها.

وسوف يتناول هذا الفصل - بإذن الله تعالى - المباحث التالية : -

(١) سورة الصف الآية : ٦ .

(٢) سورة المائدة الآية : ٣ .

المبحث الأول الوجود كما صنعه الله تعالى

كان الله تعالى ولا شيء معه متصفا بكل كمال يليق به ، وأراد ﷻ إيجاد الكون بسمواته، وأرضه ممتلئاً بمخلوقات عديدة ، فأوجد الطير بكل صنوفها وفصائلها، وأوجد البحر بحياته، وأسماكه، وأوجد الأرض بسهولها وجبالها، وأنهارها، ووديانها، ... إلى آخر ما أراد الله تعالى من مخلوقات .
وقضى الله تعالى بأن يخلق في هذا الكون إنسانا يخلفه في الأرض، يتميز بالعقل، والفهم، والإدراك، والتصور، والحكم، والإرادة، والاختيار، وربط الأسباب بالمسببات، ومعرفة الحقائق التي يمتلئ بها كون الله المخلوق .

قضى الله تعالى بوجود هذا الإنسان متصفا بالمزايا التي قدرها له، فأمر الملائكة أن تصنع من الطين صورة معينة ، نفخ فيها من روحه، فتحركت هذه الصورة، وظهرت قواها الحيوية، وسماها الله تعالى آدم، وأمر الملائكة بتعظيمه والسجود له، يقول الله تعالى : ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَلِيقُ بَشَرًا مِّن صَلَاسِلٍ مِّنْ حَمَلٍ مَّسْنُونٍ ١٨ فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ ١٩ فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ٢٠ ﴾ (١) ..

ولما تساءلت الملائكة عن سبب تفضيل هذا المخلوق الجديد وجعله الخليفة في الأرض، عرفهم الله تعالى بما تميز به من عقل، وإدراك، وفهم وإرادة وبين سبحانه لهم أن آدم ﷺ هو الخليفة في الأرض، لما تميز به، وأظهر لهم هذه الحقيقة بأن: ﴿ قَالَ إِنِّي أَنْعَلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ٢١ وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ٢٢ قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ٢٣ قَالَ يَتَّكِمُ الَّذِينَ لَمْ يُبَيِّنْ لَهُمْ لِيَسْتَمِيعَ قَوْلًا

(١) سورة الحجر الآيات من : ٢٨ : ٣٠ .

أَنبَأَهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَّكُمْ إِنِّي أَنَا غَيْبُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ ﴿٣٣﴾ ﴿١﴾ .

وأبى إبليس أن يسجد لآدم ﷺ، وخالف الملائكة ﴿٣٣﴾ فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ﴿٣٤﴾ إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى أَنْ يَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ ﴿٣٥﴾ ﴿٢﴾، واستعمل إبليس عقله القاصر أمام علم الله المحيط، و﴿٣٤﴾ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ ﴿٣٥﴾ ﴿٣﴾ وبدأت العداوة بين الإنسان العابد المطيع وبين الشيطان المتمرد اللئيم من هذه اللحظة.

طلب إبليس من الله تعالى أن يبقيه في الأرض بين آدميين عدوا لهم، ليغويهم، ويوسوس لهم، ويزين الفساد، والضلال، والكفر، والفسق أمامهم، لإظهار حقائقهم، فاستجاب الله ﷻ له، وأبقاه بين أبناء آدم ﷻ ليظهر منهم الصادق من الكاذب، والمؤمن من الكافر، ويروا حقيقة ما هم فيه، ويصدقوا بوعد الله ﷻ الذي قدر الجنة للمؤمنين، وأعد النار للعصاة الضالين .

وعرف الله تعالى الناس على لسان آدم ﷻ ، وعلى ألسنة جميع الرسل - عليهم السلام - بعداوة إبليس وذريته لهم، ووضح لهم طرقهم في الدس والإغواء، والإضلال، وعرفهم بكيفية النجاة من خداعهم ومكرهم ، ليأخذوا حذرهم، ويؤدوا للخلافة حقها، ويستمروا عابدين لله تعالى بالمنهج الذي سيكون فيهم.

وامتلأت الدنيا بمخلوقات الله تعالى، وتحددت معالم الوجود، وأهمها :
أولاً :

ظهر آدم وبنوه في الأرض حاملين دين الله تعالى الذي جاء به أبوهم بعد

(١) سورة البقرة الآيات من : ٣٠ : ٣٣ .

(٢) سورة الحجر الآيتين ٣٠ ، ٣١ .

(٣) سورة الأعراف الآية : ١٢ .

أن أخرجهم الله تعالى وزوجته من الجنة، وأمره بالسعي في الأرض، وكلفه باتباع الدين الذي سيوحى إليه به ، فهو أساس الحياة في الدنيا ، وعليه يكون الحساب في الآخرة ، وذلك في قوله تعالى : ﴿ قُلْنَا اهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعًا فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنْ تَبَعَ هَذَا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ (١) وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾ (٢) .

وفي قوله ﷺ : ﴿ قَالَ اهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعًا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنْ اتَّبَعَ هَذَا فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى ﴾ (٣) وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ أَعْمَى ﴾ (٤) .

والآيات تدل على نزول هدي الله تعالى إلى آدم عليه السلام ليبلغه لأبنائه وذريته، حتى يستقيموا على الحق، ويعيشوا مع أسباب الفوز وإرضاء الله ﷻ، ويتركوا عوامل الهوان والضياع في الدنيا وفي الآخرة .

وهكذا

وجد الإنسان، وأخذ آدم وبنوه يعملون بشرع الله تعالى، ويلتزمون بدينه، ويعبدون الله وحده طوال مدة بلغت عشرة قرون كما جاء في الحديث الذي رواه ابن حبان في صحيحه عن أبي أمامة الباهلي رضي الله عنه ، وفيه يقول :
(إن رجلا قال : يا رسول الله أنبي كان آدم ؟)

قال ﷺ : " نعم ، مكلم " .

قال : فكم كان بينه وبين نوح ؟

قال ﷺ : " عشرة قرون) (٣) .

(١) سورة البقرة الآيتين : ٣٨ ، ٣٩ .

(٢) سورة طه الآيتين : ١٢٣ ، ١٢٤ .

(٣) صحيح ابن حبان - كتاب التاريخ، ذكر الإخبار عما كان بين آدم ونوح - حديث : ٦٢٨١ .

وعن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: (كان بين آدم، ونوح عشرة قرون كلهم على شريعة من الحق ، فلما اختلفوا بعث الله النبيين والمرسلين، وأنزل كتابه فكانوا أمة واحدة) (١) .

وعاش أبناء آدم عليه السلام في الأرض، وأخذوا ينتشرون فيها، وتوزعوا إلى قبائل كثيرة، وشعوب عديدة، ومن خلال نشاطهم وحياتهم ظهرت ملامح الإنسان، وبانت خصائصه العقلية، والنفسية، واتضحت موارثه الثابتة والمتغيرة، وانكشف موقفه من الوحي المنزل، ومن ضلالات إبليس ووساوسه ومع مرور الزمن تنوع الناس، وصاروا قبائل وشعوبا ، وأمما، وبعث الله تعالى رسله في الأمم كلها دعاء بوحى الله تعالى، مبشرين ومنذرين، فتبعهم فريق، وكفر بهم آخرون ، وختمهم الله تعالى برسالة محمد صلى الله عليه وسلم التي قدر لها سبحانه وتعالى أن تكون عامة لكل الأمم، ودائمة إلى يوم القيامة، وها هي اليوم تحمل أمانة الدين كله، ومعها مصادره الثابتة، ومنهجه القويم، يقول الله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاهُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾ (٢) .

فالناس جميعا أبناء آدم عليه السلام ، يتناسلون على صورته، وينتشرون في أرض الله تعالى، وعليهم أن يؤمنوا بخالقهم، ويعلموا نسبهم، ويتقوا ربهم، ويعملوا لآخرتهم، ليفوزوا برضوان الله تعالى .

ثانياً :

من المخلوقات التي ظهرت مع وجود آدم عليه السلام إبليس الذي خلقه الله تعالى من النار، وأبقاه بين الناس، ومكن له من الإغواء والوسوسة، ويسر له

(١) المستدرك على الصحيحين للحاكم - كتاب التفسير، تفسير سورة حم عسق - حديث : ٣٥٨٨.

(٢) سورة الحجرات الآية : ١٣ .

الولوج إلى النفس البشرية لإضلالها وإبعادها عن دين الله تعالى، ومكنه من الوصول إلى باطن الإنسان، والسكن فيه لإظهار حقيقة الإيمان عنده .

وقدر الله تعالى لإبليس أن تتكاثر ذريته ليكونوا له عوناً ونصيراً في عمله، وإفساده، على النحو الذي حكاه الله تعالى عنهم في قوله ﷻ: ﴿ ثُمَّ لَا يَتَّبِعُهُمُ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ ﴾ (١) .

وفي قوله ﷻ: ﴿ قَالَ أَرَأَيْتَكَ هَذَا الَّذِي كَرَّمْتَ عَلَيَّ لَئِنْ أَخَّرْتَنِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَمَةِ لَأَخْتِكََنَّ ذُرِّيَّتَهُ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ (٢) قَالَ أَذْهَبَ فَمَنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَزَآؤُكُمْ جَزَاءً مَوْفُورًا ﴾ (٣) وَأَسْتَفْزِرُّ مِنْ أَسْطِطَعَتْ مِنْهُمْ بِصَوْتِكَ وَأَجْلَبَ عَلَيْهِمْ بِخِيلِكَ وَرَجَلِكَ وَشَارِكُهُمْ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ وَعِدَّتُهُمْ بِمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا ﴾ (٤) .

وهكذا تجلت حقيقة إبليس وذريته، فهم يسعون لإضلال الآدميين بكل طاقاتهم، ومكرهم، وحيلهم، بسبب ما فيهم من عداوة كامنة في قلوبهم منذ تكريم الله تعالى آدم ﷺ وذريته .

ولا يزال الشيطان وذريته يسعون في إضلال الإنسان، وإبعاده عن دين الله، وحرمانه من التكريم الذي وضعه الله ﷻ فيه،... والآيات توضح حيل الشيطان ومداخله في النفس، ومحاولاته إفساد الإنسان بكل السبل التي يتمكن منها.

عرف الله تعالى الإنسان بعداوة إبليس اللعين، فقال ﷻ: ﴿ إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُوا حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ ﴾ (٣)، وذلك

(١) سورة الأعراف الآية : ١٧ .

(٢) سورة الإسراء الآيات من ٦٢ : ٦٤ .

(٣) سورة فاطر الآية : ٦ .

ليستعد الإنسان العاقل، وينتبه لمكر إبليس، ويستعيذ بالله منه، ويتجنب مزالق الغواية، والسوء، ويرده خاسئاً حسيراً .

واستمرت هذه العداوة ، وزاد لهيبها بعد تعاون شياطين الإنس مع إخوانهم من شياطين الجن، وأصبح المؤمن في حرب ضروس مع الشياطين، ولا نجاة للإنسان إلا باتباع دين الله تعالى ، والاستقامة على منهجه القويم .
ثالثاً :

سجد الملائكة لآدم عليه السلام، وعرفوا مقامهم معه، وكلفهم الله ﷻ بالسياحة الدائمة في الأرض، وملازمة الإنسان ملازمة كلية، أو جزئية، لتحفظه بأمر الله تعالى، وتحافظ عليه بقدرة الله ﷻ .
والملائكة هم النوع العاقل الثالث، خلقهم الله تعالى من النور، وفطرهم على الطاعة، وجعل مسكنهم السماء، وكلفهم بمهام في الأرض، وأمرهم بمساعدة المؤمنين الصالحين ليلاً ونهاراً، وهم أصناف شتى، ووظائفهم عديدة .
رابعاً :

امتألت الأرض بموجودات عدة مع هذه المخلوقات العاقلة الثلاثة (الإنسان، والملائكة، والجن) ولكل منها دورها، ووظيفتها التي تقوم بها بدقة تدل على عظمة الصانع، وقدرته الحكيمة المعجزة، البادية في تكامل الوجود، واتزانة العجيب .

وأخذت الكائنات في مسيرتها بقدرة الله تعالى، وأخذت الملائكة تسبح في الأرض بأمر الله تعالى، واستمر الرسل يأتون للإنسان في سائر الأمم تعرفه بدين الله تعالى، وتصرفه عن الضلال، وتحدد له معالم الطريق .
واستمر الهدى الإلهي ينزل، وظلت نداءات الرسل تدعو إلى الحق، وإلى الصراط المستقيم، ووجد الإنسان نفسه خليفة في الأرض يحكم بشرع الله تعالى ، ويسود كافة الخلائق ، ويحمل أمانة الله تعالى وسط عداوات

الشياطين، وكيد الكافرين مع الأمل في معونات الملائكة.

وقدر الله تعالى للإنسان السيادة في الأرض، وسخر له الوجود كله، ووضع أمامه في الدنيا براهين وجوده سبحانه وتعالى، وأدلة قدرته، يراها الإنسان في نفسه وقواها المختلفة، وفي الكون المسخر، وفي تكامل المخلوقات الموجودة ليعيش عبداً لربه، خاضعاً لنظمه وشريعته .

إن الله ﷻ كرم الإنسان، وفضله ، ويسر له الحياة، ودعاه إلى التدبر، والنظر، وجلّى الله تعالى الآيات العديدة أمامه ليعقلها، ويرى كرم الله تعالى عليه، ويستفيد بها، يقول الله تعالى :

- ﴿ وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ۝ (١) ﴾
- ﴿ وَالْأَنْعَمَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنْفَعٌ مِنْهَا تَأْكُلُونَ ۝ وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرْجَوْنَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ ۝ وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَىٰ بَلَدٍ لَّمْ تَكُونُوا بَلِغِيهِ إِلَّا شِقَ الْأَنْفُسِ إِنَّ رَبَّكُمْ لَرءُوفٌ رَحِيمٌ ۝ وَالْخَيْلَ وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ۝ وَعَلَى اللَّهِ قَصْدُ السَّبِيلِ وَمِنْهَا جَائِرٌ وَلَوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ ۝ هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لَكُمْ مِنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ ۝ يُنْثِي لَكُمْ بِهِ الزَّرْعَ وَالزَّيْتُونَ وَالنَّخِيلَ وَالْأَعْنَابَ وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ۝ وَسَخَّرَ لَكُمْ الَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ ۚ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ۝ وَمَا ذَرَأَ لَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُخْتَلِفًا أَلْوَنُهُ ۚ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ ۝ وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُوا مِنْهُ حَبْلَةً ثَلَسُونَهَا وَتَرَى الْفُلَ الْكَبِيرَ مُوَاجِرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ ۚ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ۝ وَالْقَلَىٰ فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ

أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ وَأَنْهَضَكُمُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥﴾ وَعَلَّمَكُم بِلَاغِكُمْ هُمْ
يَهْتَدُونَ ﴿١٦﴾ (١) .

- ﴿١٧﴾ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ إِذَا أَنْتُمْ بَشَرٌ تَنْتَشِرُونَ ﴿١٨﴾
وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ
بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿١٩﴾ وَمِنْ
آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَخَلْقُ الْبَشَرِ وَالْأَنْعَامِ إِنَّ فِي ذَلِكَ
لَآيَاتٍ لِلْعَالِمِينَ ﴿٢٠﴾ وَمِنْ آيَاتِهِ مَنْامُكُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَابْتِغَاؤُكُمْ مِنْ
فَضْلِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُسْمِعُونَ ﴿٢١﴾ وَمِنْ آيَاتِهِ يُرِيكُمُ الْبَرْقَ
خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَيُخْرِجُ بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ فِي
ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٢٢﴾ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ تَقُومَ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ
بِأَمْرِهِ ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ دَعْوَةً مِنَ الْأَرْضِ إِذَا أَنْتُمْ فُخْرُجُونَ ﴿٢٣﴾ (٢) .

وحرك الله ﷻ في الإنسان داعية النظر إلى هذه الآيات المخلوقة، فقد
خلقها الله تعالى، وأحاط الإنسان بها، وجعلها سببا لحياته، وسعادته، ونشاطه

(١) سورة النحل الآيات من ٥ : ١٦ . والآيات واضحة الدلالة في موضوعها، فهي توضح للإنسان
مدى تكريم الله تعالى له، فقد خلق الله ﷻ له الأنعام، والخيول، والبغال، وأنزل من السماء ماء
للشرب والسقي، وإنبات الحب، والفاكهة، والزينة، وخلق الله الليل والنهار للسكن، والعمل،
وجعل في الأرض كل حاجات الإنسان، وجعل البحر مأوى السمك، ومستقر الحلية، وموطن
حركة السفن، وأوجد في الأرض الجبال، والسهول والوديان، كل ذلك لتكريم الإنسان
وتفضيله .

(٢) سورة الروم الآيات من ٢٠ : ٢٥، والآيات تفصل الآيات العديدة في المخلوقات التي
سخرها الله تعالى للإنسان ليتنفع بها، ويتخذها دليلا واقعا يأخذه إلى الله تعالى عبدا
خاشعا مطيعا، والآيات بينة في معناها، واضحة في المراد منها .

وأودعها في الكون المحيط به، وربط مصالحه بها، ليدرك ما حباه الله تعالى به من نعم وأفضال .

وحتى لا تصيبه غفلة، أو يخدعه لنيم ماكر سأل الله تعالى على وجه الإقرار، فقال تعالى: ﴿أَمْنَ خَلْقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا بِهِ حَدَائِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُنْبِتُوا شَجَرَهَا ۗ أَلَيْسَ مَعَ اللَّهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ ١٠﴾ أَمْنَ جَعَلَ الْأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ خِلَالَهَا أَنْهَارًا وَجَعَلَ لَهَا رَوَاسِيَ وَجَعَلَ بَيْنَ الْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا ۗ أَلَيْسَ مَعَ اللَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ١١﴾ أَمْنَ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُ لَكُمْ خُلَفَاءَ ۖ أَلَيْسَ أَلَيْسَ مَعَ اللَّهِ قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ ١٢﴾ أَمْنَ يَهْدِيكُمْ فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَنْ يُرْسِلُ الرِّيَّاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ ۖ أَلَيْسَ مَعَ اللَّهِ تَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ١٣﴾ أَمْنَ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَمَنْ يَرْفُكُم مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ ۖ أَلَيْسَ مَعَ اللَّهِ قُلْ هَانُوا بَرَهْنَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ١٤﴾ (١) .

ويعيش المكلف مع استفهامات القرآن الكريم التقريرية التي ترتبط بحياته، ونشاطه، وطعامه، وشرابه، وفيها يقول الله تعالى : ﴿أَفَرَأَيْتُمْ مَا تُمْنُونَ ٥٨﴾ ۖ أَنْتُمْ تَخْلُقُونَهُ ۖ أَمْ نَحْنُ الْخَالِقُونَ ٥٩﴾ نَحْنُ قَدْ زَيَّنَّا بَيْنَكُمْ الْمَوْتَ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ ٦٠﴾ عَلَى أَنْ يُبَدَّلَ أَمْثَلُكُمْ وَنُنشِئَكُمْ فِي مَا لَا تَعْلَمُونَ ٦١﴾ وَلَقَدْ عَلَّمْتُمُ النَّشَأَ الْأُولَىٰ فَلَوْلَا تَذَكَّرُونَ ٦٢﴾ أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَحْرُثُونَ ٦٣﴾ ۖ أَنْتُمْ تَزْرَعُونَهُ ۖ أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ ٦٤﴾ لَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَاهُ حُطَلًا فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُوتَ ٦٥﴾ إِنَّا لَمُعْرِضُونَ ٦٦﴾ بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ ٦٧﴾ أَفَرَأَيْتُمُ الْمَاءَ الَّذِي تَشْرَبُونَ ٦٨﴾ ۖ أَنْتُمْ أَنْزَلْتُمُوهُ مِنَ الْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ الْمُنْزِلُونَ ٦٩﴾ لَوْ نَشَاءُ جَعَلْنَاهُ أُجَاجًا فَلَوْلَا تَشْكُرُونَ ٧٠﴾ أَفَرَأَيْتُمُ النَّارَ الَّتِي تُورُونَ ٧١﴾ ۖ أَنْتُمْ أَنْشَأْتُمْ شَجَرَتَهَا أَمْ نَحْنُ الْمُنْشِئُونَ ٧٢﴾ نَحْنُ جَعَلْنَاهَا تَذَكُّرًا وَمَتَاعًا لِلْمُقْوِينَ ٧٣﴾ فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ ٧٤﴾ (٢) .

(١) سورة النمل الآيات من ٦٠ : ٦٤ .

(٢) سورة الواقعة الآيات من ٥٨ : ٧٤ .

إن آيات الله تعالى العديدة توضح في جملتها القضايا التالية : -
أولاً : خلق الله ﷻ الوجود كله، وهدى كل جزئية فيه لما خلقت له،
وسخره للإنسان لينتفع به.

ثانياً : آيات الله تعالى متعددة، وهي موجودة في نفس الإنسان، وفي سائر
حاجاته من طعام، وشراب، ومأوى، وفي الكون المحيط به، والبعيد عنه .
ثالثاً : تدبر الارتباط الوثيق بين الإنسان وبين مخلوقات الله تعالى،
يكفي لإيمان الإنسان، ومد عقله بالمعرفة، وإشباع جسده بالمادة ، وإرضاء
روحه بالوقوف على كثير من أسرار هذا الوجود .

رابعاً : الإنسان العاقل ينتفع بالمخلوقات، ويشكر الخالق عليها، وذلك
بالإيمان بوجوده ووحدانيته، والإخلاص في طاعته، واتباع شرعه، والتسليم له
في كل وقت، وفي سائر الأحوال .

خامساً : بيان حاجة الإنسان الدائمة إلى مدارس وفهم الآيات
المذكورة، لأنها تعرف بحقوق الله تعالى، وتبين نعمه وفضائله، وتوضح
حاجات الناس إلى الله تعالى في الأوقات كلها.

سادساً : الآيات ترد بوضوح أكاذيب المفسدين الضالين، الذين ينكرون
وجود الله تعالى، ولا يقرون بصدق محمد ﷺ ، ولا يصدقون بأن القرآن
الكريم كتاب الله تعالى المنزل على محمد ﷺ ، لإثبات صدقه، وثبوته،
وبقاء إعجازه إلى يوم القيامة .

سابعاً : لا يحتاج الإسلام إلا للعلم بحقيقته لإسقاط شبهات المزيفين،
فحجته ظاهرة، وبراهينه موجودة، وهو مكمل الأديان، وخاتمها.

المبحث الثاني بدء الإنسانية بدين الله تعالى

بدأت الإنسانية مؤمنة كما هو واضح من خلق آدم ﷺ، فقد قبل الله تعالى توبته وتوبة زوجته، وأخرجهما من الجنة، وبث منهما رجالا كثيرا ونساء، ونزل الوحي على آدم ﷺ، وبدأت الأرض تعمر مهتدية بوحي الله تعالى المنزل على آدم ﷺ، فقد أرسله الله تعالى لدعوة أبنائه وذريته، وأخذ الوحي ينزل عليه كما هو واضح من قوله تعالى: ﴿فَإِنَّمَا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَن تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ (١)

ومن قوله سبحانه لادم ﷺ: ﴿فَإِنَّمَا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَن تَبِعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشَقَى﴾ (٢)

إن هدى الله هو دينه الذي أنزله على آدم ﷺ وأمره بتبليغه إلى أبنائه ليعلموا أنه هدى الله الواحد المستحق للعبادة والتقوى دون سواه، ويقفوا على حدود الشريعة التي كلفهم بها ليتبعوها في معاملاتهم، وزواجهم، ونشاطهم، فهي المناسبة لهم .

ومن خلال قصة قابيل وهابيل نعلم أن أبناء آدم ﷺ عرفوا التقوى، وحسن الخلق، وكيفية التوجه إلى الله تعالى بالعمل، وطريقة التقرب منه بالقرابين والدعاء والطلب، كما علموا أن الإنسان مسئول عن عمله في الدنيا وفي الآخرة، وهذا واضح من قول هابيل لأخيه قابيل، كما حكاه الله تعالى عنه في قوله ﷻ: ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾ (٣) لَئِنْ بَسَطْتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَا بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ إِنَّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ (٤) إِنَّي أُرِيدُ أَنْ تَبُوءَ بِإِثْمِي

(١) سورة البقرة الآية : ٣٨ .

(٢) سورة طه الآية : ١٢٣ .

وَأَنَّمَا فَتَكُونُ مِنَ أَصْحَابِ النَّارِ ۚ وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ ﴿٣١﴾ ﴿١﴾.

إن أبناء آدم ﷺ وذراريهم كانوا على دين الله الذي أوحى الله تعالى به لآدم ﷺ، يقول الله ﷻ : ﴿كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِي مَا اخْتَلَفُوا فِيهِ ۚ وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا الَّذِينَ أُوتُوهُ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَاتُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ ۚ فَهَدَى اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ ۚ وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٣٢﴾﴾ (٢) ، والآية توضح الكينونة الأولى التي كان عليها آدم ﷺ وبنوه، فلقد كانوا جميعا على دين أبيهم آدم ﷺ بما فيه من عقيدة وشرعية وأخلاق، ولا يضر هذه الوحدة ما وقع بينهم من مخالفات شرعية، ومعاص دنيوية، فشأنهم شأن الإنسان في الدنيا .

واستمر أبناء آدم ﷺ على التوحيد، وعلى شريعة الله تعالى إلى أن تمكن الشيطان من إغوائهم، وإضلالهم، فعبدوا الأصنام، والأوثان قبيل رسالة نوح ﷺ كما سبق ذكره (٣) .

يبين الفخر الرازي في تفسيره للآية أن الناس كانوا على دين واحد، وهو الإيمان بالله تعالى، واتباع شريعته، وأن المقصود بالناس في الآية هم أبناء آدم ﷺ وذريته مستدلا على ذلك بعدة أدلة ، ... منها: -

(١) بعد أن بينت الآية أن الناس كانوا أمة واحدة جاء قوله تعالى: ﴿فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِي مَا اخْتَلَفُوا فِيهِ ۚ فَصَدَّرَ (بعث) بالفاء عطفًا على ﴿كَانَ﴾ ،

(١) سورة المائدة الآيات من ٢٧ : ٢٩ .

(٢) سورة البقرة الآية : ٢١٣ .

(٣) انظر ص ٢٥ .

وهذا يدل على أن الله تعالى بعث الأنبياء بعد الاختلاف في الدين، ولو كان الناس على الكفر أولاً لكانت بعثة الرسل قبل هذا الاختلاف، إلا أن بعثة الرسل بعد الاختلاف دليل على سبق أن الإيمان هو الصواب .

(٢) يدل حكم الله تعالى في الآية على أن الناس كانوا أمة واحدة، وهذا يحتم إدراج لفظ في الآية يوضح سبب بعث الرسل، وهو لفظ (فاختلفوا) ليدل على أن بعث الرسل تم بعد اختلاف الناس على الدين الواحد.

ويكون التقدير بعد الإدراج (كان الناس أمة واحدة - فاختلفوا - فبعث الله النبيين) ، وهذه هي قراءة ابن مسعود رضي الله عنه (١) .

(٣) يشير قوله تعالى: ﴿ وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا الَّذِينَ أُوتُوهُ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَاتُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ ﴾ إلى أن هذا الاختلاف قد وقع بين الناس بعد أن كانوا على الدين الحق الذي أتاهم بأدلتهم وبراهينه، وما صرفهم عن الدين الحق إلا شبهات المفسدين، وإغواءات الشياطين التي دفعتهم إلى الظلم، والعدوان، وعبادة الأصنام .

(٤) كان أولاد آدم عليه السلام من الذكور والإناث على دين الله تعالى أمة واحدة، ثم اختلفوا بسبب الحسد والبغي، وفتنة الشيطان، وهذا هو الذي تشير إليه الآية .

(٥) يقول النبي صلى الله عليه وسلم : (كل مولود يولد على الفطرة ، فأبواه يهودانه، أو ينصرانه، أو يمجسانه ، كمثل البهيمة تنتج البهيمة هل ترى

(١) يلاحظ أن مصحف ابن مسعود رضي الله عنه كان يتضمن كتابة النص وتفسيره ، فظن البعض أن التفسير جزء من النص، وهذا ظن غير صحيح يخالف ما كان عليه ابن مسعود رضي الله عنه .

فيها جدعاء) (١)، وهذا يدل على أن كل مولود يولد على الفطرة الأصلية، فهو يولد طاهرا نقيًا، خاليا من الباطل، إلا أن أبويه يربيانه على ما يريدان له من دين، وكذلك كان أبناء آدم عليه السلام، وكان أبوهم يدعوهم إلى الدين الحق.

(٦) أخذ الله ﷻ على بني آدم العهد الأول وهم في عالم النور حين سألهم ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ﴾ فأعلنوا إيمانهم الفطري، ﴿قَالُوا بَلَىٰ﴾ (٢)، وهذا يدل على أنهم كانوا على الدين الحق الذي أقروا به، وولدوا عليه.

يعرض الفخر الرازي كافة الآراء في الآية على النحو المذكور، ويرد الآراء الأخرى ...

ومنها أن المراد بالأمّة الواحدة هي الأمّة التي كانت مع نوح عليه السلام بعد الطوفان فقد كانت على دينه عليه السلام، وهذا رأي بعيد، لأن الناس قبل نوح عليه السلام كانوا مختلفين في الدين، فلما جاء نوح عليه السلام آمن به البعض، وأغرق الله تعالى من لم يؤمن به، وهذا يشير إلى أن الأرجح في الآية هو أن أمّة آدم عليه السلام هي الأمّة المقصودة، وهي بداية الإنسانية .

ومنها أن البشرية بدأت أمّة واحدة على الباطل، وسياق الآية يرد هذا الاحتمال فهي واضحة الدلالة في أن الناس كانوا أمّة واحدة من البدء مع آدم عليه السلام (٣) .

إلا أنا نكتفي بالرأي الأول الراجح، ونستفيد منه أن الإنسانية بدأت متدنية، وما أضلها إلا أعداء الله من الجنة والناس، وقد رجح جمهور المفسرين هذا

(١) صحيح البخاري - كتاب الجنائز، باب ما قيل في أولاد المشركين - حديث : ١٣٣٠ .

(٢) سورة الأعراف الآية : ١٧٢ .

(٣) تفسير الرازي عند تفسيره للآية .

الرأي (١) .

واستمر الصراع في الأرض بين الناس، وانقسم الخلق إلى مؤمنين ومنافقين، وكافرين، واستمر إرسال الرسل للناس.

ومن المؤسف أن الكفر وأنصاره كانوا أكثر عددا وعدة على الزمن كله، وقد بعث الله تعالى الأنبياء للناس، لمواجهة ما فيهم من باطل، وردهم إلى دين الله تعالى بعقيدته الواحدة، وشريعته التامة ... وكان كلما كثر الفساد كثر الأنبياء، وزاد عددهم في الأمة الواحدة، وفي الزمن الواحد، فلقد أرسل الله تعالى إبراهيم ولوطا - عليهما السلام - إلى أمتين في وقت واحد، وبعث ﷺ مع موسى ﷺ أخاه هارون ﷺ ، وكما حدث في " أنطاكية" فلقد بعث الله فيهم ثلاثة من الرسل، يقول الله تعالى: ﴿ إِذْ أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمُ اثْنَيْنِ فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ فَقَالُوا إِنَّا إِلَيْكُمْ مُّرْسَلُونَ ﴾ (٢)، ولهذا كان الإسرائيليون أكثر الأمم رسلا وأنبياء .

لقد تمكن الضلال والإلحاد من الأمم السابقة ، فوقفوا ضد رسلهم موقفا عنيدا، وجادلوهم بسفه، ولم يؤمن منهم إلا قليل، وكان الرسول ﷺ يدعو بالحق والوضوح، فيردون عليه بالتكذيب والعناد، وكان الرسول يدعو قومه إلى توحيد الله الذي خلقهم، ورزقهم، فيردون عليه بالرفض والضلال، والتمسك بالشرك .

وقد قدم القرآن الكريم صورا عديدة للناس وهم يعاندون، ويكفرون، ويتمسكون بالأصنام والأوثان، ويجادلون بالباطل .

فهذا نوح ﷺ يقول لقومه : ﴿ يٰ قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهِ غَيْرُهُ ۚ ﴾

(١) انظر تفاسير القرطبي، والألوسي، والنسفي وغيرهم .

(٢) سورة يس الآية : ١٤ .

أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٣١﴾ ﴿١﴾ .

فيردون عليه ويقولون له : ﴿ مَا تَرَكْنَا إِلَّا بَشَرًا مِّثْلَنَا وَمَا تَرَكْنَا مِنْ آلِ الَّذِينَ هُمْ أَرَادُوا أَنْ يَبَادُوا وَنَحْنُ نَرَىٰ لَكُمْ عَلَيْنَا مِنْ فَضْلِهِ بَلْ نَظُنُّكُمْ كَاذِبِينَ ﴾ ﴿٣١﴾ ﴿٢﴾ ، ويقولون : ﴿ يَنْبَغُ قَدْ جَدَلْنَا فَأَكْثَرْتَ جِدَالَنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴾ ﴿٣٢﴾ ﴿٣﴾ .

وهذا هود عليه السلام يقول لقومه : ﴿ يَتَقَوَّمُوا عِبَادُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ وَإِنْ أَنْتُمْ إِلَّا مُفْتَرُونَ ﴾ ﴿٣٣﴾ ﴿٤﴾ .

فيردون عليه ، ويقولون له : ﴿ يَهُودُ مَا جِئْتَنَا بِبَيِّنَةٍ وَمَا نَحْنُ بِتَارِكِي آلِهَتِنَا عَنْ قَوْلِكَ وَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ ﴾ ﴿٣٤﴾ إِنْ نَقُولُ إِلَّا اعْتَرَاكَ بَعْضُ آلِهَتِنَا بِسُوءٍ قَالَ إِنْ أُرْسِلْتُ إِلَّا أَشْهَدُ اللَّهَ وَأَشْهَدُوا أَنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ ﴾ ﴿٣٥﴾ ﴿٥﴾ ، ويقولون أيضا : ﴿ إِنَّا لَنَرَاكَ فِي سَفَاهَةٍ وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ الْكَاذِبِينَ ﴾ ﴿٣٦﴾ ﴿٦﴾ ، ويتمسكون بشركهم ويقولون : ﴿ سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَوَعَضْتَ أَمْ لَمْ تَكُنْ مِنَ الْوَارِعِينَ ﴾ ﴿٣٧﴾ ﴿٧﴾ .

وهذا صالح عليه السلام يقول لقومه : ﴿ يَتَقَوَّمُوا عِبَادُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ هُوَ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَاسْتَغْفِرُوا لَهُمْ تُوْبُوا إِلَيْهِ إِنْ رَأَيْتُمْ قَرِيبَ مُجِيبٍ ﴾ ﴿٣٨﴾ ﴿٨﴾ .

(١) سورة المؤمنون الآية : ٢٣ .

(٢) سورة هود الآية : ٢٧ .

(٣) سورة هود الآية : ٣٢ .

(٤) سورة هود الآية : ٥٠ .

(٥) سورة هود الآيتين : ٥٣ ، ٥٤ .

(٦) سورة الأعراف الآية : ٦٠ .

(٧) سورة الشعراء الآية : ١٣٦ .

(٨) سورة هود الآية : ٦١ .

فيردون عليه، ويقولون له : ﴿يَصْلِحْ قَدْ كُنْتَ فِينَا مَرْجُوًّا قَبْلَ هَذَا أَتَنْهَنَا أَنْ نَعْبُدَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا وَإِنَّا لَفِي شَكٍّ مِمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ مُرِيبٌ ﴿١٦﴾﴾ (١) ، ويقولون له : ﴿إِنَّمَا أَنْتَ مِنَ الْمُسَحَّرِينَ ﴿١٧﴾﴾ مَا أَنْتَ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا فَأْتِ بِآيَةٍ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿١٨﴾﴾ (٢)

وهذا لوط عليه السلام يقول لقومه : ﴿أَتَأْتُونَ الْفَحِشَةَ مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِنَ الْعَالَمِينَ ﴿٨﴾﴾ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِنْ دُونِ الْنِسَاءِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ ﴿٩﴾﴾ (٣)

فيردون عليه، ويقولون : ﴿أَخْرِجُوهُمْ مِنْ قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أَنَاسٌ يَنْتَهَرُونَ ﴿٤﴾﴾ ويقولون له : ﴿لَئِنْ لَمْ تَنْتَهِ يَلُوطُ لَتَكُونَ مِنَ الْمُخْرَجِينَ ﴿٥﴾﴾

وهذا شعيب عليه السلام يقول لقومه : ﴿يَقَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ وَلَا تَقْصُصُوا أَلْمِيزَاتِ إِنْ أَرَبَكُمْ بِخَيْرٍ وَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ مُحِيطٍ ﴿٨١﴾﴾ وَيَقَوْمِ أَوفُوا أَلْمِيزَاتِ بِالْقِسْطِ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تَعْتُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٨٥﴾﴾ (٦)

فيردون عليه، ويقولون له : ﴿يَسْعِيْبُ أَصْلَوتَكَ تَأْمُرُكَ أَنْ نَتْرَكَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا أَوْ أَنْ نَفْعَلَ فِي أَمْوَالِنَا مَا نَشْكُو إِنَّكَ لَأَنْتَ الْحَلِيمُ الرَّشِيدُ ﴿٨٧﴾﴾ (٧)

(١) سورة هود الآية : ٦٢ .

(٢) سورة الشعراء الآيتين : ١٥٣ ، ١٥٤ ..

(٣) سورة الأعراف الآيتين : ٨٠ ، ٨١ .

(٤) سورة الأعراف الآية : ٨٢ .

(٥) سورة الشعراء الآية : ١٦٧ .

(٦) سورة هود الآيتين : ٨٤ ، ٨٥ .

(٧) سورة هود الآية : ٨٧ .

ويقولون له: ﴿وَمَا أَنْتَ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا وَإِنْ نَظُنُّكَ لَمِنَ الْكَاذِبِينَ﴾ (١)

ولما قال بنو إسرائيل : ﴿إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ﴾ (٢). رد المسيح ﷺ عليهم ، وقال لهم : ﴿يَبْنَى إِسْرَءِيلَ أَعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ﴾ (٣)

ويمكن تصور هيكل عملي واحد يوضح ما حدث للأمم السابقة في عالمها الطويل مع جميع الرسل، حيث كانت الأمم تتأى عن رسالات الله السابقة، وتصل إلى حالة من الكفر الواضح ، فتشرك مع الله تعالى آلهة أخرى، وتعبد الأصنام والأوثان التي يصنعونها بأيديهم، وتضع لنفسها مناهج للعمل، وطرقا للتواصل معتمدة على الاستغلال، والظلم، والطبقية، والبغي، والهوى الذي ساد حياة الناس قبيل كل دعوة جاء بها رسول من رسل الله تعالى .

وهكذا فسدت الأمم قبيل مجيء الإسلام، حيث انتشرت عبادة الأصنام، وتعددت الآلهة، وساءت الأعمال، وضاعت القيم والأخلاق الكريمة، ... الأمر الذي يؤكد حاجة الأمم السابقة إلى دين الله تعالى لإنقاذهم من الضلال المستشري في العقائد والعبادات، والأعمال والسلوك .

ونلاحظ أن الدعوة الإلهية دائما تقوم على دعامتين متلازمتين:

أولاهما : توحيد الله تعالى .

وثانيهما : قصر العبادة والطاعة لهذا الإله الواحد ، لأن التوحيد إذا خلا من العبادة لا معنى له، وعبادة غير الله تعالى شرك لا يجوز.

(١) سورة الشعراء الآية : ١٨٦ .

(٢) سورة المائدة الآية : ٧٢ .

(٣) سورة المائدة الآية : ٧٢ .

وهذه حقيقة أساسية في الإيمان بالله تعالى، وهي ضرورة لابد أن
يرعاها كل مؤمن صادق في جميع الأديان .

يقول الله تعالى :

- ﴿ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ ﴾ (١)
- ﴿ قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ ﴾ (٢)
- ﴿ يَقْوَمُ عِبَادُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ ﴾ (٣)

وكان قدر الله ﷻ مع حاجة الناس، فأرسل محمدا ﷺ لتصحيح
العقيدة، والأعمال، والأخلاق، وقضى سبحانه وتعالى أن يختم الرسل بمحمد
ﷺ ، وأن يختم الأديان بالإسلام، وجعل فيه من المزايا والخصائص التي
تفيد الناس أجمعين، وتخرجهم من ظلمات الجهل، والتعصب، والعنصرية
إلى نور العلم، وروح التسامح، وجمال الأخوة الإنسانية، وربط ربطا وثيقا بين
التوحيد والعبادة، وجعلهما وجهين متلازمين لكل مؤمن بالله ﷻ، ورسوله ﷺ.
وحال العالم اليوم خليط من الإيمان والكفر، والصراع شديد بين الحق
والباطل، ...

وكان المامول أن يتخذ الإنسان الدين الذي يرتضيه بلا صراع مع الغير،
وبعيدا عن معاداة أصحاب الأديان الأخرى، لأن الدين تصديق عقلي قائم
على الاختيار الحر، وإجبار العقل على أمر غير مقتنع به أمر غير ممكن.
إلا أن هذا الأمل لم يتحقق، وعاش الناس في صراع مذهبي ، وهجوم
على الدين الحق بالزيوف والأكاذيب .

(١) سورة البينة الآية : ٥ .

(٢) سورة الزمر الآية : ١١ .

(٣) سورة الأعراف الآية : ٥٩ .

المبحث الثالث تعدد الأديان في مسارات الدعوة

في المدة ما بين آدم عليه السلام، وبين محمد صلى الله عليه وسلم بعث الله تعالى رسلا عديدين لأمم متعددة، حيث كان الرسول يُبعث لقومه في زمن معين ، يدعوهم إلى الله تعالى مراعيًا سعة عقولهم، وتطور معاشهم، ومستوى نضجهم .

وكان إذا طال الزمن بالأمة الواحدة، وتغيرت أحوالها يأتيها رسول بعد رسول كما حدث في بني إسرائيل، فلقد بعث الله ﷻ فيهم إسحاق، ويعقوب، ويوسف، وسليمان، وداود، وموسى، وعيسى، وزكريا ويحيى - عليهم السلام. والقرآن الكريم واضح الدلالة على اختصاص الرسالات السابقة بأمم خاصة، وكان كل رسول يأتي قومه، ويدعوهم إلى توحيد الله تعالى، وترك الشرك والتقليد ... يقول الله تعالى : -

- ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُسُدَهُ مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا بِهِ عَلِيمِينَ ٥١﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا هَذِهِ التَّمَاثِيلُ الَّتِي أَنْتُمْ عَاكِفُونَ ٥٢ قَالُوا وَجَدْنَا آبَاءَنَا لَهَا عِبْدِينَ ٥٣ قَالَ لَقَدْ كُنْتُمْ أَنْتُمْ وَءَابَاؤُكُمْ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ٥٤﴾ (١) .

- ﴿وَإِلَىٰ عَادِ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَنْقُورُ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ ٦١ أَفَلَا تَتَّقُونَ ٦٢﴾ (٢) .

- ﴿وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَنْقُورُ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ ٦٣ هُوَ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَاسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تَوْبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ

(١) سورة الأنبياء الآيات من ٥١ : ٥٤ .

(٢) سورة الأعراف الآية : ٦٥ .

مُجِيبٌ ﴿١١﴾ ﴿١﴾

- ﴿وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَبْقَوُوا أَعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنَ إِلَهِ غَيْرُهُ
قَدْ جَاءَتْكُمْ بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ وَلَا تَبْخَسُوا
النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ
لَّكُمْ إِن كُنْتُمْ مُّؤْمِنِينَ ﴿٨٥﴾ ﴿٢﴾ .

وكان هذا التخصص ضروريا لتتناسب الدعوة مع الناس، وتخطبهم بمستوى مدركاتهم، وتركز على المفاصل التي شاعت بينهم، وفي إطار هذه الضرورة كانت معجزات الرسل السابقين في القضايا التي يتميز فيها القوم ليثبت عجزهم، ويعلموا صدق الرسول الذي أرسله الله تعالى إليهم .

والمعروف عن الرسائل السابقة أنها جميعا اتحدت في إثبات العقيدة الواحدة، لأن العقيدة الصحيحة لا تتغير بتغير الزمان، أو المكان، أو الإنسان، فقد نادى كل الرسائل بوحداية الله تعالى، وعبادته وحده، وأثبتت له كافة الصفات الكاملة، والقدرة الشاملة، والعلم المحيط .

وصدق كل رسول بالرسالات السابقة، ودعا إلى الإيمان بالكتب والملائكة، واليوم الآخر بما فيه من مشاهدات، وجنة، ونار .

إن العقيدة الدينية مكونة من حقائق ثابتة لا تتغير مثل سائر الحقائق الرياضية، فنتاج ضرب عدد في عدد آخر ثابت في كل زمان ومكان، ولا يتغير في كافة اللغات، والذي يتغير هو البرهان الذي يسوقه الرسول لأمتة، لأنه كان يأخذه من واقعهم، ومما يحيط بهم، وكان كل رسول يستمد براهينه من حياة الناس، ومعاشهم، ونعم الله فيهم .

(١) سورة هود الآية: ٦١ .

(٢) سورة الأعراف الآية ٨٥ .

ويرجع سبب تعدد الرسائل السابقة، وعدم استمرار الدين السابق إلى بعض الأسباب، أهمها : -
السبب الأول :

اختفاء معالم الرسالة السابقة التي جاء بها الرسول إلى قومه بسبب الجهل بالدين بعد وفاة الرسول، أو ضياع مصادره، وحينئذ تحتاج الجماعة إلى رسالة إلهية أخرى تأخذهم إلى الله تعالى، وتحيي فيهم دينه، وهذا سبب ممكن الحدوث يومذاك، لأنهم لم يدونوا الوحي المنزل، ولم يأمرهم الرسول ﷺ بحفظه، والمحافظة عليه، لسابق علم الله تعالى أن رسالة أخرى ستأتيهم.

السبب الثاني :

توزع الأقوام في الأرض، واختلاف طبائع هذه الأقوام، وانعدام الاتصال بينهم، وهذا يحتم مجيء رسالة خاصة لكل جماعة تتناسب طباعهم وأخلاقهم، وهذا السبب يفسر ما عند سائر الأمم المعاصرة من أفكار وأقوال خيرة تشير إلى صلتها بدين من أديان الله تعالى .

السبب الثالث :

تقدم الجماعة، وتطورها العقلي، والمعرفي يجعل الرسالة السابقة قاصرة عن مصلحة هذه الجماعة، ... وهذا يدعو إلى ظهور رسالة جديدة تكمل القصور في الرسالة السابقة.

ومع تعدد الرسائل السابقة كانت تتحد في المحافظة على أساسيات الدين الإلهي ، وأهمها :-

(١) توحيد الله تعالى واتصافه بكل كمال يليق به، فهو واحد متصف بصفات الكمال والجلال منذ الأزل، وإلى الأبد، **وَهُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ**

وَالظَّالِمُ وَالْبَاطِلُ وَهُوَ يَكُلُ شَيْءٌ عَلَيْهِمُ ﴿٣﴾ ﴿١﴾.

(٢) التذكير برسول الله السابقين، وبيان علو منزلتهم ومقامهم عند الله ﷻ

(٣) بيان أصول العبادة التي يتوجه بها العباد لله من صلاة، وصدقة، وحسن خلق .

(٤) التخلص من الخطايا الشائعة مثل الشرك بالله ﷻ، وعبادة الأصنام، والتوجه بالعبادة لغير الله تعالى، والقصور في الطاعة والاتباع .

(٥) التركيز على اكتشاف البراهين الإيمانية من الواقع الحياتي، فهو الأقرب للإنسان، والأيسر في الإصلاح، والأولى بالطاعة .

ومن أمثلة هذه البراهين ما حكاه الله تعالى على السنة الرسل، ومنها

قوله تعالى :

- قول هود عليه السلام لقومه: ﴿يَقَوْمِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُرْسِلَ إِلَيْكُمْ سَمَاءً

عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَى قُوَّتِكُمْ وَلَا تَتَوَلَّوْا مُجْرِمِينَ ﴿٢﴾ ﴿٢﴾

- وقول صالح عليه السلام لقومه: ﴿يَقَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ هُوَ

أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَاسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُجِيبٌ ﴿٣﴾ ﴿٣﴾

- وقول لوط عليه السلام لقومه : ﴿يَقَوْمِ هَلْؤَلَاءِ بَنَاتِي هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَلَا

تُخْزُونِ فِي ضَعِيفِي أَلَيْسَ مِنْكُمْ رَجُلٌ رَشِيدٌ ﴿٤﴾ ﴿٤﴾ .

- وقول شعيب عليه السلام لقومه : ﴿يَقَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ

وَلَا تَتَّبِعُوا الْهَيْهَاتَ وَالْهَيْهَاتَ إِلَيَّ أَرَأَيْتُمْ بِخَيْرِي وَإِيَّيَ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ

(١) سورة الحديد الآية : ٣ .

(٢) سورة هود الآية : ٥٢ .

(٣) سورة هود الآية : ٦١ .

(٤) سورة هود الآية : ٧٨ .

يَوْمٍ مُّحِيطٌ ﴿٨٦﴾ وَيَقْوِمُ أَوْفُوا أَلْمَكِّيَّاتِ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تَعْتُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٨٧﴾ بَقِيَّتُ اللَّهِ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنْتُمْ مُّؤْمِنِينَ ﴿٨٨﴾ وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِحَفِيظٍ ﴿٨٩﴾ (١) .

وتطورت الإنسانية، وارتقى نضج الناس، وتعددت طرق الاتصال، وصار ممكنا سفر الإنسان من جزيرة العرب إلى اليمن، والهند، والصين، والوصول إلى مجاهل إفريقيا البعيدة، وركوب البحر إلى جزر الملايو واليابان، والعالم الجديد، والسفر إلى الشمال حيث القوقاز وأوربا .

وهنا

قضى الله تعالى للإنسانية أن تجتمع على دين واحد، يجمع الأساسيات التي جاء بها الرسل السابقون، ويجمع كافة العوامل التي تحقق الفوز والفلاح في الدنيا والآخرة .

ولئن كان كل رسول قبل محمد ﷺ دعا قومه خاصة فإن محمد ﷺ دعا العالم كله كما بين الله تعالى ذلك في قوله ﷻ :

- ﴿ تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا ﴾ ﴿٢﴾ .

- ﴿ قُلْ يَأَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ﴾ (٣) .

ويقول النبي ﷺ : (أعطيت خمسا لم يعطهن أحد من الأنبياء قبلي ومنها ... ، وكان النبي يبعث إلى قومه خاصة، وبعثت إلى الناس كافة) (٤) وجعل الله تعالى الإسلام صالحا للعالم كله ، وجامعا لمختلف الأديان

(١) سورة هود الآيات من ٨٤ : ٨٦ .

(٢) سورة الفرقان الآية : ١ .

(٣) سورة الأعراف الآية : ١٥٦ .

(٤) صحيح البخاري - كتاب الصلاة، باب قول النبي ﷺ : " جعلت لي، حديث : ٤٢٩ .

والمثل، وصار الإيمان بالأديان السابقة المنزلة من عنده ﷺ جزءاً من الإسلام ، واعتمد الأساسيات الإيمانية التي جاءت به، وجعلها أساساً له ، ودعا إلى حسن المعاملة، ومكارم الأخلاق، وبين أن هيمنته عليها هيمنة أخوة، وتعاون، وتتاصر تجمع الجميع عبيداً لله تعالى .

وساعد الواقع البشري على عالمية الإسلام، فقد وصل نضج الناس إلى مستوى جعلهم يبحثون عن الإله الواحد في أرجاء الدنيا كلها، يرحلون، ويتواصلون وهم يبحثون عن الدين الحق كما حدث في ظاهرة الحنفاء ، وإسلام سليمان الفارسي، وبلال الحبشي، وصهيب الرومي.

وغياب أصول الأديان السماوية السابقة في الأديان المحرفة جعل الأحرار والرهبان آلهة وسط الناس، يملكون كل شيء، ويتحكمون في كل شيء، ...

وكان المأمول والمعقول إن يسارع الناس جميعاً إلى الدخول في الإسلام، والالتزام بما جاء به، لأنه يمثل نقلة واسعة، تنقل الأقسام من دينهم الخاص إلى دين عام لهم ولغيرهم ، وفيه ما في دينهم السابق من اعتقاد صحيح، ومحافظة على حقوق الله تعالى، وحقوق الناس، وفيه الجمال والكمال الذي شرعه الله ﷻ للناس، يقول النبي ﷺ : (إن مثلي ومثل الأنبياء من قبلي كمثل رجل بنى بيتاً فأحسنه وأجمله، إلا موضع لبنة من زاوية ، فجعل الناس يطوفون به، ويعجبون له ، ويقولون هلا وضعت هذه اللبنة ؟ ... قال : فأنا اللبنة وأنا خاتم النبيين) (١) .

إلا أن هذا الأمل لم يتحقق، وتمسك أصحاب الأديان والمذاهب بعنصريتهم وعارضوا الإسلام، وعملوا على إطفاء نوره وصد الناس عنه بلا برهان عقلي

(١) صحيح البخاري - كتاب المناقب، باب خاتم النبيين ﷺ - حديث : ٣٣٦٣

أو دليل شرعي، وجمعتهم الخصومة في مواجهة الإسلام .
إن الإسلام يتوجه في دعوته إلى العالم كله، ويكلف المسلمين بواجب الدعوة إلى الإسلام بالحكمة، والموعظة الحسنة، والحوار الهادف، لإظهار الإسلام على حقيقته، ورد ما يقال عنه، وصيانة الخير للناس أجمعين .

وقد يقال : لم يتحمل المسلمون وحدهم مشاق دعوة الآخرين، ومواجهة الأفكار والأديان التي تعارضهم، وتعارض دينهم ؟ ...

وهنا أقول : إن الله تعالى كلف المسلمين بهذا الواجب ، لأنه الطريق الأمثل لتوصيل الإسلام للناس، حيث انتهت الرسالات، وصار الإنسان محتاجا لأخيه الإنسان ، وساعيا فيما ينفعه ويفيده، ومن قديم وجدت الأحلاف والعهود، وعقود النصر ، ...

وفي العالم الحديث وجدت المنظمات العالمية ، والمؤسسات الدولية التي تجعل الإنسان في خدمة أخيه ، وتدفعه إلى المحافظة على حقوقه مهما كان دينه، أو جنسه، أو لونه، وخير الناس أنفعهم للناس، وفي كل زمان وفي كل وقت يظهر أناس يعملون لغيرهم بلا مقابل أو أجر، وهم خير الناس .

هذا الاتحاد العالمي للناس هو الذي أراده الله تعالى بتكليف المسلمين بالدعوة إلى الإسلام ، ليكونوا في خدمة الناس ، وإنقاذهم بدين الحق والعدل، والمساواة، وإخراجهم من ظلمات الجهل، وضلال العنصرية إلى نور الإسلام، وعظمته التشريعية والأخلاقية .

وقد يقال : كيف يقوم المسلمون بدعوة غيرهم، ولغاتهم شتى، وأماكنهم بعيدة ؟ ...

وأقول : لا عناء في هذا، لأن إتقان الإنسان لعدة لغات أمر ممكن، وعن طريق الترجمة تصل الفكرة إلى كل لغات العالم، ووسائل الاتصال لم تكن عائقا للحركة بالإسلام ، وهي اليوم كثيرة ومتنوعة .

والبشر اليوم يتنادون من كل جهات العالم لاجتماع عام ، فيجتمعون في وقت قصير، وبواسطة المترجمين تصل الفكرة إلى جميع الحاضرين.

فإن قيل : ولم لم تظهر قبل الإسلام دعوة عالمية خاتمة ؟ ...

أقول : إن البشرية قبل الإسلام لم تصل إلى النضج الذي يجمعها في إطار واحد، ... وكل الرسائل السابقة كانت خاصة لقوم معينين، وكان آخرها رسالة عيسى عليه السلام التي كانت خاصة لبني إسرائيل، ولم تظهر دعوى عالمية المسيحية إلا بواسطة بولس الرسول، وقسطنطين الملك بعد المسيح بمدة طويلة لأغراض سياسية، ويكفي أن نعلم أن المسيحية المعاصرة معرضة لنقد كثير يلمس عقيدتها، ويبحث في شريعتها، ويسأل عن كيفية قبولها للعلمانية، واستعانتها بشريعة الإسلام ليتحاكموا إليها في قضايا عدة .

ودراسة المجامع المسيحية العالمية يوضح المسار الواقعي للمسيحية، ويقف على مراحل تحويلها من دين خاص إلى دين للعالم بعد أن لم تكن كذلك على لسان عيسى عليه السلام .

المبحث الرابع حاجة الإنسان إلى الإسلام

حينما ننظر في أحوال العالم في القرن السادس بعد ميلاد السيد المسيح عليه السلام نجد أن الإنسان في العالم كله قد تطور تطورا عقليا مكنه من التفكير الكلي المنظم، والانتقال الذهني من المحسوس إلى المعقول، والقدرة على تحليل أمور كان لا يستطيع النظر فيها قبل ذلك .

ففي بلاد العرب ظهر الحنفاء، وهم الذين رفضوا ما عليه العرب من عبادة الأوثان والأصنام، وأخذوا يبحثون عن دين إبراهيم عليه السلام ، كما وضع العرب لحياتهم نظاما يكفل لهم الأمن والسلام في الجزيرة، ويقلل الصراع والشروع، فنظموا نشاطهم خلال العام، فأحاطوا بفصول السنة، ونظموا التجارة على وفق هذه الفصول، وأقاموا أسواقا تدور مع أيام السنة في جميع أماكن الجزيرة .

وفي الهند أيد الهنود ثورة بوذا على الهندوكية، وأخذوا يتجهون إلى عبادة إله واحد يسمونه " رب الأرباب، وإله الآلهة " .

وفي العالم المسيحي بدأت الأصوات ترتفع ضد أوضاع لا تتفق مع الطبيعة العقلية من أمثال المناداة بالوهية المسيح، وتركبه من طبيعتين، مع إصرار هذه الأصوات على مذهب الفطرة القائل ببشرية المسيح، وتكونه من طبيعة إنسانية واحدة، وقد اختاره الله تعالى ليكون رسولا نبيا، وأحاطه بالخوارق التي لا توجد مع عامة الناس دفعا إلى تصديقه في دعواه .

وما دفعهم إلى هذا الرأي إلا عقلهم الذي أبى التصديق بما هم فيه من وهم يقوم على تصور تركيب المسيح عليه السلام من طبيعتين .

إن تصور الطبيعتين ينهار أمام النظرة الفاحصة، وقد حدثت له المعارضات التي صاحبها أحداث خطيرة في كل العالم المسيحي .

ولم يكن المنادون بمذهب التوحيد عددا قليلا.

يقول ابن البطريق : " إن الذنب ليس على "أريوس" وهو رأس المنادين بالتوحيد، بل على فئات أخرى سبقته فأخذ هو عنها، ولكن تأثير تلك الفئات لم يكن شديدا كما كان تأثير "أريوس" الذي دفع الكثيرين إلى إنكار سر الألوهية (١).

وهذا دليل على نضج عقلي وجد بين المسيحيين جعلهم يحاولون إصلاح معتقداتهم، بل إن المسيحيين الذين عارضوا الإصلاح احتموا هم أيضا بعقلهم، وحاولوا التدليل على صدق معتقدتهم بأدلة جدلية في صورة تشبيه عقلي، وهذه إن دلت فإنها تدل على تقدم ذهني، وفهم فيه نوع من التجريد والتصور الفكري المعتمد على أصول عقلية .

يقول الشهر ستاني عنهم : " ولهم في كيفية الاتحاد والتجسد آراء، فمنهم من قال: انطبع الأب في الابن انطباع النقش في الشمع .

ومنهم من قال : ظهر به ظهور الروحاني بالجسماني.

ومنهم من قال : تدرج اللاهوت بالناسوت .

ومنهم من قال : مازجت الكلمة جسد المسيح ممازجة اللبن الماء والماء

باللبن (٢).

ومن النضج العقلي الذي انتشر في العالم شعر الناس في كل الأقاليم بحاجتهم إلى نظام يجلي الحقائق الكونية الغائبة عنهم، وينقذهم من الخرافات التي تفسد رقيهم الحضاري، ويخلصهم من المظالم التي تضع الناس في قالب بئس تضيع فيه كرامة الإنسان ، وتمنح حق التشريع للإنسان المخلوق

(١) محاضرات في النصرانية ص ١٢٣ .

(٢) الملل والنحل ج ١ ص ٢٠١ .

، وتقسم الناس إلى طبقات .

لكل هذا كانت حاجة الناس إلى دين يجمعهم في إطار واحد، يأخذهم إلى عدل الله ﷻ وشريعته .

إن الدين في جملته نظام إلهي أنزله الله تعالى للناس بالوحي على رسله ليصححوا به عقيدتهم، وينظموا معاشهم، ويصلحوا شئونهم، ويصيروا عبادا لله تعالى .

وهذا سبب ما بين المخلوقات من تكامل، وما بين الإنسان والدين من توافق، فالكون في جزئياته العديدة، وأنواعه المديدة مترابط، وله صور شتى، وغايته واحدة، كأنه آلة مصنوعة تعمل أجزاؤها لغاية واحدة، فالليل والنهار يتعاقبان، والشمس والقمر لا يلتقيان ، والسحاب ينزل بالماء، والأنهار تجري لسقي الإنسان والحيوان ، والنبات، والبحر يتسع للفلك والسماك، والحيثان، والهواء يخترق الحجب ليحيا الإنسان ... والأرض تمتلئ بالتلال، والوديان، والسهول، والجبال، والهوام، والحشرات، ويعيش فيها الإنسان والحيوان، والطيور، والوحوش، والأنعام، والعام فيه الفصول الأربعة، ولكل فصل زراعته وآثاره في حركة الحياة حيث التكامل مدهش وعجيب .

ولو نظر الإنسان إلى نفسه، منذ الحمل به، وولادته، ونشأته، وتأمل في آيات الله التي تحيط به في كل أجزاء حياته، ولو تدبر في الخلق والإيجاد، والموت، والحياة لعرف الله تعالى، ولذلك كانت الأسئلة له في قوله تعالى :-

- ﴿ أَفَرَأَيْتُمْ مَا تُمْنُونَ ٥٨ ءَأَنْتُمْ تَخْلُقُونَهُ ؕ أَمْ نَحْنُ الْخَالِقُونَ ٥٩ ﴾ (١)

- ﴿ أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَحْرُثُونَ ٦٣ ءَأَنْتُمْ تَزْرَعُونَهُ ؕ أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ ٦٤ ﴾ (٢) .

(١) سورة الواقعة الآيتين ٥٨ ، ٥٩ .

(٢) سورة الواقعة الآيتين ٦٣ ، ٦٤ .

- ﴿ أَفَرَأَيْتُمُ الْمَاءَ الَّذِي تَشْرَبُونَ ﴾ ٦٨ ءَأَنْتُمْ أَنْزَلْتُمُوهُ مِنَ الْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ الْمُنْزِلُونَ ﴾ (١)
- ﴿ أَفَرَأَيْتُمُ النَّارَ الَّتِي تُورُونَ ﴾ ٧١ ءَأَنْتُمْ أَشْأَأْتُمْ سَجَرَتَهَا أَمْ نَحْنُ الْمُنْشِئُونَ ﴾ (٢)
- ولو تفكر الإنسان في دين الله ﷻ الذي كلفه الله به بموضوعية وإنصاف لراه متوافقا بدقة مع مكوناته الذاتية، وعناصره التي أودعها الله تعالى فيه .
- فهو يتكون من جسد مادي تتحرك من خلاله قوة حيوية، فيها الدوافع، والغرائز، والرغبات، ...**
- وهو يتكون من عقل يدرك، ويفهم، ويتصور، ويعلم، ويربط السبب بالمسبب، ويستنبط من مشاهداته القيم والمعاني....**
- وهو يتكون من روح تحمل الجمال والخير، وتمتلئ بالعواطف والرغبات .**
- وأنزل الله تعالى دينه متوافقا مع الإنسان المخلوق، فجاء مكونا من العقيدة، والشريعة، والأخلاق، حيث تلتقي العقيدة مع العقل، وتسكن فيه ببراهينها، وأدلتها، وقناعتها ليسعد بالإيمان بالله الواحد، وبسائر صفات الكمال والجلال الواجبة له ﷻ .**
- وتلتقي الشريعة مع الحاجات المادية للإنسان، وهي تنظم له أعماله، ونشاطه مع نفسه، وأسرته، وأهله، ومع الناس وسائر المخلوقات .**
- وتلتقي الروح مع الأخلاق الكريمة، ففيها الأدب والرحمة، والهدوء والرضى، والمودة والرفق، والمحافظة على حقوق الله ﷻ والعباد، والتواصل مع الخير والجمال.**
- إن التوافق الكلي بين الإنسان والدين ثابت، يسلم به العقلاء المنصفون، والمفكرون الموضوعيون، ...**

(١) سورة الواقعة الآيتين : ٦٨ ، ٦٩ .

(٢) سورة الواقعة الآيتين : ٧١ ، ٧٢ ..

أما أنصار الشيطان، وأعداء الحق فهم يرون النور ظلاما دامسا، وينكرون وجود الشمس الطالعة الواضحة، وبذلك لا يضررون إلا أنفسهم .

والإسلام خاتم الأديان أمانة في عنق بنيه، وقد كلف الله تعالى كل من يؤمن بالإسلام من الناس أن يدعو غيره إليه بالحكمة والموعظة الحسنة حبا له، وقياما بواجب الدعوة إلى الله تعالى حتى يصل الإسلام إلى العالم كله بالصورة التامة التي نزل الوحي بها على النبي ﷺ .

وعاشت الأمة الإسلامية بعد رسول الله ﷺ على هديه في دعوة الناس، لإخراجهم من الظلمات إلى النور .

وقد أكرم الله تعالى الإنسانية بالإسلام، وأمر المسلمين بالمحافظة عليه بالعلم، والفهم، والعمل، والتطبيق، وإرشاد الآخرين إلى ما في الإسلام من ثبات عقدي، ورقي تشريعي، وسمو خلقي .

واهتمام الإنسان بأخيه، ودعوته إلى ما يصلحه أمر توصلت البشرية إليه بعقلها، فأخذ التواصل حيزا كبيرا في العالم الحديث، وصار من البدهيات تعاون الناس على الخير، ومساعدة الأقوياء للضعفاء، واشتراك الجميع في صيانة حقوق الناس، ومنظمات الأمم المتحدة ، ومؤسسات رعاية الضعفاء، والأسرى، واليتامى، ومساعدة المحتاجين، وهيئات رعاية حقوق الإنسان موجودة وثابتة، وكلها تؤكد هذه الضرورة .

وليس بعيدا عنها وجود مؤسسات تدعو إلى الإسلام، وتشارك الأفراد والجماعات في إقرار الحقوق، ونشر محاسن الأخلاق ، وصيانة كرامة الإنسان بالعلم، ومده بما يحتاج إليه من أموال الزكاة، والصدقات، والتبرعات، والأوقاف .

وعلى المسلمين أن يكتفوا جهودهم لخدمة الإسلام، ويحرصوا على إظهار ما فيه من أمن، وسلام، وحب للخير، فهذا إعلاء لشأنهم، ورفع لمكانتهم،

وعليهم أن يوضحوا للناس الواقع الذي يعيشون فيه، لإظهار حبهم للأمن والسلام، وأن يستمروا في الدعوة إلى الله تعالى فهي تكريم للناس أجمعين.

إن الإنسان المعاصر في حاجة لدين الله تعالى لأسباب عدة :

أولاً : الانهيار الفكري الذي انتشر في عقول الناس، فشنت أراءهم بين المذاهب العديدة، والأفكار الغربية التي نجحت في التشكيك، وعجزت في الإثبات، فلا هو مصدق بها، ولا هو مؤمن بغيرها .

ثانياً : تشويه الإسلام بالحاق ما ليس منه فيه، وادعاء أنه يعتمد على القوة والعدوان، والحق أنه بعيد عن ذلك كل البعد .

ثالثاً : انتشار الجهل بين الناس بصورة عامة ، والجهل بالإسلام بصورة خاصة ، فلم تعد العقيدة قوية في عقول المسلمين، وأهمل المسلمون تطبيق الشريعة، ولم يبق للخلق الكريم وجود بين الناس إلا في صور نادرة .

رابعاً: انقلاب حال المسلمين ، وبعدهم عن الحق، فلقد رضوا بتحمل أمانة الدين أولاً، ولم يراعوها حق رعايتها بعد ذلك، بل صاروا خصوما لها، ومن ورائهم خصوم الإسلام من كل جنس .

إن العاقل يتصور خصومة الإسلام من كافر ملحد، أو مادي متزندق، أو صليبي متعصب، أو صهيوني ظالم ، ولا يتصور هذه الخصومة من مسلم ضد الإسلام، وهنا أسأل ...

- من يتمسك بالعقيدة الإسلامية من المسلمين ويؤمن بها اليوم على الوجه الصحيح نظرياً وعملياً ؟ ...
- من يلتزم بشريعة الإسلام في كل حياته ؟ ...
- من جعل خلقه ما جاء في القرآن الكريم ؟ ...
- كم عدد الذين يخاصمهم المسلم مستعيناً بالقانون الوضعي المخالف لحكم الله تعالى ؟ ...

- من يرى نفسه عبداً لله تعالى في كل وقت، فلا يظلم، ولا يتجبر؟ ...
- كم من الأحياء من يعد للقبر عدته، ويجهز الإجابة التي تتجبه عند السؤال؟ ...

والأسئلة عديدة، والغرض منها أن يدرك الإنسان ما يريد من الدنيا، وما يتمناه في الآخرة .

إن الإسلام خاتم الأديان كلها، ورسالته عامة للناس جميعاً ومستمرة إلى يوم القيامة، والدعوة إلى هذا دعوة إلى الحق الذي لا مرأى فيه، ولا ريب. **فإن قيل: ما هي مظاهر النضج الإنساني عند ظهور الإسلام؟ ...** وما عوامل الشمول والعموم في هذا الدين؟ ...

أقول : إن البشرية بدأت بأدم عليه السلام، وأخذت في التطور الفكري، والمعاشي، فبعدما كانت تؤمن بالمحسوس الملموس صارت تؤمن بالعقلي والمعنوي ...، وبعدما كانت لا تتصور وجود الغيبيات أصبحت تؤمن بها وتصدقها ... وبعدما كان الإنسان يعيش في إقليمه الذي ولد فيه أصبح يعرف الأقاليم الأخرى، ويرحل إليها زائراً، وتاجراً، ومهاجراً، وبذلك توسعت مداركه، وقوي نضجه، وصار مستعداً لتقبل ما عند الآخر، وتفهمه .

وكان الله تعالى يرسل رسله على ضوء حالة الناس، ويؤيد الرسل بالمعجزات التي تفوق فيها أقوامهم ليصدقوا بها، فلما كان عصر الإسلام تطور النضج البشري إلى حد جعل البشر يفكرون في الأمم الأخرى، ويجردون المعاني، ويدركون مخلوقات غيبية كالجن والملائكة، وأصبح التواصل بالسفر والرحلة، والتجارة أمراً شائعاً، وصار ممكناً مخاطبة الناس برسالة واحدة، ودعوتهم إلى الدين الخاتم، وتذكيرهم بالرسالات السابقة وبخاصة أن الإسلام لا يتعارض مع الأديان السابقة، فالعقيدة واحدة،

والشريعة تنظيم حياة الناس في واقعها الجديد، ولم ينف من الأديان السابقة إلا ما علق بها من أكاذيب ...

مثل معصية آدم ﷺ ، فقد بين الله تعالى أنه تاب عليه وهداه، ولا يصح أن يرث المعصية بنوه، لأن تحمل إنسان ما معصية غيره أمر لا يجوز في العقل والشرع، لقوله تعالى : ﴿ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ﴾ (١) .

ومثل ادعاء البنوة والحب التي ظهرت في اليهود والنصارى حين قالوا: ﴿ نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبُّوهُمْ ﴾ (٢)، وقد رد الله تعالى عليهم هذه الفرية، بقوله ﷻ: ﴿ فَلَمْ يُعَذِّبْكُمْ بِذُنُوبِكُمْ بَلْ أَنْتُمْ بَشَرٌ مِّمَّنْ خَلَقَ يَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ ﴾ (٣) ومثل القول بأن عزيزا، والمسيح أبناء الله تعالى كما في قوله تعالى : ﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ﴾ فرد الله تعالى هذا القول، وقال لهم : ﴿ ذَلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهَوْنَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ قَتَلْتَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ ﴾ (٤) .

ومثل قول الاسرائيليين في عيسى ﷺ: ﴿ إِبْنُ اللَّهِ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ ﴾ ، فرد الله تعالى هذا القول، وقال لهم : ﴿ قُلْ فَمَنْ يَمْلِكُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ أَنْ يُهْلِكَ الْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ وََمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ (٥) .

(١) سورة المائدة الآية : ١٨ .

(٢) سورة الإسراء الآية : ١٥ .

(٣) سورة المائدة الآية : ١٨ .

(٤) سورة التوبة الآية : ٣٠ .

(٥) سورة المائدة الآية : ١٧ .

إن الإسلام أكد نزول التوراة على موسى ﷺ ، وأثبت نزول الانجيل على عيسى ﷺ ، وبين ما في هذه الكتب من أحكام شرعية فقال الله تعالى: ﴿ وَكَيفَ يُحْكُمُونَكَ وَعِنْدَهُمُ التَّوْرَةُ فِيهَا حُكْمُ اللَّهِ ثُمَّ يَتَوَلَّوْنَ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَمَا أُولَئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ ﴾ (١)، وقال ﷺ: ﴿ وَقَفَيْنَا عَلَى آثَرِهِمْ يَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَةِ وَآتَيْنَاهُ الْإِنْجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴾ (٢) .

وبين الله تعالى أنه جعل الإسلام مصدقا للإديان السابقة ، ومهيمنًا عليها، فقال سبحانه : ﴿ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيِّمًا عَلَيْهِ فَاحْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ ﴾ (٣) ، والمقصود بالكتاب القرآن الكريم، فقد أنزله الله تعالى بالدين الحق ، وجعله مصدقا بالكتب الإلهية التي سبقته ، فهيمن عليها بتصديق ما بقي منها، وإزالة التحريف عنها، والاتيان بكل جديد تحتاجه البشرية. وقد أمر الله تعالى رسوله ﷺ بالحكم بما جاء في القرآن الكريم، وترك الهوى الذي يسلكه البغاة .

إن البشرية قبل الإسلام لم تكن مستعدة للدعوة العامة ، فلما تطورت وارتقت جاءها الإسلام متميزا بما يلي : -

١. احتواء الإسلام على أصول الأديان السابقة ، وتعديل ما يحتاج إلى تعديل، وتكميل أي نقص بسبب التحريف، أو التطور، وتشريع أي جديد يحتاجه الناس .

(١) سورة المائدة الآية : ٤٣ .

(٢) سورة المائدة الآية : ٤٦ .

(٣) سورة المائدة الآية : ٤٨ .

٢. ثبات مصادر الإسلام ، وإبقاؤها في الناس كما جاءت من عند الله تعالى، فقد هيا الله لها كافة العوامل للمحافظة عليها، وأكد ذلك بقوله تعالى : ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ (١) .
 ٣. وضوح التجربة الإسلامية الأولى، وثبوت صلاحيتها للناس جميعا وإن اختلفت أجناسهم، وأفكارهم، ومذاهبهم .
 ٤. تقدير الإسلام للرسول والرسالات السابقة، ونفي أي زيف لحق بهم من المفسدين .
 ٥. ثبوت وضوح الإسلام ، وبيانه كما نزل من عند الله تعالى، ديننا كاملا، تاما يجمع العقيدة، والشريعة، والخلق .
 ٦. خلو الإسلام من أي وصاية بشرية ، فليس فيه طبقة كهنوتية تحتكر المفاهيم الدينية، بل هو نص ثابت يحتاج لمن يعلمه، ويفهمه، ويطبقه .
 ٧. ثبوت صلاحية الإسلام لكل زمان ومكان مهما تنوعت أصناف الناس، ومهما وصلوا إلى العلوم والمعارف .
- إن الإسلام قد انتشر في العالم بذاته بعد أن اقتنع الناس به ، وهو خال تماما من العدوان، والقهر، وتاريخه يشهد بأنه لم يرفع سلاحه إلا ضد الصادين عنه، المسيئين إليه بالفعل أو بالقول، وكل ما يقال عن الجهاد والجزية من الخصوم هراء يذوب أمام وضوح الحقيقة .
- وكما بدأت الإنسانية بدين الله تعالى سيستمر فيها الدين إلى نهاية الدنيا، وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون .

(١) سورة الحجر الآية : ٩.

والحق الذي يشهد له الواقع يؤكد أن البشرية قد وصلت إلى مستوى فكري وحياتي أهلها لمجيء الإسلام الذي أنزله الله تعالى مناسبا لها، وملائما لصلاح الدين والدنيا .

ولعل هذا الواقع الحياتي هو الذي جعل القرآن الكريم معجزة الإسلام معجزة لجميع الناس، فهو الذي يؤمن بالكلمة، ويخاطب العقول، ويهتم بالمعاني والأفكار، وينقل الإنسان من عالم الحس، إلى عالم الغيب، والإيمان به مع اشتماله على أساليب بيانية تتعدد أمام الفكر، تبين، وتؤكد، وتجادل، وتقرب، قاصدة الاقناع العقلي، والإيمان اليقيني، والرضى النفسي، والثبات مع الروح والوجدان أكثر من ثباتها مع الانفعالات والأحاسيس .

يقول الشيخ / رشيد رضا : إن الله تعالى جعل نبوة محمد ﷺ ورسالته قائمة على قواعد العلم والعقل في ثبوتها، وفي موضوعها، لأن البشر قد بدأوا يدخلون بها في سن الرشد، والاستقلال النوعي الذي لا يخضع عقل صاحبه فيه لإتباع من تصدر منهم أمور مخالفة للنظام الكوني، وإنما جعل الله تعالى حجة نبيه ﷺ كتابه المعجز للبشر بهدايته، وعلومه، وبإعجازه اللفظي ، والمعنوي ، ليربي البشر على الترقى مما هم فيه من إسفاف إلى ما هم مستعدون له من الكمال (١) .

(١) الوحي المحمدي ص ٦١ .

الفصل الثاني

ضرورة الدعوة

إلى الإسلام

ضرورة الدعوة إلى الإسلام

أتم الله تعالى الإسلام وأكملته، ورضيه ديناً للناس جميعاً إلى يوم القيامة، وأمر بمواصلة الدعوة إليه فقال تعالى:

﴿ وَلَتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ (١).

﴿ ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَدِّدْ لَهُمُ الْبَالِغَ هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴾ (٢).

وبذلك أصبح واجباً شرعياً قيام أمة الإجابة (٣) بدعوة غيرها إلى الإسلام لينتظم الناس جميعاً في طاعة الله تعالى، وينتفعوا بما أنزل لهم من الدين، ويسعدوا بالعبودية لله رب العالمين.

ونشط الشيطان في الصد عن دين الله تعالى، وصار له أنصار من الناس يذهبون مذهبه، ويحاربون الإسلام معه، ويمنعون الدعوة إليه، ويحرمون الناس من خير يعود عليهم في الدنيا والآخرة .

وكان لزاماً على الباحث أن يوضح ضرورة الدعوة إلى الله تعالى بمنهج التبليغ الذي اتبعه رسول الله ﷺ وصحابته، وسلف الأمة من بعده مستدلاً بالبراهين الدينية والعقلية المثبتة لهذه الضرورة .

(١) سورة آل عمران الآية : ١٠٤ .

(٢) سورة النحل الآية : ١٢٥ .

(٣) العالم كله أمتان هما :

أولاً - أمة الدعوة وتشمل العالم كله الذي يجب دعوته إلى الإسلام ، فهو أمة الدعوة .

ثانياً - أمة الإجابة وتشمل المسلمين الذين استجابوا للإسلام، ودخلوا فيه .

إن إيصال الإسلام للناس واجب أمة الإجابة، لأن الإسلام جملة من المعارف المنزلة من عند الله تعالى لتنظيم الحياة، وتحديد الحقوق، وتوضيح الواجبات.

ومن المعلوم أن المعارف لا تتحرك وحدها وإنما تحتاج إلى من يحملها مؤمنا بها، ويبلغها لغيره من الناس كما هي على حقيقتها .

والإسلام حقائق معرفية نزلت من عند الله تعالى على رسوله محمد ﷺ ليبلغها للناس، فاستقبلها رسول الله ﷺ ، وطبقها، وأوصلها للناس كما نزلت، فأمن بها المسلمون، وعملوا بما فيها .

ووضع رسول الله ﷺ منها عمليا في التواصل والتبليغ، ينقل حقائق الإسلام، ويبرهن على صدقها، ويرد ضلال المفسدين، وزيف الأفاكين.

وكان ﷺ خير قائد لأمة، فأمن به أصحابه ومن بعدهم، واتبعوا النور الذي أنزله الله تعالى معه، ونشروا الإسلام في الأرض كلها من بعده ﷺ ، وواصلوا الدعوة إلى الله تعالى مخلصين له ﷻ حياتهم وعملهم .

وفي العصر الحديث كثر الخصوم، وتتنوع الأعداء، وصار واجبا قيام المسلمين بالدعوة إلى الإسلام، ورد الأباطيل عنه حتى لا يسود الباطل حياة الناس.

وهذا ما سوف أبينه - بإذن الله تعالى - في المباحث التالية : -

المبحث الأول

ضرورة صيانة فطرة الإنسان الدينية

خلق الله تعالى الإنسان على نحو خاص يختلف فيه عن سائر المخلوقات، فقد خلقه ﷻ بعدد من القوى المادية والمعنوية ، وأودع في بدنه الطاقة الحيوية المتمثلة في الدوافع والغرائز ، وقوة الشهوة ، والحركة .
كما أودع الله ﷻ في الإنسان العقل، وأحاطه بالخير والشر، وعرفه طرق الصِّلاح والنقي، وحذره من مزالق الفساد والهوى .

وصار على الإنسان أن يوازن بين عناصره، ويشبعها بما شرعه الله ﷻ ويختار الطريق الذي يسلكه في حياته الدنيا قبل أن يرجع للآخرة .

يقول الله تعالى :

- ﴿ إِنَّا هَدَيْنَا السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا ٣٠ ﴾ (١)
- ﴿ يَوْمَ يَتَذَكَّرُ الْإِنْسَانُ مَا سَعَى ٣١ وَبُذِرَتِ الْجَبِيزُ لِمَنْ بَرَى ٣٢ فَأَمَّا مَنْ طَغَى ٣٣ وَآثَرَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ٣٤ فَإِنَّ الْجَبِيزَ هِيَ الْمَأْوَى ٣٥ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى ٣٦ فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى ٣٧ ﴾ (٢) .
- ﴿ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا ٣٨ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ٣٩ قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا ٤٠ وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا ٤١ ﴾ (٣) .
- ﴿ إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّى ٤٢ فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى ٤٣ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى ٤٤ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى ٤٥ وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَى ٤٦ وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى ٤٧ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَى ٤٨ ﴾ (٤) .

(١) سورة الإنسان الآية : ٣ .

(٢) سورة النازعات الآيات من ٣٥ : ٤١ .

(٣) سورة الشمس الآيات من ٧ : ١٠ .

(٤) سورة الليل الآيات من ٤ : ١٠ .

والدعوة مع الإنسان تعرفه بذاته، وتأخذه إلى الله تعالى بالبراهين والأدلة، وتوضح أمامه الآيات الموجودة في الكون والإنسان، وتسمو بروحه إلى مكارم الأخلاق، وتنشط فطرته الكامنة في باطنه منذ مولده، وتزيل عنه همسات الشياطين، ونداءات المادة، وأراجيف السوء التي تحيط به من كل جانب .

يقول الشيخ محمد الغزالي : " والإسلام ليس أفعالا تعد على الأصابع دون زيادة أو نقص، لأنه يعدل الإنسان، ويصلح شئونه، ويهذب سلوكه، ويقوي روحه ليتمكن من خوض غمار الحياة وهو يؤدي رسالة مقدسة جاءت من عند الله تعالى، محددة المعالم، واضحة الدلالة، فيها الحكمة والدقة، بعضها واضح معلوم، وبعضها خفي مستور .

يريد الإسلام الإنسان أن تستقيم أجهزته العقلية، والنفسية، والعاطفية على الإيمان واليقين بما خلقت له، فإذا توفرت لها صلاحيتها المنشودة، واستقام صاحبها عليها فكل عمل تتعرض له الحياة يتحول من تلقاء نفسه إلى طاعة لله تعالى، وعبادة له ﷻ (١) .

إن الإسلام يحافظ للإنسان على سلامة فطرته، ويمدها بغذائها المناسب لها لتسعد في حياتها، وتسمو إلى خالقها، وتحافظ على صفائها ونقاؤها .
إن أي تقدم بغير دين الله تعالى يضر الإنسان أكثر مما ينفعه، لأنه حينئذ يعتمد على الطاقات المحدودة بأطر مادية، ولا يمكنه الابتعاد عن إطارها، ويهمل الحقيقة الفطرية التي أودعها الله ﷻ فيه .

وقد عمد خصوم الإسلام إلى إفساد الفطرة البشرية، وحرمانها من الطهارة التي كانت فيها، وجعلوا من الإنسان عبداً أنانياً، يفكر في إغراءات

(١) هداية المرشدين ص ٨٤ .

المادة، وملاهي الشهوات، وأبعدوه عن نداءات العقل الواعي، وتوجهات النفس المطمئنة، ولذلك كان من الواجب على الدعاة صيانة الفطرة الإنسانية وإبعادها عن مواطن الجريمة والفساد، وأخذها إلى الله تعالى بلين ورفق .

ومن المهم بيان الفساد الذي ترتب على إهمال الفطرة، وإيقاف قوتها، واستبدال صخب المادة بها، والميل إلى الأنانية، وإنكار الجوانب الإنسانية في الإنسان .

إن الفطرة قوة معنوية يولد بها الإنسان، وهي التي تدفعه منذ صغره إلى حب والديه ، والتقرب مع من يلاعبه، وهي التي تزرع فيه حب من يعطيه، والصفاء مع من يهتم به، ... فإذا كبر الولد، ونمت فطرته فإنه يحب الله تعالى، ويعبده بعدما يعلم أنه صاحب الفضل كله، يخرج الحي من الميت، ويعطي الملك من يشاء، ويبيده أمر الدنيا والآخرة، والنجاح كله بقدرته

إن تقوية الفطرة، والمحافظة على توجهها في الإنسان أهم أعمال الدعوة، ولا تتم هذه التقوية إلا بإحياء القيم الإسلامية، وبيان ما فيها من صيانة لإنسانية الإنسان، ورعاية لحسن العمل، وكرم الخلق، والإقرار بالحقوق .

لقد هجر العلماء الغربيون الكنيسة، وركزوا على العلوم التجريبية فأبدعوا في صناعاتهم، ومخترعاتهم، إلا أنهم تخلوا عن الإيمان، وتجردوا من روح الإنسانية، وتسابقوا في إيجاد أسلحة للدمار الشامل ، ودفعوا أوطانهم إلى الاستيلاء على بلاد غيرهم البعيدين عنهم، وتركوا القيم النبيلة، وضيعوا حقوق الإنسان، ودفعتهم عقليتهم إلى الظلم والعدوان، وتصرفوا كوحوش كاسرة، وجعلوا الدنيا غابة يأكل فيها القوي الضعيف، فيزداد القوي قوة، ويعيش الضعيف في الفقر والعبودية، والاستغلال، وحولوا الفطرة إلى رغبات شهوانية، وحب للمال والسلطة، وجعلوا الإخوة تحكما وتسلطا وبذلك فقد الإنسان روحه .

وضاعت إنسانية الإنسان في الغرب مع نهضته وتقدمه في كافة المجالات المادية المتعددة التي أوصلتهم إلى الفضاء، واختراع الجديد في كل مجال . وقد أدرك مفكرو الغرب هذه الحقيقة، وتكلموا عنها، وبينوا خطورتها (١)

يقول "هارولد تيتوس": إن نظرة الأوربيين إلى الإنسان تتطوي على خطأ قاتل، والدليل على ذلك هو مسيرة الأحداث في العقود الأخيرة من القرن العشرين، لقد فاز الإنسان بقوة كبرى في مجالات العلم والتكنولوجيا، غير أن هذه القوى استخدمت لأغراض التدمير بكثرة زائدة، ولقد مدد الإنسان بسرعة نطاق معرفته، وجوّد نوعيتها غير أنه لم يتقدم نحو السعادة، وخفض العيش إلا قليلا ، هذا إذا كان قد تقدم في هذا الاتجاه على الإطلاق .

ولقد صمم الإنسان المخططات ، وأنشأ المؤسسات العديدة ليفوز بمزيد من الأمن والراحة، ومع ذلك فهو يعاني من الخرف العقلي، والخواء الوجداني، والفراغ الروحي، ولم ير سعادة في الحياة، ولم تتلاءم مع طبيعة العالم الذي يعيش فيه ، ولم يجد نوع الحياة التي يريد أن يحياها مع إخوته من بني البشر (٢) .

يقول "نور ثروب" : " إن عالمنا هذا عالم متناقض ، فالمنجزات التي تمثل أمجاده هي التي تهدده بالدمار ، ويبدو أننا كلما تقدمنا في الحضارة ، كلما فقدنا القدرة على المحافظة عليها " (٣) .

ويقول "برتداند رسل" : " إن وصف الإنسان بأنه وحش ظلم للوحوش.

(١) نقلت هذه الأقوال من كتاب "نقد الثقافة الإلحادية" للأستاذ/ أحمد عبد الرحمن إبراهيم ص ١٠ :

١٥ طبع ونشر دار هجر - الجيزة سنة ١٩٨٥ م .

(٢) . Ethical Viewpoint Ofislam . P . Xi .

.Ibid,P.X (٣)

إن مركبا من الذكاء العلمي، وشرور إبليس الخفية تمثل في قوة الدولتين الأوربيتين ألمانيا وإيطاليا ملاً أوروبا بالرعب والفرع والخوف الذي لا نظير له، ولقد تخيل الإنسان جهنم في الماضي، ولكنه جسد ذلك الخيال في وقائع أوروبا في العصر الحديث (١) .

وينادي "دوبو" : بثورة فكرية وشعورية يكون هدفها إنشاء معتقدات إيجابية جديدة ، وأخلاق اجتماعية جديدة، ودين جديد، ... ويرى أن هذا العمل يحتاج إلى جهد جماعي ، وإيمان موحد، لكن هذا الإيمان غير موجود ، ولهذا فإنه يرى أن أهم الواجبات الملقة على الأمريكيين والأوربيين اليوم هو البحث عن معنى لحياتهم، يوضح هدفا إنسانيا لحياتهم، ويجعل لهذا الحياة معنى .

ويرجح "دوبو" القول بأن البشرية سوف تدمر نفسها بنفسها، والترسانات النووية جاهزة لدى المعسكرين المتناحرين لإنجاز هذا الهدف على أكمل وجه وحتى لو لم يقع الدمار الشامل فإن دوبو " يرجح تخلي البشرية عن قيم المدنية الغربية، ويقول: إن الوجود الإنساني مهدد بالأسلحة النووية، وتلوث البيئة، ونفاد الطاقة، وما يعنيه من انعدام التيار الكهربائي، ثم فساد الأخلاق والآداب، وهناك تهديد آخر يتمثل في الإرهاب الموجه للمجتمع الإنساني، وضياح حرمة المنزل، الأمر الذي قد يؤدي إلى استحالة الحياة المتحضرة .

ويعدد "دوبو" مظاهر الإخفاق في الحياة الأمريكية والأوربية فيذكر ضمن قائمة المشكلات الطويلة المشكلة العنصرية ، والعزلة، والقلق، والغربة النفسية ، وقبح المدن والحوضر الكبرى ، وألوان المظالم الفردية ، والطبقية والدولية ، والجنون العام الذي يسبب تهديدا دائما بالحرب النووية .

ويقرر "جارودي" أن الحضارة الغربية تمضي بالعالم إلى الهاوية بما أنتجته من آلات واختراعات تملأ حياتنا، وتغزونا من كل جانب، وتشوش تصورنا " ويضيف "جارودي" : " لابد من تأمل مستقل في المسار التاريخي لتطور الحضارة الغربية ، وما آلت إليه " ، والهدف من وراء ذلك بطبيعة الحال هو تغيير مسارها الخطر إلى أهداف إنسانية صحيحة .

إن العلوم الأوربية أدت إلى " تدمير ستين مليون إنسان في الحرب العالمية الثانية وقنبلة هيروشيما، وإذا استمرت الأوضاع على ما هي عليه فإننا سنواجه أضعاف أضعاف ما عشناه من ويلات وكوارث " (١) .

إن العالم اليوم محتاج إلى أن يعود إلى إنسانيته التي خلقه الله تعالى عليها، ولن يتم له ذلك إلا بالعودة إلى الإسلام، دين الله تعالى الخاتم لكل الأديان، والعمل بما جاء به من أخوة عامة، فالله هو خالق الكون، وهو العليم بمصالح الناس، وهو الخبير بما يفيدهم ويسعدهم.

يقول الله تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَآفَّةً وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾ (٢) .

ويقول ﷺ : ﴿ وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَى دَارِ السَّلَامِ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾ (٣) .

ويدعو ﷺ للحب والمودة، والتعاون، والتناصح بقوله ﷺ : ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى﴾ (٤)، وبقوله ﷺ : ﴿ وَالْعَصْرُ ① إِنَّ الْإِنْسَانَ لِفِي خُسْرٍ ② إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ ③ ﴾ (٥) .

(١) مجلة الأمة ، العدد ٢٧ ربيع الأول سنة ١٤٠٣ هـ .

(٢) سورة البقرة الآية : ٢٠٨ ..

(٣) سورة يونس الآية : ٢٥ .

(٤) سورة المائدة الآية : ٢ .

(٥) سورة العصر .

ويقول النبي ﷺ: (لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه) (١)
إن الإسلام في جملته يجعل الإنسان عبداً لخالقه، مؤمناً بربه، ملتزماً
بشريعته، حراً في حياته، متجرداً من لوثات المادة، صانعاً من الحياة رحمة
ترقق القلوب، وجمالاً يسعد الناظرين، ووحدة تجمع الناس على دين الله
تعالى، وصراطه المستقيم .

- يقول الله تعالى : ﴿ إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ ﴾ (٢) .

- ويقول ﷻ : ﴿ وَمَنْ يَتَّبِعْ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ

مِنَ الْخَاسِرِينَ ۝٨٥ ﴾ (٣)

ومن هنا

كانت أهمية الدعوة إلى الإسلام لإحياء القيم، وإسعاد الوجود، وتحقيق
إنسانية الإنسان، وإبراز النظم الدينية التي تنظم شؤون الحياة والأحياء .
ولابد أن يبدأ الدعوة أولاً بإحياء الفطرة في أنفسهم، وإبراز توهجها مع
الناس، وإشباعها بالقيم الشرعية التي تسعدها، وتعلي شأنها بين العالمين .
وأول القيم الإنسانية ذات التأثير في الفطرة هو الشعور بالغير، والتراحم
معه، ومبادلته المودة، والتعاون معه في البر والمعروف، والمحافظة على
الحقوق، والإقرار بالنعمة، وضرورة الشكر عليها، وبذلك تهدي الفطرة
صاحبها إلى حقوق الله ﷻ، وحقوق الناس .

إن العالم اليوم ينادي بالسلام العالمي، والتعاون على مصلحة الإنسان،
ومحاربة الظلم والإرهاب في كل مكان، والمحافظة على حقوق الإنسان،

(١) صحيح البخاري - كتاب الإيمان، باب : من الإيمان أن يحب لأخيه ما يحب لنفسه - حديث : ١٣ .

(٢) سورة آل عمران الآية : ١٩ .

(٣) سورة آل عمران الآية : ٨٥ .

والتسليم بحقوق كل كائن موجود، ولهذا تُعقد المؤتمرات، وتتم الزيارات، وتقام الأحلاف، وتؤسس المنظمات لمراعاة حقوق الضعفاء كاليتامى، والمرأة، ومشوهي الحرب ، ...

ومع ذلك لم تتحقق هذه الآمال للناس، لعدم وجود الالتزام الخلقي عند الأفراد والجماعات ، ووجود تباين بين آراء الأفراد وآراء الجماعات، وسيطرة العنصرية، والطائفية، والفئوية على تصرفات الأفراد والجماعات، وإيثار المصالح الشخصية وإهمال المصالح العامة، ولا نجاة للإنسانية من هذا التضارب الذي تعيش فيه إلا بالإسلام لتمييزه بالحقائق التالية :

١- تعاليمه منزلة من عند الله تعالى، وثابتة بحفظ الله تعالى، والتمسك بها يوحد الناس جميعا، وينجيهم من أي تعصب أو انحياز .

٢- تعاليم الإسلام كلها تكرم الإنسان، وتصون حريته وعزته في إطار العبودية لله الواحد .

٣- العبودية لله تعالى عزة للإنسان، لأنها تربطه بمصدر القوة، والعزة، والتكريم .

٤- تعاليم الإسلام ومبادئه باقية إلى يوم القيامة على الوجه الذي كانت فيه وقت مجيئ الإسلام .

٥- الناس جميعا في كل بلاد العالم سواء ، ولا فضل لعربي على عجمي إلا بالتقوى .

٦- الإلزام الخلقي، والمسئولية الدينية تكليف لكل مسلم يلتزم بها في الدنيا ، ويحاسب عليها في الآخرة .

- ٧- الرقابة الإلهية دقيقة لكل إنسان، ولا يمكن الفكاك منها ﴿ فَن يَمَل ﴾ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ﴿٧﴾ وَمَن يَمَل مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ﴿٨﴾ (١) .
- ٨- الإسلام دعوة إلى الرقي والنهضة ، وصيانة حقوق العباد، والبلاد، وكل المخلوقات .
- ٩- المسلم يقوم بعمله تحت رقابة الله تعالى، فهو العليم به ، والقرناء يلزمون الإنسان، ويسجلون كل قول، أو عمل، أو حال ، بلا رياء، ولا نفاق .
- ١٠- يقر الإسلام بالحقيقة أينما وجدت، وآية ذلك تصديقه بالرسل والأديان السابقة، واتفاقه معها في العقيدة، ودعوته إلى الإيمان بها من خلاله .
- ١١- اختصاص الإسلام بشريعته أمر مسلم به، فكل الشرائع السابقة تغايرت مراعاة لواقع الناس، يقول الله تعالى : ﴿ لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمَنْهَاجًا ﴾ (٢)
- ١٢- يتضمن الإسلام المبادئ الكلية التي يستفاد بها في توليد أحكام شرعية لكل ما يجد من أحداث .
- هذه هي الحقيقة ، ويا ليت الناس يدركونها، ويتيقنون من عظمة الإسلام ، وعالميته للناس أجمعين إلى يوم القيامة .

(١) سورة الزلزلة الآيتين : ٧ ، ٨ .

(٢) سورة المائدة الآية : ٤٨ .

المبحث الثاني أساس الدعوة التعريف بالإسلام

الإسلام دين الله تعالى أنزله الله ﷻ للناس، وبينه، وحفظه، وهو في جملته مجموعة من المفاهيم العقلية لا تسير وحدها إلى الناس، ولكنها تحتاج إلى من يؤمن بها، ويستجيب لما فيها من تعاليم، وينقلها إلى غيره، ويدعوه إلى التصديق بالإسلام، والدخول فيه ... وبغير هذا الجهد البشري يبقى الإسلام حبيسا في طوايا النفس، وبطون الكتب، وذكريات الماضي .

والإسلام لم ينزل الوحي به ليوضع في الأماكن المغلقة بعيدا عن الناس، وإنما اختار الله ﷻ له رسولا يستقبل الوحي النازل عليه، ويبلغه للناس وفق منهج مستقيم .

وبلغ رسول الله ﷺ الإسلام للناس طاعة لربه، والتزاما بمنهجه، وعرف رسول الله ﷺ الناس بمصادر الإسلام المنزل عليه، وكلفهم بحفظها، والمحافظة عليها، وتعهدهم بالتعليم والتوجيه حتى كمل الدين، وثبتت المصادر، وانتشر الإسلام بين المسلمين، واهتم الجميع بصيانة المصادر، وتطبيقها عمليا في حياتهم متأسين برسول الله ﷺ .

كان رسول الله ﷺ يتلقى الوحي من جبريل ﷺ ، ويحاول أن يحفظه أثناء تلقيه حتى لا ينساه ، وكان يحرك به لسانه وهو يسمعه من جبريل ﷺ فقال له الله ﷻ : ﴿ لَا تَحْرُكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَجْعَلَ بِهِ ﴾ ① إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ ② فَإِذَا قَرَأَهُ فَانْفَعْ ③ وَقُرْآنَهُ ④ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ ⑤ ﴿ (١) .

وظمأنه الله تعالى على حفظ ما يسمعه، فقال له ﷻ : ﴿ سَنُقَرِّئُكَ فَلَا تَنْسَى ⑥ إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ إِنَّهُ يَعْلَمُ الْجَهْرَ وَمَا يَخْفَى ⑦ ﴾ (٢) .

(١) سورة القيامة الآيات من ١٦ : ١٩ .

(٢) سورة الأعلى الآيتين : ٦ ، ٧ .

واستجاب رسول الله ﷺ لأمر الله تعالى ، فأخذ يسمع القرآن الكريم ، ويتقن القراءة ، ويفهم المعنى ، ويتدبر المراد ، وقام ﷺ بما وجب عليه إزاء الوحي طاعة لأمر الله تعالى وهو يقول له : ﴿ يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَغْتَ رِسَالَتَهُ ﴾ (١).

وأخذ رسول الله ﷺ ينقل لأصحابه الكرام كل ما ينزل عليه ، ويعلمهم معناه ، ويحثهم على ضرورة حفظه ، وتدبره ، والعمل به ، ودعوة الناس إليه .
والتف أصحابه حوله ﷺ يحفظون الوحي المنزل ، وكان ﷺ لا يثقل عليهم ، ولم يزد في إقرائهم في كل مرة عن عشر آيات لا يتجاوزها إلا بعد أن يحفظوها ، ويفهموا معناها ، ويعملوا بها ، ويأمرهم ﷺ بعد ذلك أن يعلموا من وراءهم من الناس .

إن العلم بالإسلام أساس للعمل به ، وهذا ما فعله رسول الله ﷺ مع أصحابه الكرام ، فلقد كان يبلغهم كل ما ينزل عليه ، ويعلمهم كيفية التطبيق والعمل ، واشتد حرص الصحابة على اتباع رسول الله ﷺ لإيمانهم بأن الإسلام يعني العلم والعمل معا ، وكانوا - رضوان الله عليهم - يتتأبون على مصاحبة رسول الله ﷺ حتى لا يفوتهم من الوحي شيء ، وكان لأهل الصفة فضل واضح في هذه المهمة .

وتلاقت عقول الصحابة الصافية مع نور الوحي المنزل ، فرأوا آيات الله تعالى في الوجود الذي خلقه ﷻ للإنسان فعاهدوا الله تعالى ، وصدقوا فيما عاهدوا عليه ، وتلقوا الإسلام كله من رسول الله ﷺ .

وصار المسلمون في عهد رسول الله ﷺ جنودا لله تعالى في الأرض ، يسمعون ، ويطيعون ، ويعلمون ، ويعملون .

(١) سورة المائدة الآية : ٦٧ .

قام رسول الله ﷺ بتبليغ الإسلام للناس، ودعا إليه كما أمره الله تعالى،
وعلم الصحابة كيفية القيام بالدعوة، والتعريف بالإسلام، ونشر دين الله تعالى
في العالمين، فأرسل مصعباً رضي الله عنه إلى المدينة، وبعث معاذ بن جبل، وعلي
بن أبي طالب، وأبا موسى الأشعري رضي الله عنهم إلى اليمن، يدعون الناس إلى
الإسلام بالمنهج الذي تعلموه من رسول الله ﷺ، واستقبل الوفود في المدينة،
وأرسل ﷺ رسائله إلى العالم كله .

ورث المسلمون من رسول الله ﷺ واجب الدعوة إلى الإسلام، وتبليغه
للناس من بعده إلى يوم القيامة، وصار تبليغ الإسلام والتعريف به أمانة في
عنق هذه الأمة.

وليس الإسلام بدعا في عملية التبليغ، والتواصل مع الآخرين، فكل
الأديان السابقة، وكل المذاهب المعاصرة تحتاج إلى من يبلغها للناس حتى
تنتشر في المحيط الذي تقصده، ولولا عملية التبليغ لبقيت الأفكار حبيسة في
مكمنها الأول، ولما آمن بها أحد من الناس .

وليست الدعوة إلى الإسلام فريدة في بيان الأفكار الخاصة بها وتميزها
عن غيرها، فكل المفكرين في العالم يظهرون أفكارهم، ويبينون تميزها عن
غيرها، وبذلك المنهج يظهر الحق، ويثبت الصواب والحق .

إن التبليغ بصورة مطلقة عملية اتصالية تهتم بإيصال معلومات معينة
إلى من يستقبلها لتحقيق غرض مقصود، فالساسة والقادة يوجهون شعوبهم،
ويقودون اتباعهم بواسطة العمليات الاتصالية بمختلف صورها وألوانها .

والدعوة عملية اتصالية تتميز بإيصال المضمون كاملاً، وبصورة تحقق
الهدف منه، وتحيطه بآياته المقنعة، وعلاماته الظاهرة، والحضارات
الحديثة تهتم بالبلاغ والاتصال لتنتشر قيمها ومبادئها عند الآخرين .

ونظرة سريعة في وسائل الاتصال المسموعة، والمقروءة، والمصورة وغيرها تؤكد أن العالم كله يقدر الاتصال حق قدره ، ويبذل في سبيله أقصى ما يمكنه لتحقيق أحلامه وأمانيه .

وصار من المستحيل أن يعيش فريق من الناس منعزلا عن الآخرين، ولو حاول أن ينعزل لعجز، ولما استطاع .

إن العمليات الاتصالية تحقق غايات عديدة:

فهي تعرف الآخرين بما هية أصحابها، وتحيطهم بما لديهم من ثقافات ومعارف ليستفيدوا بها إذا رغبوا في ذلك .

وهي تساهم في نشر الأفكار والنظم لأن القوى القادرة تحاول مساعدة الضعفاء والمحتاجين، ولا بد أن نتصل بهم .

إن المنظمات الأممية، والمؤسسات العالمية تعتمد هي الأخرى على العمليات الاتصالية لتقوم بدورها في مساعدة مستحقي المساعدة .

وكل هذا يوضح أهمية الاتصال بالآخر، وتبليغه الرسالة المقصودة لمساعدته ماديا ومعنويا، والنهوض به كإنسان يعيش في العصر الحديث .

إن الإسلام يتميز باحترام الإنسان، وتقدير كرامته، والمحافظة على حريته، لأنه لا يرفع فريقا على غيره، ولا يحرم إنسانا من حرته، لأن الجميع عباد لله تعالى ، مكلفون بدين واحد، أنزله لهم ربهم الكريم.

والإسلام لا يعمل على استغلال ثروات جماعة لصالح جماعة أخرى، ولا يقسم الناس إلى سادة وعبيد، إنه يكرم جميع الناس بآلائه ونعمه، ويحارب الطبقيّة والعنصرية، ويزيل كافة الفوارق بين البشر، ولا يقدم إنسانا على غيره إلا بالعمل والتقوى، يقول الله تعالى : ﴿ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ

أَتَقَدَّرُكُمْ (١)، ويقول النبي ﷺ : (يا أيها الناس ، ألا إن ربكم واحد ، وإن أباكم واحد ، ألا لا فضل لعربي على عجمي ، ولا لعجمي على عربي ، ولا أحمر على أسود ، ولا أسود على أحمر ، إلا بالتقوى) (٢).

وتتميز عملية الدعوة إلى الإسلام بقيامها على حُسن الخلق، وملازمة الحكمة، ومخاطبة العقل بالدليل والبرهان، وترك الاختيار النهائي للناس، فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر .

إن تبليغ الدعوة الإسلامية ينقل الإنسان من محيط البشر إلى مجال العلم الإلهي، ومن قصور الفكر الإنساني إلى كمال تقدير الله تعالى، ... وكثيرا ما ظهر مفكرون في الحضارات الكثيرة، وظهرت أفكارهم بعيدة عن الصواب، ومغايرة للواقع، وباحثة عن مثالية خيالية بعيدة عن الناس، وداعية لأوهام لا تقبل التطبيق .

إن الإسلام دين يؤمن بالحق، ويعمل به، ويعيش له، ويضع منهجا عمليا واقعيا لكل تعاليمه، فالعقيدة تتجه للعقل بالآيات والبراهين المرئية في الكون، والمقروءة في الوحي المنزل، وتدور الشريعة مع سلوك الناس، وتنظم لهم جوانب الحياة في جميع أقوالهم، وأعمالهم، وأحوالهم، وتوجه الأخلاق الإسلامية إلى حُسن المعاملة، ورقة الشعور، وإيقاظ إنسانية الإنسان .

إن الإسلام يجعل الإنسان يعيش دنياه بحكم الله ﷻ، ويلقى ربه في النهاية بعيدا عن نزوات البشر، وبريق الشهوة والهوى، ورغبات طغيان القوة البشرية الظالمة .

(١) سورة الحجرات الآية : ١٣ .

(٢) مسند أحمد بن حنبل - مسند الأنصار، حديث رجل من أصحاب النبي ﷺ - حديث : ٢٢٨٦٤

إن الإسلام يحمل قوته وصدقه في تعاليمه التي نزل الوحي بها، ويصنع الإنسان كما أمره الله تعالى، وكما دعاه في قوله ﷺ : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾ (١)، وواجب المسلمين أن يصدقوا في إيمانهم، ويخلصوا في التعريف بدينهم، ويدأبوا الدعوة إليه في الأوطان والمكونات التي يتمكنون من الوصول إليها، سواء أكانت قريبة منهم كالزوجة، والأولاد، والأهل، أو كانت بعيدة عنهم في البلاد الأخرى، يقول النبي ﷺ: (فوالله لأن يهدي بك رجلا واحدا خير لك من حمر النعم) (٢)، وفي رواية أخرى (لأن يهدي الله على يدك رجلا خير لك مما طلعت عليه الشمس) (٣).

إن ملازمة الإسلام لتحقيق السعادة ، ونشر الأمن أمر ظهر في كل مكان أسلم أمره الله تعالى، والتزم بشرعه الحنيف طوال عصور التاريخ .
يقول الأستاذ/ أبو الحسن الندوي : " عمد محمد ﷺ إلى الذخائر البشرية ، وهي أكاداس من المواد الخام ، أضاعتها الجاهلية والكفر ، والإخلاق إلى الأرض، فأوجد فيها بإذن الله تعالى الإيمان والعقيدة، وبعث فيها الروح الجديدة، وأثار دفائنهما، وأشعل مواهبهما، ووضع كل واحد من أصحابه في موضع يليق به، فصار كأنه خلق له، وكأن المكان كان شاغرا لم يزل ينتظره، ويتطلع إليه، وكأنه كان جمادا فصار جسما ناميا ، وإنسانا عاقلا ، وكأنما كان ميتا لا يتحرك فعاد حيا يملئ على العالم إرادته ، وكان أعمى لا يبصر الطريق فأصبح قائدا بصيرا يقود أهم الأمم.

(١) سورة الأنفال الآية : ٢٤ .

(٢) صحيح البخاري، كتاب الجهاد والسير، باب دعاء النبي ﷺ الناس إلى الإسلام ، حديث : ٢٨٠٤

(٣) المستدرک علی الصحیحین للحاکم - کتاب معرفة الصحابة ﷺ ، ذكر أبي رافع - حديث : ٦٥٧٨ .

يبين الله تعالى هذا الفرق فيقول ﷺ : ﴿أَوْمن كَانَ مِيتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِنْهَا﴾ (١) .

عمد ﷺ إلى الأمة العربية الضائعة، وإلى أناس من غيرها فما لبث العالم أن رأى من اتباع رسول الله ﷺ وصحابته الكرام نوابغ كانوا من عجائب الدهر ، وسوانح التاريخ (٢).

أصبح عمر بن الخطاب ؓ الذي كان راعيا في الجاهلية لا شأن له عند أبيه، وكان يشتمه وينهره، ويراه عاجزا عن رعاية قطيع الغنم . وبعد الإسلام أصبح عمر هذا مفاجأة العالم بعبقريته، وإدارته، ورؤيته للأحداث، دحر كسرى وقيصر عن عروشهما، وأسس دولة إسلامية تجمع ممتلكاتهما، وتفوقهما في الإدارة ، وحسن النظام، فضلا عن الورع والتقوى والعدل الذي لا يزال المثل السائر بين الناس .

وهذا خالد بن الوليد ؓ كان أحد فرسان قريش الشبان، يحارب معها في نطاق محلي ضيق، إذ به يلمع سيفا إلهيا لا يقوم له شيء إلا حصده، وينزل كصاعقة على الروم والفرس، ويترك ذكرا خالدا في التاريخ .

وهذا أبو عبيدة بن الجراح ؓ وكان موصوفا بالصلاح، والأمانة، والرفق، لا دور له في الجاهلية ، فإذا به يتولى القيادة العظمى للمسلمين، ويطردهرقل من ربوع الشام ومروجها الخضراء، فيتركها هرقل متحسرا، ويودعها الوداع الأخير، ويقول لها: سلام عليك يا سورية، سلام لا لقاء بعده " .

وهذا عمرو بن العاص ؓ أحد عقلاء قريش، يسافر إلى الحبشة للتضييق على المسلمين، فيرجع خائبا، وإذا به يفتح مصر وتصير له صولة

(١) سورة الأنعام الآية : ١٢٢ .

(٢) انظر الطبقات الكبرى لابن سعد في حديثه عن الصحابة المذكورين .

عظيمة في الفتح والإدارة .

وهذا سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه لم نسمع به في التاريخ العربي قبل الإسلام كقائد جيش، ورئيس كتيبة، إذا به يتقلد مفاتيح المدائن، ويفتح العراق، وإيران وهذا سلمان الفارسي رضي الله عنه كان ابن موبدان في إحدى قرى فارس، لم يزل ينتقل من رق إلى رق ، ومن قسوة إلى قسوة ، إذا به يطلع على أمتة كحاكم لعاصمة الأمبراطورية الفارسية التي كان بالأمس أحد رعاياها، وأعجب من ذلك أن هذه الوظيفة لا تغير من زهادته، وتقشفه، فيراه الناس يسكن في كوخ، ويحمل على رأسه الأثقال .

وهذا بلال الحبشي رضي الله عنه " يبلغ من فضله وصلاحه مبلغا يلقيه فيه أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه بالسيد .

وهذا سالم مولى أبي حذيفة رضي الله عنه ، يرى فيه عمر رضي الله عنه موضعا للخلافة بعد موته، فيقول لو كان سالم حيا لاستخلفته .

وهذا زيد بن حارثة رضي الله عنه يقود جيش المسلمين إلى موته، وفيه جعفر بن أبي طالب وخالد بن الوليد رضي الله عنه، ويقود ابنه أسامة رضي الله عنه جيشا فيه أبو بكر وعمر رضي الله عنه .

وهذا أبو ذر، والمقداد، وأبو الدرداء، وعمار بن ياسر، ومعاذ بن جبل، وأبي بن كعب رضي الله عنه ، تهب عليهم نفحة من نفحات الإسلام ، فيصبحون من الزهاد المعدودين، والعلماء الراسخين .

وهذا علي بن أبي طالب، وعائشة، وعبد الله بن مسعود، وزيد بن ثابت، وعبد الله بن عباس رضي الله عنه قد أصبحوا في أحضان النبي صلى الله عليه وسلم من علماء العالم، يتفجر العلم من جوانبهم ، وتتطلق الحكمة على لسانهم، أبر الناس قلوبا، وأعمقهم علما، وأقلهم تكلفا، يتكلمون فينصت الزمان، ويخطبون فيسجل كلامهم قلم التاريخ .

لقد وضع محمد ﷺ مفتاح النبوة على قفل الطبيعة البشرية فانفتح على ما فيها من كنوز وعجائب، وقوى ، ومواهب أصابت الجاهلية في مقتلها ، أو صميمها، فأصمى رميته، وأرغم العالم العنيد بحول الله تعالى على أن ينحو نحواً جديداً، ويفتح عهداً سعيداً، ذلك هو العهد الإسلامي الذي لا يزال غرة في جبين التاريخ (١) .

لقد صنع رسول الله ﷺ من أصحابه شخوصاً عظيمة، وأخرج بهم خير أمة في الأرض حتى صاروا أعجوبة الدنيا، وغرائب التاريخ، ووصل الإسلام بهم نظرياً وعملياً إلى العالم كله .
ويقف العاقل أمام هذه الظاهرة، ويبحث عما فعل رسول الله ﷺ ، وعما صنع بهذه الأمة ...

إن رسول الله ﷺ دعا أصحابه إلى الإسلام، وركز دعوته على الإيمان بالله ﷻ فتيقن المسلمون من قدرة الله تعالى فاستسلموا له، ورضوا بالقدر، وعلموا أن قدر الله شامل لكل جزئية في هذا الوجود، فخضعوا له وهم يعلمون أن كل شيء بقدر الله ﷻ، ومن الحتمي الرضا به حتى لا يغرهم نصر، ولا تقعدهم هزيمة، ورأوا في كل حدث حكمة، وصدقوا في إيمانهم، فسارعوا إلى الطاعة، ولم يرضوا بأي حكم لغير الله تعالى.
لقد كون المسلمون مع رسول الله ﷺ أمة صادقة، ترى الأخوة في العقيدة، والحب والمودة بين المؤمنين، ولم يظهر بينهم أي مخالفة لحكم الله تعالى .
إن تبليغ الإسلام من أجل الفوائد للإنسانية كلها قديماً وحديثاً ، ويجب أن يستمر لتحقيق الخير للناس، وضمان حقوقهم، وصيانة أمانيتهم، وأمنهم .

(١) ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين ص ١٥٦ : ١٥٨ ط الاتحاد الإسلامي .

المبحث الثالث

دور المسلم في الدعوة إلى الإسلام

أنزل الله تعالى الإسلام للناس، وربطه بمصادره الثابتة، وجعله المنهج الحياتي لكل مكلف، وصار المكلف به مسئولاً عنه من جهات عدة ، ... أهمها : -

أولاً : العلم به وتفهم أصوله، وفروعه، وبخاصة تلك الأمور التي يحتاج إليها المسلم، ... وهذه قضية أساسية لأن الإسلام في جملته مجموعة من المعارف المنزلة تحتاج لمن يعلمها، ويفهمها، ويطبقها بوعي وقصد، ... وأخطر ما يصيب المسلم هو الجهل بالإسلام ، لأنه بهذا الجهل لا يعرف ماذا يقول ؟ ... ولا ماذا يفعل ؟ ...، ويجهل الأحكام الشرعية التي يحتاج إليها في حياته ومماته، ويعيش حائراً بين قيم يتمناها، وجهل يسد أمامه منهج الأمل والسلوك .

إن الإسلام علم ومعرفة، وكيف يؤمن به من يجهله ولا يعرفه ؟ ولم يؤت المسلمون في حياتهم إلا بسبب جهلهم بالدين، فرضوا بالمعاصي، والفسق، والشهوات، وبعثوا عن الحق والصواب .
ثانياً : العمل بأحكام الإسلام والالتزام بها في كل الأمور، لأن الإسلام لم ينزل في الناس ليبقى إعلاناً مجرداً من العمل .

ولم تنزل مصادره لتوضع في أدراج المكاتب، وخزائن الكتب .
ولم يكلف المسلمون بحفظ القرآن الكريم ليتلى على الأموات، وفي المقابر
ولم تبين السنة النبوية القرآن الكريم لمجرد الثقافة الفكرية .
لقد نزل القرآن الكريم ، وثبتت مصادره لتصير علوماً تعرف بالإسلام، وعملاً يصور الإسلام، ودعوة للناس أجمعين، ... يقول الله تعالى : ﴿ وَمَا

أَرْسَلْنَا مِنْ رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ ﴿١﴾ .

إن الإسلام نزل لصناعة الحياة، وإيجاد قرآن يتحرك في عمل كل مسلم ومسلمة .

إن المسلم الحق هو المسلم بكلامه، وعمله، وخلقه ، فلا يقول إلا حسنا، ولا يعمل إلا طاعة، ولا يتخلق إلا بالحسن .

لقد كان خلق رسول الله ﷺ القرآن ، ومعنى ذلك أن كلامه، وعمله، وخلقه صورة تطبيقية لتعاليم القرآن الكريم ، ... وواجب كل مسلم أن يقتدي برسول الله ﷺ ، ويجعل القرآن الكريم دستور أقواله، وأفعاله، وأخلاقه . وبهذا يتم العلم، ويصدق العمل، والسلوك .

ثالثاً : نشر الإسلام في أرض الله تعالى، وإيصاله للناس على وجهه الصحيح، وبصورة تحرك القلوب، وتخطب العقول، وتزين الإسلام، وتحبب الناس فيه .

ومن إيجابية المسلم أمام هذه المزاعم أن يقدم الإسلام في عمله سلوكا وتطبيقا، ويعرف الناس بحقائقه، وينشر فيهم سياسة الإخوة، والصدق، والتعاون من خلال معاملاته مع الناس ليعرفوا منه الإسلام عمليا مطبقا . ومن إيجابية المسلم مع الإسلام أن يشعر بمسئوليته إزاءه، ويدرك أنه يحمل الأمانة التي أبت السماء والأرض والجبال حملها، وأنه مسئول عنها .

ومن هذه الإيجابية أن يرى المسلم نفسه المسئول الوحيد عن الإسلام ، وعليه أن يستمر في الدعوة إليه بقدر استطاعته، وفي المجال الذي يعيش فيه، ... فإن كان فردا تعاون مع غيره ، وإن كان زوجا اهتم بزوجه وبنيه، كما يدعو جيرانه ومن يعيش معهم .

إن المسلم في كل حالاته مكلف بواجب الدعوة إلى الله تعالى .
يذهب أهل السنة والجماعة إلى أن الأمة الإسلامية كلها مسئولة عن تبليغ الإسلام ابتداءً، وكل مسلم يدعو على قدر استطاعته فإن قام البعض بالدعوة كفى، يقول الله تعالى : ﴿ وَلَتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ (١) ، حيث تدل الآية على وجوب تخصيص الأمة لجماعة منها تعلم الخير والمعروف، وتتقن كيفية الدعوة إلى الله تعالى، والخطاب في الآية موجه للأمة كلها، ودال على الوجوب بلام الأمر الداخلة على الفعل المضارع ﴿ وَلَتَكُنْ ﴾ ، وقيام البعض بأداء هذا الواجب كاف في الأداء، وعلى ذلك فمن قوله: ﴿ مِنْكُمْ ﴾ للبيان وليست للتبويض، والمعنى كونوا أمة داعية لله تعالى، تربي من بنيتها دعاة لدين الله. وهذا الرأي يجعل كل مكلف يقوم بالدعوة بقدر استطاعته، وفي أي مكان يكون فيه، في البيت مع زوجته وأبنائه، أو في المجتمع مع جيرانه، وأصحابه، أو في المسجد مع رفقاءه وأصدقائه، ... بالقول ، أو بالفعل ، أو بالقدوة، أو بالصمت والإشارة، أو بالتربية والنصيحة .
وبهذا الرأي تبقى الدعوة إلى الإسلام مسئولية كل مسلم يحاسب عليها بصورة فردية .

ومن العلماء من يذهب إلى أن التبليغ فرض على المستطيع ابتداءً مثل فريضة الحج والصوم لقوله تعالى : ﴿ * وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنْفِرُوا كَافَّةً فَلَوْلَا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ﴾ (٢) ، حيث تدل الآية على الوجوب العيني في التبليغ

(١) سورة آل عمران الآية : ١٠٤ .

(٢) سورة التوبة الآية : ١٢٢ .

لمن تمكن منه بالعلم والفقه، ... أما العاجز عن التبليغ فالوجوب لا يشمل، وهذه مسألة تشمل الأحكام الشرعية كلها، يقول الله تعالى: ﴿لَا يَكُفُّ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ (١)، وهذا يفيد ضرورة تخصيص جماعة من المسلمين للنفقة، والتعلم لتكون قادرة على القيام بهذا الواجب .

وذهب آخرون إلى أن الدعوة فرض على الكفاية ، ومن في قوله تعالى: ﴿مِنْكُمْ﴾ للتبعيض، ومعنى ذلك وجوب الدعوة على هذا البعض، وعلى الباقين تيسير أمرهم، لأنهم إن لم يقوموا بالدعوة يأثم الجميع .

يقول الإمام الشافعي : " فرض الكفاية يكون واجبا على العموم، وواجبا على الخصوص، فوجوبه على الخصوص يختص بالقادرين الذين تهيأوا له، وجوبه على العموم إنما يكون ببذل وسعهم في إعداد هؤلاء القادرين " (٢).

وتوضح هذه الآراء مسئولية الأمة كلها عن الدعوة ، فهي تبذل في التعليم ، والانفاق، والتهيئة لإعداد الدعاة والعلماء الذين يتقنون معرفة الخير، وطرق الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، ورد ما يقال عن الإسلام والمسلمين ، وبذلك تكون الدعوة إلى الإسلام فرضا عينيا، وفرضا كفاييا في نفس الوقت، حتى يساهم فيها كل فرد بما يمكنه .

إن المسلم مسئول عن الإسلام في نفسه، وفيمن يعولهم، وفي العالم كله، وإيجابيته معه تكون في فهمه، والعمل به، ودعوة الناس إليه .

وقد أوجب الله تعالى على كل مسلم أن يبلغ دين الله تعالى إلى الآخرين مسلمين كانوا أو غير مسلمين، يقول الله تعالى: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ

(١) سورة البقرة الآية : ٢٨٦ .

(٢) عمدة القارئ بشرح صحيح البخاري ج ٢ ص ١٤٣ .

وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ^٤ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٧﴾ (١) .

ويقول النبي ﷺ :

- عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنه أن النبي ﷺ ، قال : (بلغوا عني ولو آية) (٢) ، وفي الحديث أمر بالتبليغ ولو بجزء يسير ، والأمر يفيد الوجوب .
- وعن أبي سعيد رضي الله عنه قال سمعت رسول الله ﷺ يقول : (من رأى منكم منكرا فليغيره بيده ، فإن لم يستطع فبلسانه ، فإن لم يستطع فبقلبه ، وذلك أضعف الإيمان) (٣) ، يقول الإمام النووي : وأما قوله ﷺ : (فليغيره) فهو أمر يفيد الإيجاب بإجماع الأمة (٤) .
- ويقول ﷺ : (نضر الله امرأ سمع منا حديثا ، فحفظه فأداه إلى من هو أحفظ منه ، فرب حامل فقه ليس بفقيه ، ورب حامل فقه إلى من هو أفقه منه) (٥) .
- وعن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه ، عن النبي ﷺ قال : (والذي نفسي بيده لتأمرن بالمعروف ، ولتنهون عن المنكر ، أو ليوشكن الله أن يبعث عليكم عقابا منه ثم تدعونه فلا يستجاب لكم) (٦) .

(١) سورة التوبة الآية : ٧١ .

(٢) صحيح البخاري - كتاب أحاديث الأنبياء ، باب ما ذكر عن بني إسرائيل - حديث : ٣٢٩٢

(٣) صحيح مسلم - كتاب الإيمان ، باب بيان كون النهي عن المنكر من الإيمان - حديث : ٩٥

(٤) شرح النووي على مسلم ج ٢ ص ٢٢ .

(٥) سنن الدارمي - باب الاقتداء بالعلماء ، حديث : ٢٣٩

(٦) سنن الترمذي الجامع الصحيح - الذبائح ، باب ما جاء في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

حديث : ٢١٤٦

- وعن تميم الداري رضي الله عنه أن النبي ﷺ ، قال : (الدين النصيحة " .
قلنا : لمن ؟

قال ﷺ : لله ، ولكتابه ، ولرسوله ، ولأئمة المسلمين وعامتهم (١) .

- وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ ، قال : (من دعا إلى هدى ،
كان له من الأجر مثل أجور من تبعه ، لا ينقص ذلك من أجورهم
شيئا ، ومن دعا إلى ضلالة ، كان عليه من الإثم مثل آثام من
تبعه ، لا ينقص ذلك من آثامهم شيئا) (٢) .

- وعن عدي بن عمير رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : (إن
الله لا يعذب العامة بعمل الخاصة ، حتى يروا المنكر بين ظهرائهم
، وهم قادرون على أن ينكروه فلا ينكروه ، فإذا فعلوا ذلك ، عذب
الله الخاصة والعامة) (٣) .

ودلالة الآيات والأحاديث والعقل على وجوب الدعوة مستفاد من عدة أوجه:
الوجه الأول :

الأمر بالدعوة والبلاغ في الآيات والأحاديث يفيد الوجوب ما لم يصرفه
عن الوجوب دليل آخر ، ولا صارف لهذا الأمر عن دلالته ، ولم توجد قرينة
مانعة من إرادة الوجوب ، كما أن ورود الدعوة والتبليغ بصيغة المضارع
مسيبقة بلام الأمر أوضح في الدلالة على الوجوب ، لأن الصيغة حينئذ تفيد
الوجوب المستمر .

الوجه الثاني :

الإخبار بأن الدعوة والتبليغ هي عمل رسول الله ﷺ ، وهي رسالته

(١) صحيح مسلم - كتاب الإيمان ، باب بيان أن الدين النصيحة - حديث : ١٠٧

(٢) صحيح مسلم ، كتاب العلم ، باب من سن سنة حسنة أو سيئة ومن دعا إلى هدى - حديث : ٤٩٣٧

(٣) مسند أحمد بن حنبل - مسند الشاميين ، حديث عدي بن عميرة الكندي - حديث : ١٧٣٨٢

وهذا يفيد وجوب الدعوة على المسلمين.

الوجه الثالث :

لعن الله تعالى من لم يقم بالدعوة، والنصيحة، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، وهذا دليل على وجوب التبليغ ، لأن اللعن لا يكون إلا على ترك واجب .

الوجه الرابع :

المساواة في الأمر بين إقامة الصلاة، وإيتاء الزكاة، والنصح لكل مسلم دليل على وجوب الدعوة والتبليغ .

الوجه الخامس :

رتب الله تعالى الفلاح على من يقوم بالأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، وهذا يدل على وجوبه .

الوجه السادس :

الوعيد الشديد لمن ترك الدعوة، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر دليل على وجوب التبليغ، لأن الوعيد الشديد لا يكون إلا على ترك الواجب .

الوجه السابع :

حرم الله تعالى تعذيب الكافرين قبل مجيء الرسول لهم ، وذلك في قوله تعالى ﴿ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ تَبْعَثَ رَسُولًا ۝١٥ ﴾ (١) .

وحتى لا تبقى لغير المسلمين شبهة عذر تجعلهم يقولون ما حكاه الله عنهم في قوله ﷻ : ﴿ رَبَّنَا لَوْلَا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ آيَاتِكَ مِن قَبْلِ أَن نَّذِلَّ وَنَخْزَىٰ ﴾ (٢)، قضى بضرورة وجوب تبليغ الدعوة، لأن السؤال والمؤاخذة ضرورة مقررة .

(١) سورة الإسراء الآية : ١٥ .

(٢) سورة طه الآية : ١٣٤ .

الوجه الثامن :

إن القتال لم يفرض لعينه بل لحماية الدعوة، وإزاحة الطغاة، ومن المعلوم أن الدعوة باللسان أهون من الدعوة بالقتال، فإذا احتتم حصول المقصود بأهون الدعوتين لزم اللجوء إليه .

الوجه التاسع :

إن الإخوة الإسلامية تدعو إلى التناصح، والتعاون، والدلالة على الخير والمصلحة، وقمة الخير الهداية الدينية، والدعوة إلى الله تعالى .

يقول الإمام الغزالي : إن الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر هو القطب الأعظم في الدين، وهو المهم الذي ابتعث الله تعالى له النبيين أجمعين، ولو طوي بساطه، وأهمل عمله لتعطلت النبوة، واضمحلت الديانة، وعمت الفترة، وفشت الضلالة، وشاعت الجهالة، واستشرى الفساد، واتسع الخرق، ، وخربت البلاد، وهلك العباد ولم يشعروا بالهلاك إلا يوم التناد (١) .

وبهذه الأدلة من القرآن الكريم ومن السنة النبوية المشرفة، ومن العقل يتضح وجوب تبليغ الدعوة ، وعلى وجه يكون هو البلاغ في الحقيقة ، إذ لا يكفي الأداء بصورة باهتة، وبخاصة بعد أن أصبحت البشرية مسلحة بالعلم، والمخترعات الكثيرة، وصار التخطيط والتنظيم سمة شاملة لكل ما في الحياة.

(١) إحياء علوم الدين ج ٧ ص ٤ .

الفصل الثالث

المنهجية الدينية

في

الدعوة إلى الله تعالى

المنهجية الدينية في الدعوة إلى الله تعالى

شأن الدعوة إلى الإسلام شأن نشر أي فكر، فهو يحتاج إلى من يعلمه، ويؤمن به ، ويحمّله للآخرين بوضوحه وبهائه، ورسالة الرسول ﷺ هي تبليغ الدعوة، يقول ﷺ: ﴿ وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا أَلْبَلُغُ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ (١) ، ويقول ﷺ: ﴿ يَأْتِيهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ ﴾ (٢).

وقد قام ﷺ بالدعوة على الوجه الأكمل، وترك للمسلمين من بعده تراثاً خالداً يعرف بالإسلام، ويعرف بالدعوة إليه، وقال لهم ﷺ :

- (بلغوا عني ولو آية) (٣).

- (ألا ليبلغ الشاهد منكم الغائب) (٤) .

- (تسمعون ويسمع منكم ، ويسمع ممن يسمع منكم) (٥) .

وعرف ﷺ أصحابه بالإسلام، وأمرهم بالدعوة إليه على النحو الذي قام به ، وآمن المسلمون بواجبهم تجاه الإسلام، فأتقنوا فهمه، والعمل به، وحرصوا كذلك على نقله إلى غيرهم، حتى وصل الإسلام للعالم كله، وانتشر في سائر التجمعات، وقام المسلمون بما وجب عليهم .

وفي هذا الفصل سأبين منهجية الدعوة إلى الإسلام كما كانت في العصر الأول، حيث عصر التأسيس والتأصيل، وضرورة استمرارية الدعوة إليه في العصر الحديث على نمط العصر الأول، وذلك في المباحث التالية:

(١) سورة النور الآية : ٥٤ .

(٢) سورة المائدة الآية : ٦٧ .

(٣) صحيح البخاري - كتاب أحاديث الأنبياء، باب ما ذكر عن بني إسرائيل - حديث : ٣٢٩٢ .

(٤) صحيح البخاري - كتاب العلم، باب : ليبلغ العلم الشاهد الغائب - حديث : ١٠٤ .

(٥) صحيح ابن حبان، كتاب العلم، ذكر الإخبار عن سماع المسلمين السنن خلف عن سلف، حديث : ٦٢ .

المبحث الأول

منهجية الدعوة في العصر الأول

تعد فترة البعثة المحمدية فترة تأسيس لعملية الدعوة، ففيها بين رسول الله ﷺ الوحي الذي نزل عليه للناس بطرق متعددة، فكان ﷺ يستقبل الوحي المنزل، ويقرأ على أصحابه ما ينزل عليه من القرآن الكريم، ويتعهدهم بالقراءة، والحفظ، والبيان والتفهم، ولذلك سماه الله بالبينة في قوله تعالى: ﴿حَتَّى تَأْتِيَهُمُ الْبَيِّنَةُ ۖ رَسُولٌ مِّنَ اللَّهِ يَتْلُو صُحُفًا مُّطَهَّرَةً ۝﴾ (١) .

وأهم الصور العملية التي قام بها رسول الله ﷺ مع أصحابه، وصار أسوة للمسلمين من بعده ما يلي :-

أولاً: تعليم أصحابه القرآن الذي ينزل عليه مرتبطاً بسببه، وتصويراً لتطبيقه، وتوجيهها لهم، وكان الصحابة يومذاك على سليقة العرب، يفهمون معنى القرآن الكريم الذي ينزل بلغتهم، وإن خفي عليهم معنى آية سألوا عنها رسول الله ﷺ، وكثيراً ما نزل القرآن الكريم جواباً لأسئلتهم .

وشاءت إرادة الله تعالى أن يتضمن القرآن الكريم أصول الإسلام، ومنهج الدعوة إليه، فصار دستوراً جامعاً للدين والدعوة إليه .

لقد فصل قصص القرآن الكريم كافة العقائد التي وجدت وستوجد مع الناس إلى يوم القيامة، وصور طبائع النفوس، وبين جدل الخصوم والكافرين وفصل حجج عبدة الأصنام، ووضح أقوال منكري الدين، وحدد أخلاق المنافقين، وحيل أنصار الهوى، ... ولذلك بقي القرآن الكريم دستور الإسلام، ودستور الدعوة إليه .

ثانياً : كان النبي ﷺ دائم التوجيه لكل من يمكنه أن يتصل به، ويدعوه

(١) سورة البينة الآيتين : ١ ، ٢ .

إلى الإسلام بالحكمة والموعظة الحسنة، وسار هذا الأمر على منهج التمدد الطبيعي في التواصل مع الناس .

فدعا أولاً زوجته ومن معه كعلي بن أبي طالب، وأبي بكر الصديق، وزيد بن حارثة ، ﷺ

ثم دعا أهله وقومه بعد ذلك بعد أن جمعهم على مائدة طعام أعدها لهم استجابة لقوله تعالى : ﴿ وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ ﴾ (١).

ودعا أهل مكة ومن حولها، كما قال الله تعالى له : ﴿ لِيُنْذِرَ أُمَّ الْقُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا ﴾ (٢) .

ووجه ﷺ دعوته إلى العرب وإلى القبائل التي وفدت إلى مكة لزيارة بيت أبيهم إبراهيم ﷺ، لقوله تعالى : ﴿ لِيُنْذِرَ قَوْمًا مَّا أَتَتْهُمْ مِنْ نَذِيرٍ مِّنْ قَبْلِكَ ﴾ (٣) ولما تمت الهجرة تأسست الدولة الإسلامية التي تعرضت لهجوم الكفار والمشركين للقضاء عليها.

ولما ترسخت أسس الدولة دعا رسول الله ﷺ العالم كله بعد الحديبية ممثلاً في الملوك، ورؤساء القبائل، وسادات الناس، فأرسل لهم الرسل، والكتب، واستقبل الوفود، ووصل ﷺ بدعوته إلى سائر الناس .

إن العالم في زمن رسول الله ﷺ كان في أمس الحاجة إلى الإسلام، فقد عمّه ضلال في العقيدة، وانحراف في السلوك، وفساد في الخلق والمعاملات، وجعل تام بحقائق الدين، ولم يبق في العالم إلا مسميات لأديان سابقة اختفت مصادرها، وعمها الجهل والغموض.

(١) سورة الشعراء الآية : ٢١٤ . .

(٢) سورة الشورى الآية : ٧ .

(٣) سورة القصص الآية : ٤٦ .

وساد العالم في هذا الزمان صراع عام بين عناصر الأمة الواحدة، وبينها وبين غيرها، وكان الصراع يتكرر بصورة متلاحقة، فمنهزم اليوم ينتصر غداً، وهكذا دواليك من غير توقف، وغالباً ما كان الصراع بسبب طبقي، أو اقتصادي، أو ديني تبعاً لاختلاف البيئات .

كما أن هذا الصراع وجد في البيئة الواحدة، وفي الدولة الواحدة، وبين الأقاليم المختلفة .

وقد قام رسول الله ﷺ بالدعوة وسط هذا الصراع المتكاثر، ولم يكن طرفاً فيه، وجعله متكافئاً لدعوته، وسبباً لضرورة الإسلام، والتخلص من كافة صور الصراع ومخاطره .

ومع تنوع أسباب الصراع وجدت ظواهر عامة في سائر الأمم من أمثال ظاهرة الرق التي سادت العالم كله، وأوجدت بين الناس طبقة مستذلة لا تملك من أمر نفسها شيئاً، تباع وتشترى كالحیوان والمتاع تماماً، وقد انتشرت أسواقهم في العالم كله، وتعمقت هذه الظاهرة بعد أن أخذت الطابع المقدس في كثير من الأقاليم، وأدت إلى تأجيج الصراع، وظهور الثورات .

ففي الدولة الرومانية الشرقية قامت ثورات عدة من أشهرها ثورة الزرق والخضر في أثناء حكم جستينان سنة ٥٣٢ م التي طالبت بإقصاء وزير المالية ، وإجراء تعديلات كثيرة ، وقد قضى جستينان على هذه الثورة بإراقة دماء كثيرة وصلت إلى قتل خمسة وثلاثين ألفاً (١) .

وفي الدولة الرومانية الغربية نشأت دولة جرمانية، وقامت ثورات عدة، وحروب كثيرة من أشهرها في بلاد الغال "فرنسا" حيث ظهر الصراع بين كلوفسي وسيجاريوس، والثورنجيين، والبرجنديين، والأليمان.

(١) الإمبراطورية البيزنطية ص ٦٠ : ٦٣ بتصرف .

وكان هناك صراع في إيطاليا .

كما وجد صراع بين البربر في شمال إفريقيا (١) .

وعند العرب كانت أيامهم ، كيوم داحس والغبراء الذي استمر مدة طويلة، وحرب بعاث بين الأوس والخزرج، وقد استمرت إلى قبيل الإسلام .

وفي فارس كان الصراع مستحكماً بين أفراد البيت الواحد، بين الأب والابن، ومما ساعد على ازدهار الصراع في الفرس ظهور مذهب " ماني" القائم على الشيوعية المطلقة في المال، والمرأة .

ومع الصراع الإقليمي وجد الصراع الدولي بين الفرس والروم، إذ كانت الحرب مستعرة بينهما على الدوام في أطراف الجزيرة العربية جنوباً في اليمن، وشمالاً بين الغساسنة والمناذرة في الشام .

إن الصراع بكافة أشكاله وصوره يؤدي حتماً إلى تغيير اجتماعي، وقد سلم علماء الاجتماع بضرورة هذا التغيير، إلا أنه يتجه عندهم في النهاية إلى إحداث تغييرات عديدة تشمل المبادئ، والقيم، والمفاهيم (٢) .

ومن التغييرات التي يمكن أن تحدث بعد أي صراع ظهور قوى جديدة، وبروز أفراد يقابلون المخاطر بفهم وشجاعة، كما أن التفتح الذهني يجعل المتصارعين لا يتعصبون لشيء معين، ويبحثون عن أي قيمة إنسانية تخلصهم من هذا الصراع، كما أن الطبقة المستضعفة تتبنى الخلاص والهروب مما هي فيه .

وقد استفادت الدعوة الإسلامية من كل هذا، لأن القوى الجديدة التي ظهرت في مكة كانت ركيزة لإنطلاق الدعوة وفكرها، وكان اتباع الدعوة

(١) المسلمون والجرمان ص ٢٥ ، ٣٠ ، ٣٧ .

(٢) أصول علم الاجتماع ص ٨٥ ، ٢٢٠ .

الأول من هذه الفئات الجديدة التي لا تتعصب لمواريث قديمة لهم، كما أن الأفراد الأقوياء كحمزة بن عبد المطلب، وعمر بن الخطاب رضي الله عنهما كان لهما دورهما في الدعوة بعد إسلامهما .

إن صراعات هذا الزمن تميزت عن كل ما سبقها بالشمول والعمق، حيث انتشرت في العالم كله بشكل مستمر ومتجدد، كما أنها لامست سائر حياة الناس، وعاشت في نفوسهم وأحلامهم، ولذلك كانت نهايتها أمنية صادقة على مستوى هذا الشمول ، وهذا العمق، **فلما جاءت الدعوة الإسلامية هادفة إلى تغيير جذري في المجتمع ، وإزالة الصراع والآلام من حياة الناس، وتحرير العبيد، والمنبوذين، والأجراء من وضعهم البائس، ووضعهم في الإطار النظيف الذي جعله الإسلام للناس بما فيه من كرامة، وحرية ، ومساواة، آمن الناس، ودخلوا في دين الله أفواجا .**

إن العالم عند ظهور الإسلام كان في أمس الحاجة إلى الإسلام، ولما جاءهم الإسلام بوضوحه وبيانه دخلوا فيه وهم راضون، وانتشر الإسلام بين الناس في وقت قصير .

وكان للموالي الدرجة العليا في نشر الإسلام، لأنهم معه علموا، وصاروا سواء مع السادة والأحرار .

ولم يكن الفتح الإسلامي إلا لإفساح الطريق للكلمة، وتحقيق الحرية في الحركة، وتمكين الضعفاء من الاستماع، والاختيار .

لم يتحدث التاريخ أبدا عن إجبار أحد على الدخول في الإسلام .

ولم يحدث أن جعل الفاتحون من أنفسهم قوة طاغية تجبر الناس على

شيء .

ولم يحدث إغراء مادي لمن يدخل في دين الله تعالى .

لكن الثابت أن الفاتحين كانوا يسكنون بعيدا عن أهل مصر في مدن يتخذونها كالفسطاط، والقطائع، والكوفة، ... فلما رأى الناس عدلهم ، وخلقهم، وبعدهم عن الدنيا أحبوا دينهم الذي علمهم وهذبهم .

ولهذا

لم يرتد أحد عن الإسلام بعد أن آمن به ، وإنما كان المسلم الجديد يصير داعيا للإسلام بين أهله ، وغيرهم من الناس .

وكان من حب الناس للإسلام أن أسرعوا لتعلم لغة القرآن الكريم ، فصاروا عربا، وظهر في أوطان الإسلام المفتوحة العلماء ، والفقهاء، والمفسرون، والمحدثون، وسبقوا في علمهم بالإسلام العرب الأصلاء .

إن استعمار البلاد الأوربية للبلاد الإسلامية استمر أكثر من قرنين من الزمان، ومع ذلك حافظ المسلمون على هويتهم، ولغتهم، ودينهم حتى خرج المستعمرون ولا أثر لهم في دين المسلمين .

واليوم يدخل كثير من الناس في الإسلام ، ويتحول المسلم إلى محب مخلص لدينه الجديد كأنه ولد به، ويشعر بمسئوليته عنه كأنه المسلم الوحيد في الأرض .

إن هذا التماسك العجيب بين الإسلام والمسلم هو سبب انزعاج خصوم الإسلام ، لأنهم لا يجدون طريقا يفصل المسلم عن التمسك بدينه، وحبه ، والإخلاص له .

قد يتصور البعض أن الإسلام كان صالحا لزمان مضى وانتهى، أو أنه جاء لجماعة خاصة دون غيرهم، ولذلك كانت مقالة البعض أن الإسلام دين العرب وحدهم، ... أو أنه دين العصور الوسطى فقط، ... أو أنه دين لا يلائم التطور في العصر الحديث، ... أو أنه لا يشرع لكافة جوانب الحياة، ... وهكذا ... كما يقول بعض الحاقدين .

إن الحكم على الشيء يحتاج إلى تصور موضوعي له ليكون الحكم على الشيء مرتبطاً بحقيقته، خالياً من أي مؤثر خارج عنه، كما يحتاج إلى عقل محايد ينظر في الشيء بدقة واعية ، متفحصاً كافة جوانبه ليصل إلى نتيجة صحيحة ، وحكم سديد .

يجب عزل موضوع الحكم عن أي ملابسات تحيط به ، حتى لا يتأثر الحكم بما ليس من الموضوع أصلاً ، فمثلاً السيارة في حركتها تقوم بوظيفتها بصورة عادية، ... وقد يعطلها عن أداء مهمتها قائد جاهل، أو انعدام الوقود، أو وجود رواسب تسد حركة التوصيل، ...

أيجوز حينئذ أن نحكم بخلل السيارة ، وعدم صلاحيتها ؟

أم نحدد موضع الخلل أولاً ثم نحكم في كل شأن بما يستحقه ؟ !!

والمتحاملون على الإسلام يلجأون إلى الأعراض الطارئة ويرونها الإسلام، ويكثرون من الحديث عنها ونقدها، ويتصورون أنهم بذلك نقدوا الإسلام وهم واهمون .

إنهم ينقدون الإسلام بانحراف شخص مسلم ، وبتخلف مجتمع المسلمين، ويتصورون الإسلام في شخص أناس لا يربطهم بالإسلام إلا أسماؤهم ، وأيضاً يرون الإسلام هو العالم الإسلامي المعاصر في تخلفه، وهوانه، وليس شيئاً من ذلك بصحيح .

إن الإسلام صالح بصلاح حقائقه، واضح بيسر مصادره ، وهيمنته مقررّة على الحياة والأحياء، يربي الإنسان ويوجهه، ويصحح الخطأ، وينشر الحق، ويبني السلام، فإذا وجد انحراف في التطبيق ، أو فساد بين الناس، أو بعد عن منهج الإسلام، ... فتلك وأمثالها عوارض يتجه النقد إليها، ... أما أن تترك، ويوجه النقد إلى الإسلام فذلك أمر يدل على سوء القصد، وعدم اتباع الحق، والانحراف عن الخط الصحيح .

ومن هنا

صار واجبا تحديد المبادئ الكلية للإسلام، والوسائل المتبعة في نشر وتحقيق هذه المبادئ، وتحديد مواطن النقد ليبراً للإسلام من أخطاء المتحاملين عليه، ويوضع في موضعه الصحيح النابع من مصادره .

لو قتل مسلم غيره فهو قاتل يقام الحد عليه، ولا يرتضي الإسلام فعلته، ولو انحرفت جماعة تدعي الإسلام ، فإن اللوم يجب أن يوجه إلى هذه الجماعة، وليس إلى الإسلام ، ... ويجب تبين خطأ من يدعي الإسلام زورا ببيان الحقيقة الدينية كما عاشها رسول الله ﷺ والمسلمون الأوائل، ...

إن بعض الناس يعيش هذه القضية، ويتصور نفسه مصلحا، ويدعي أنه يعمل للنهضة والتتوير ، مع أن كل ما يثيره ويزعمه هو وأمثاله من شبه لا تثبت أمام الحقيقة أبدا.

إن الإسلام ثبت بثبات مصادره، وحقيقته معروفة واضحة، لا خفاء فيها، وكل من يعرفه بحياد وموضوعية يدرك توافقه التام مع الإنسان المعاصر كما كان متوافقا مع إنسان العصور السابقة، وسوف يستمر في توافقه هذا مع الناس إلى يوم القيامة أينما كانوا، وكيفما كانوا

وسر هذا التوافق الدائم بين الإسلام والناس أنه منزل من عند الله تعالى العزيز الحكيم، الذي قضى له أن يستمر جديدا متجددا، صالحا لكل زمان ومكان، متلائما مع كل الناس على اختلاف أجناسهم، وألوانهم.

وهذا التوافق لا يوجد في غير الإسلام، لأن ما عداه خلط بين تعاليم الدين، وانحراف العقل، ولذلك كان دائم التغيير والتبديل لا يستقر له أمر إلا في زمن قصير، وآية ذلك خلو هذه الأديان من نظم للحياة والأحياء .

إن الله تعالى يعلم أن الإنسان دائم التطور فكريا، وحضاريا ، وسلوكيا، وفي كافة أساليب الحياة ، ... مع وجود ثوابت إنسانية تتصل بوجوده،

وكيانه، فهو عاقل يفكر، يحب الحياة، ويتمنى الخلود النسبي، ويغار على عرضه وماله، وولده، وتتملكه غريزة التفوق وحب التفرد.

جاء الإسلام من عند الله ﷻ مراعيًا حقيقة الإنسان وخصائصه جميعًا ما هو ثابت فيه وما هو متغير مما مكن له من الاستمرار، والدوام مع الناس **إن الثوابت العقلية، والنفسية، والفكرية في الإنسان دعت إلى إيجاد ثوابت في الإسلام لا تتغير أبدًا، يرضى العقل بها، ويسعد بتطبيقها، ...**

وحيثما ننظر في هذه الثوابت نجدها في أديان الله تعالى كلها منذ آدم عليه السلام وهي أساس دعوة الرسل جميعًا رغم تباعد الزمان، وتنوع الناس، واختلاف الأماكن **وهذه الثوابت الدينية** ترتبط ابتداءً بالجانب العقلي في الإنسان، حيث تحقق لنفسه الهدوء، وتملاًً عواطفه بالحب، وترضى روحه بقضاء الله تعالى، والصدق في النية، والتوجه .

وقضى الله تعالى بحكمته في الحوادث المتغيرة التي تتأثر بالزمان، والمكان، والتطور بما يتوافق مع هذا التغيير، فوضع لها الأطر الكلية، والأسس العامة، وجعل هذه المبادئ أساس الحركة والتشريع في إطار الضوابط التي تحدد مسار الحوادث الجديدة في نسق المشروعية الإسلامية.

لقد أمر الله تعالى بالتعاون على البر والتقوى ولم يحدد مجال التعاون، ولم يبين صورته وأشكاله، ولذلك اشتمل الأمر الإلهي على كل تعاون ممكن، وفي كل مجال يعيشه الناس، ... قد يكون التعاون في إطار أسري، أو أممي، أو قبلي وقد يكون علماً أو عملاً، وقد يكون في الزراعة أو في الصناعة ، أو في غيرهما، ... لقد أمر الله تعالى به بصورة مطلقة، وقيده بالبر والتقوى ، ... ولذلك كان الأمر بالتعاون مبدأً عاماً يحكم مسار كافة الحوادث المتجددة، ... والأصول كثيرة في كل ما هو قابل للتغيير .

وبهذا كان التوافق بين أحكام الإسلام والإنسان مستمرا إلى يوم القيامة.

إن أهم الدروس الرئيسية المستفادة للدعوة من العصر الأول ما يلي:-
أولاً : المحافظة على الإسلام كما نزل من عند الله تعالى، فهو الحقيقة التي تقوم عليها عملية الدعوة يحملها الدعاة، ويبلغونها للناس مع المحافظة على المصادر الإسلامية التي تقدم الإسلام للناس ، وتحافظ على تعاليمه كما نزلت من عند الله تعالى .

ثانياً : تخصيص طائفة من العلماء في كافة المعارف الإسلامية لتقديم خريطة عملية للدعوة إلى الله تعالى، على أن تكون المعارف الإسلامية مصدر إلهام للدعاة، ومرجعاً يرجعون إليه عند الحاجة .

ثالثاً : الاستفادة بالواقع الاجتماعي للناس، واتخاذ برهانا على حاجتهم إلى الدعوة التي تعالج مشاكلهم، وتصلح أمورهم، وتخرجهم من ظلمات الجهل والضلال إلى نور الإيمان والدين .

رابعاً : الاستفادة بكافة صور الاتصال بالناس، سواء كانت حديثاً قصيراً، أو جواباً لسؤال، أو محاوراً طويلة، أو حلاً لمشكلة ، والمهم إظهار الحل الإسلامي في كافة أقضية الناس بما يرضي الله تعالى ورسوله ﷺ .

خامساً : بيان عالمية الإسلام ، وتوضيح توافقه مع الحق والعدل أينما كان، وكيفما كان، ودعوته إلى الإصلاح في كل سبيل مع تأكيد أنه خاتم الأديان كلها، وأنه الباقي إلى يوم القيامة .

سادساً: توضيح ربط الإسلام الجزاء بالمسئولية ، وربط الدنيا بالآخرة، وإقامة العدل على أساس الضوابط الأخلاقية والسلوكية التي يقرها الإسلام .
سابعاً : الإقرار بالحق أيا كان صاحبه، والعمل به لما فيه من صواب وحق.

......***

وهذه الدروس مستفادة من الدعوة في العصر الأول، يجب اتخاذها أساساً للدعوة في العصر الحديث .

المبحث الثاني **ضرورة الدعوة إلى الإسلام** **في العصر الحديث**

تكاد الجاهلية التي وجدت في العالم قبيل ظهور الإسلام أن تعود مرة أخرى بثوب جديد، وثقافات عديدة، فقد بعد الناس عن أديانهم، وغفلوا عما شرعه الله لهم، وصنعوا لأنفسهم أديانا ومذاهب جديدة، واتجهوا إلى العلمانية التي تملأ عقولهم بالغرور، وتدفعهم إلى اختراع نظم، ووضع قوانين نعم توزع الناس في العصر الحديث في قارات الدنيا، وكثرت فيهم الملل والنحل، وصار لكل فريق اتباعه ومفكروه، واتجاهاته، وادعى كل فريق الحق لنفسه، وأنكره على الآخرين .

وقد اتخذ كل فريق جانبا اهتم به، وركز عليه، وترك الجوانب الأخرى لأبحاث العلماء وتجارب العلمانيين، ورضوا في حياتهم بهذه العلمانية التي يكتشفون من خلالها النظام والقانون، ويعرفون بها العمل والتطبيق .

ولم يشذ عن هذا التفكير الجزئي إلا الإسلام الذي أنزله الله تعالى شاملا للعقيدة، والشرعية، والأخلاق حيث يجد الإنسان حُكماً شرعياً لكل قول، أو عمل، أو حال، ويرى أن استقامة الحياة لا تكون إلا على ما جاء به الوحي، وما نظمّه الله ﷻ لسائر الناس .

وبذلك انقسم الناس إلى فريقين :

أحدهما: فريق أسلم أمره الله تعالى، واتبع دينه، وجعل الإسلام منهجه في حياته كلها، وهم المسلمون .

وثانيهما: كافة الطوائف والجماعات، والفرق اللاإسلامية حيث تتخذ من العقل أساسا لحياتها، ومن العلم التجريبي منهجا يوصلها لأمانيتها وأحلامها، وتكتفي من دينها ببعض المناسك في حياتها .

ومن العجيب أن أصحاب المذاهب والأديان اتحدوا جميعا في مواجهة الإسلام ، ورضوا لأنفسهم وحدة تخاصم المسلمين، وتصد الناس عنه بكل ما يمكنهم من زيوف ينشرونها ضده، ومن شبه يثيرونها حول نظمه، وتاريخه مستعنيين بما وصلوا إليه من قوة مادية، وتقدم علمي .

ومع انهيار المسلمين أمام خصومهم بقي الإسلام صامدا، ورد العلماء المسلمون عن دينهم كل المزاعم التي أثارها الخصوم، وما تزال المعركة مستمرة .

ولم يكتف خصوم الإسلام بالمواجهات الفكرية والقولية ، وإنما تخطوها إلى العدوان والقتال، وكانت الحروب الصليبية والصهيونية، واحتلال الأوطان والاستعمار، والاستشراق، والتبشير، والسيطرة على فلسطين .

ولم يتأثر الإسلام بكل ما فعلوا ، فأخذوا يهاجمون تعاليمه، ويصورونها على غير ما هي عليه، وزعموا أن الإسلام قائم على السيف، بعيد عن العقل والحرية، وأنه أهان المرأة، وأنه غير صالح لقيادة البشرية، وأنه خال من النظم إلى غير ذلك من الأراجيف التي ألفوها، ونشروها، ...

ومن المؤسف أنهم تمكنوا من وضع عملاء لهم بين المسلمين يساعدونهم في هذه المزاعم .

وأحاط البؤس بالأوطان الإسلامية، وغاب الإسلام عمليا عن حياة المسلمين، وانتشر الفساد في أرض الله تعالى، وبعد المسلمون كثيرا عن دين الله تعالى، وأخذ المسلمون بعلوم غيرهم، وظنوا الدقة، والمستقبل في مدارس وجامعات الخصوم، وتسارعوا إلى أعدائهم في ذلة يأخذون منهم الحضارة، والعون، والعلم، والقانون .

وهنا

أرى حاجة المسلمين إلى فهم الإسلام، والرضى به، والتمسك بتعاليمه،

وتطبيق نظمه في حياتهم ومعاملاتهم .

وأرى حاجة المسلمين إلى الدعوة إلى الإسلام على الوجه الذي نزل به من عند الله تعالى .

دعوة تعرف الناس أن العقيدة الصادقة هي أساس الإسلام ، وأن الإيمان بالله تعالى منهج كامل يشمل الباطن والظاهر ، ويحتوي على كل عمل ونشاط، وبه تكون العبادة كلها لله رب العالمين، ويكون كل نشاط بشري خالصا لوجه الله تعالى، ويعيش المسلم في عبوديته مؤمنا بالقدر خيره وشره، حلوه ومره .

دعوة تعرف المسلمين أن الشريعة نزلت للتطبيق والعمل، ولم تنزل لتوضع في أدراج المكتبات، وبطون الكتب .

دعوة تأخذ المسلم إلى الله تعالى بصورة تامة، وفيها يقول المسلم بصدق وإخلاص : ﴿ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ (١) .

دعوة تلزم المسلم بكافة الحقوق سواء أكانت لله تعالى أو لأي مخلوق .

دعوة تمجد العلم، وترفع شأن العلماء، وتؤكد حقيقة دينية وهي ﴿ يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ ﴾ (٢) .

دعوة تنادي بالأمن والسلام للعالم كله، وتصون الحرية، والكرامة، والعزة للإنسان .

دعوة تبني ولا تهدم، تصون ولا تبدد، تحترم القيم النبيلة، وترفض الظلم، والبغي، والعدوان، والبهتان .

دعوة تقنع العقول، وتشبع الدوافع، وترضى العواطف، وتحقق الرغبات

(١) سورة الأنعام الآية : ١٦٢ . .

(٢) سورة المجادلة الآية : ١١ .

وفق شرع الله تعالى .

إن الدعوة إلى الله تعالى تحتاج إلى إطار منهجي يحيط بكل جوانبها، ويصورها في نظرية متكاملة سهلة أمام العلماء وغيرهم من المسلمين لينهضوا بها ، وينشروا الإسلام من خلالها بكل ما فيه من خير وصواب .
إن الإسلام أعدل قضية في هذا الوجود، والدعوة إليه أحسن قول ينطق به المسلم اليوم، وكل يوم، وبخاصة وسط عالم مليئ بالشعارات والأكاذيب، وبين عداوات ظاهرة وخفية توجه للإسلام والمسلمين .

إن الإسلام دين الله تعالى، ولن ينال منه أحد، والخوف على المسلمين من الأثر الذي يسوقهم إليه أعداء الإسلام .

وقد يتصور البعض عدم جدوى الدعوة إلى الله تعالى عندما يرى كثرة الأئمة والوعاظ بين الناس بلا أثر لهم ، إلا أن هذا التصور غير صحيح ، وانصراف الناس عن الأئمة، والوعاظ يرجع إلى عدم اهتمام المسؤولين بالدعوة، ووضع الدعاة في مؤخرة الصف الاجتماعي ، فهانوا على الناس في الوقت الذي يتم فيه حشو عقول العامة بصور مادية عابثة بعيدة عن دين الله تعالى، ... كما أن الأصوات التي تعارض الإسلام تأخذ مساحة واسعة في نشر الفساد، وإبعاد الجمهور العريض عن الحق والصواب .
لقد أنكر بعض الفلاسفة فضل الدعوة، ورأوا أن الناس جبلوا على صفات معينة ، صنعتها البيئة والوراثة ، ولا أمل في تغييرها، ومن هؤلاء الفلاسفة أبو العلاء المعري ، وشو بنهور، وإسبينوزا، وهيوم .

يقول أبو العلاء :

وما قبلت نفسي من الخير لفظة وإن طال ما فاهت به الخطباء

ويقول "شوبنهور" الألماني:

" يولد الناس أختيارا أو أشرارا كما يولد الحمل وديعا، والنمر مفترسا، وليس

لعلم الأخلاق إلا أن يصف سيرة الناس وعوائدهم .

ويقول " أسبينوزا " الفيلسوف الهولندي :

" إن أفعال الناس كغيرها من سائر الظواهر الطبيعية تحدث ، ويمكن استنتاجها بالضرورة المنطقية الهندسية كما يستنتج من طبيعة المثلث أن زواياه تساوي قائمتين .

ويقول هيوم " الإنجليزي : "إن شعورنا بالمسئولية ليس إلا وهما وخذاعا(١)
ونحن لا نوافق هؤلاء في تشاؤمهم، ونرى أهمية الدعوة، وضرورتها لإصلاح الناس .

إن الإنسان قابل للتغيير في مفاهيمه، وأخلاقه ، وعاداته، وطبائعه، ورسالات الرسل تؤكد ضرورة الإصلاح والتغيير، فقد اتبعهم المؤمنون، وغيروا ما كانوا عليه من عقيدة، وعمل، وسلوك، ... وكانت الدعوة إلى الإسلام بوسائلها المتعددة سببا لانتشار الإسلام في العالم كله، ووصول الإسلام إلى جميع الأوطان .

وعالم اليوم يدرك أهمية عملية الاتصال في نشر أفكاره، وأخذ الغير إلى سياسته ونظمه، وصار لكل دولة وتجمع العديد من وسائل الاتصال من صحف، وكتب، وإذاعة، ومطبوعات، وغيرها .

ولا يصح أمام هذا الزخم أن لا يهتم المسلمون بدينهم، ولا يعملوا على إيصاله للعالم نقيًا واضحا كما نزل من عند الله تعالى .

إن الدعوة إلى الإسلام تحتاج إلى جهد كل مسلم ليتمكن المسلمون من الدعوة، والتبليغ وفق المنهج الذي ورثوه من رسول الله ﷺ وصحابته الكرام رضوانهم على الجميع،... ولا مانع من استفادة المسلمين بكل مخترع في مجال الاتصال

(١) مبادئ علم الأخلاق للدكتور / أبو بكر ذكري ص ٦ ، ٧ .

ماداموا يحافظون على حكم الله تعالى الذي وضعه لهم .

يقول الشيخ علي محفوظ :

" إن الأمراض والعلل تعرض للأجسام فتذهب بجمالها، وكثيرا ما تؤدي بحياتها إذا لم تسعف بالعلاج الناجح قبل استفحالها، والقلوب كالأجسام يعرض لها من الأمراض والعلل ما يطفئ نورها، وقد يفقدها حياتها، وذلك بورودها مورد الغي والضلال، وإنهماكها في اللذات والشهوات، والفسق والفجور وسيئات البدع ... فمن هذه الأفعال تكون أمراض القلوب، وعللها، ولا دواء لها إلا بمراهم الشريعة الغراء المركبة تركيبا عمليا كيماويا دقيقا في طرق الدعوة والبلاغ (١) .

ولعل أوضح ما يدل على تغير الإنسان ما نشاهده من انتقال الأفراد من دين إلى دين آخر ، ومن صفة إلى صفة أخرى وهكذا .
إن العلوم الحديثة كعلم الاجتماع، والأخلاق، والنفس من العلوم التي تهدف إلى تغيير الإنسان للوصول به إلى المستوى اللائق بإنسانيته كل بطريقته .
وعلم الدعوة هو الآخر يهدف إلى التغيير، ونقل الإنسان من محيط إلى محيط خير من محيطه الأول .

لقد انتشر الإسلام بالدعوة ، ومن الممكن إعادة التجربة مرة أخرى، وكما قال الله تعالى: ﴿ كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ وَعَدًّا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ ﴾ (٢) .
إن الدعوة إلى الإسلام هي الطريق لإنقاذ الناس جميعا، لأنها توجههم إلى الله ﷻ، وتعرفهم بالدين الحق، وتوضح لهم منهج العزة والكرامة التي قدرها الله للناس بعيدا عن السباب، واللعن، والطعن، وتمسكا بالحق، والصدق.

(١) هداية المرشدين ص ٦٩ ، ٧٠ بتصرف يسير .

(٢) سورة الأنبياء الآية : ١٠٤ .

إن البشرية بدأت بأب واحد، ويجب أن تنتهي الدنيا والناس جميعا على دين واحد هو الإسلام الذي رضيهِ الله تعالى للناس .

إن البشرية اليوم في أمس الحاجة إلى الإسلام لتعرف الله ﷻ على حقيقته، وتترك لوثات المادة، وعبادة الطاغوت، وتعيش شريعة الله تعالى، ففيها الكرامة، والعزة، والصلاح.

إن على الإنسان أن يعود إنسانا كما خلقه الله ﷻ ، يملأ الأرض بالعمل، وينشر العدل بين الناس ، ويجعل الخلق الكريم أساس كل لقاء، ويأخذ الإنسان إلى القيم النبيلة، والأخلاق الراقية .

ألم يأن للناس أن يتركوا خلافتهم المذهبية، ويتوحدوا على كلمة سواء، ويقروا بعبوديتهم لله تعالى ؟ ...، ويعيشوا في مرحمة وأخوة ؟ ...

إن الإسلام يهدف إلى نشر الأمن في المجتمع الإنساني كله، وتحقيق سعادة البشر أجمعين عن طريق إيمانهم بالله الواحد الأحد الذي دعا إليه كل الرسل، واتباع نظمه الثابتة بالوحي الذي لا يحافظ عليه إلا الإسلام .

ولو انصف الناس لدرسوا تعاليم الإسلام بموضوعية تامة، وحينئذ سيعلمون أنه الحق، وأنه المنهج الوحيد الصالح للحياة، ...

إلا أن هذا الأمل بعيد عن التحقيق، فقد غالى كل فريق بمذهبه، وتجاهل ما يأتيه من غيره، ورآه بعيدا عن أصوله ووطنيته .

إن الإسلام دين لا وطن له ، فوطنه هو عقل الإنسان وقلبه، ومظهره طاعة رب العالمين، ودعوته للناس أجمعين .

الباب الثاني

نظرية

الدعوة إلى الإسلام

نظرية الدعوة إلى الإسلام

أنزل الله تعالى الإسلام وحيا لرسول الله ﷺ ، وكلفه بتبليغه للناس، فقام رسول الله ﷺ بما كلف به، وأمر أصحابه ﷺ بأن يقوموا مقامه عند غيابه، فأدوا رضوان الله عليهم - ما أمرهم به ﷺ على خير وجه، وبخاصة أن الإسلام ثابت بحقيقته الذاتية، ومنهج الدعوة إليه في مصادره المحفوظة، وقد رآها الصحابة - رضوان الله عليهم - عمليا من رسول الله ﷺ ، وتدربوا عليها في حياته ﷺ .

لم يترك رسول الله ﷺ الدنيا وينتقل إلى ربه ﷻ إلا بعد أن تم الإسلام، وكمل، يقول الله تعالى: ﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتِمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا ﴾ (١) ، وبعد أن أمر الله تعالى المسلمين باتخاذ الرسول ﷺ أسوة لهم، وقال لهم: ﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا ۖ ﴾ (٢) .

وسارت الأمة على هدي رسول الله ﷺ في الإيمان والدعوة، وتتابع الأجيال على أداء هذا الواجب، ووصل الإسلام إلى كل أرجاء الدنيا، ودخل الناس في دين الله أفواجا.

إن الدعوة إلى الله تعالى عملية اتصالية كاملة لها مضمونها الخاص، وأركانها الواضحة، وأهدافها المعلومة، وهي لا تختلف عن عمليات الاتصال البشرية إلا في القيود والضوابط الخاصة بها، لأنها تشترط سلامة المضمون، ونقاء السريرة، وطهارة الوسيلة، ونبل الغاية، ورقي الإنسان، ومراعاة الحقوق في العملية كلها .

(١) سورة المائدة الآية : ٣ .

(٢) سورة الأحزاب الآية : ٢١ .

إن الدعوة إلى الإسلام في العصر الحديث تحتاج من المسلمين إلى وضع العملية في إطار تنظيمي ممنهج، يستفيد من سائر مخترعات العصر، ويعتمد الخطط التنظيمية التي وضعها المربون، ورجال الإعلام، وعلماء الاجتماع والنفوس، والخدمة الاجتماعية، وسائر العلوم التي تساعدهم لما فيها من يسر في الاتصال، وحُسن في مخاطبة الناس، ومشاركة الآخر في الواقع الذي يعيشون فيه.

ويا حبذا لو أنشأ المسلمون في كل وطن هيئة عامة متخصصة تجمع علماء الإسلام، ورجال الإعلام، والاجتماع، والتربية للإشراف على قضايا الدعوة، وتنمية التراث، وتوجيه الدعاة

إن وصف الإنسان بالإسلام، ووصف الأمة بالمسلمة عقد ملزم لابد من الوفاء به، والقيام بالتطبيق العملي للإسلام، وإعلاء شأنه ليعلو في حياة الأفراد والجماعات والأوطان، وليتحقق به النجاح في الدنيا، والفوز في الآخرة إن الدعوة إلى الله تعالى أمر بالمعروف أو نهى عن المنكر، ... ولذا أحببت أن أعرضها في نظرية متكاملة لأبين من خلالها الهيكل العام لعملية الدعوة، والأسس الرئيسية التي يقوم عليها كل ركن فيها.

وبعون الله تعالى سأبدأ بوضع تصور مجمل لأركان نظرية الدعوة في الفصل الأول، على أن أستتبعه بالحديث المفصل، وأقدمه ركنا ركنا، ليضم كل فصل ركنا واحدا، وذلك في الفصول بعد ذلك.

والله الموفق .

الفصل الأول

الهيكل العام

لنظرية الدعوة

الميكمل العام لنظرية الدعوة

يتحرك الإسلام في الناس على سنة البشر، وعاداتهم في نقل الأخبار، وتكوين المجتمعات .

فمن القديم كان الإنسان ولعا بمعرفة أخبار غيره، والبحث عن أي جديد بعيد عنه مستقيدا بسفره، وعمله، ونشاطه، وحركته .

وظهر بين الناس أولو الرأي، وهم الملاء في كل جماعة .

وأكرم الله الإنسان منذ مجيئه، فأرسل الله تعالى رسولا لكل قوم، يدعوههم بلسانهم، ويعرفهم بالله الواحد الأحد الذي خلقهم ، ورزقهم، وأحياهم، وسوف يميتهم، ويبين لهم الواجب عليهم، وهو عبادة الله وحده باتباع شرعه، وطاعة رسوله ﷺ ، والعمل للدنيا والآخرة .

وقدم الرسل جميعا لأقوامهم دين الله الذي ارتضاه الله لهم، وطبقوه في إطار خطة عملية في التبليغ والدعوة تقوم على عناصر رئيسية ثابتة في دعوات الرسل جميعا .

وهذه الخطة تعتمد الملامح التالية : -

أولاً : اختيار رسول متصف بالصدق والأمانة، مؤيد بالمعجزة، معروف بين قومه وأهله بالخلق الكريم .

ثانياً : ثبوت نزول الوحي من الله تعالى على هذا الرسول بدين الله الذي ارتضاه للناس بواسطة ظهور المعجزات التي يؤكد صدقه .

ثالثاً : قيام هذا الرسول باختيار الوسيلة التي يوصل بها الوحي للناس، وقد تكون الوسيلة هي القول، أو العمل، أو الآله، أو غير ذلك من الوسائل .

رابعاً : اختيار الأسلوب الذي يستعمله الرسول مع الناس، وقد يكون هو الوحي نفسه، ومعه وحوله يدور الحوار، والنقاش، والجدل .

خامساً : انقسام الناس إلى جماعة تطيع الرسول ﷺ ، وتؤمن بدعوته، وجماعة تكفر بالرسالة، وتظل على ضلالها وكفرها . وينتهي الأمر بهلاك المكذبين، ونجاة المؤمنين .

وقد درجت الدعوات الألّهيّة كلها في حركتها مع الناس على هذه الملامح، وسار عليها دعاة الإسلام في العصر الأول، واتضحت بذلك معالم نظرية كاملة في الدعوة، وظهرت أركانها الرئيسية، ووضع المسلمون لكل ركن مبادئ علمية توضح حقيقته النظرية، وتشرح أسسه الشرعية، وتبين صوره التطبيقية التي تستوعب أي جديد، وتساعد في تحقيق الغاية المقصودة وفي هذا الفصل سأوضح - بإذن الله تعالى - أركان نظرية الدعوة إلى الإسلام استنباطاً من دعوة رسول الله ﷺ وصحابته الكرام، وسلف الأمة الصالح، وكما سجلها القرآن الكريم ، وبينتها السنة النبوية، وطبقها سلف الأمة الصالحون، فقد أقاموا بالدعوة في أطر حركية واحدة متأسين برسول الله ﷺ .

وسيكون هذا الفصل موجزاً لاقتصاره على بيان أركان نظرية الدعوة ، وبيان تكامل الأركان وتعاونها في إطار نظرية واحدة . وبعد ذلك أفصل أركان النظرية بعد هذا الفصل . وسيأتي هذا الفصل في مبحثين هما : -

المبحث الأول

أركان نظرية الدعوة

الدعوة إلى الإسلام تعني كافة المحاولات القائمة على أسس فنية متنوعة يقوم بها طرف ما لتبليغ الإسلام الموحى به وإيصاله للناس على وجه بين، مشروع يثير داعية النظر والتفكير عند الإنسان .

والدعوة بهذا المفهوم تعد علما له موضوعه، ومنهجه، وطرق البحث فيه، وبيان الغاية منه، وهذا ما سنبينه - بإذن الله تعالى - من خلال بيان أركان نظرية الدعوة .

وحين نتأمل في نظريات الاتصال في العلوم المختلفة مثل نظريات الإعلام والتربية، والخدمة الاجتماعية، وتوجيه الرأي العام فإننا نرى توافقا بين نظرية الدعوة إلى الإسلام وهذه النظريات من ناحية الهيكل التطبيقي، لأنها جميعا تهتم بموضوع ما، وتصوغه في رسالة واحدة، أو عدد من الرسائل، وتوصلها لمن يهمه الأمر، بواسطة طرف عاقل مثقف، مؤهل لحمل الموضوع، وصياغته، وإيصاله للناس بطريقة يحسن بها التعامل معهم ليرشداهم بموضوع رسائله، ويستمر معهم حتى يقنعهم بقضيته، ويجعلهم اتباعا لفكرته وموضوعه .

وقد ظهرت في العلوم الإنسانية طرق عدة للاتصال والإرشاد .
فإن المربي يلقي طلابه العلوم التي يحملها لهم بأسلوب معين، وبمنهجية منظمة، ويستمر معهم حتى يربيهما على نحو ما يتمنى .

ورجل الإعلام يعمل على إذاعة ونشر رسائله الإعلامية التي أعدها أو أعدت له ، ويعمل على إيصالها للناس لتكوين رأي عام وفق ما يرجوه فيهم في إطار منهجيته الاتصالية .

والداعية يحمل الإسلام للناس ويعرفهم بمزاياه، ويطالبهم باعتناقه، والدخول فيه حتى يصيروا عبيدا لله تعالى، ينتهجون شريعته، ويتبعون دينه .
إن الفرق بين عمليات الاتصال المتعددة هو الموضوع التي تدور حوله
العملية الاتصالية، فكل جماعة غاية ، وكل فريق مقصده، ولكل علم منهج
وهدف .

وكل عملية اتصالية تحتاج إلى عقل يتخصص في دراستها وتعلمها، لينطلق بها إلى جمهوره لتحقيق فائدة مقصودة .

وتقسيم عملية الاتصال والدعوة إلى عناصر متعددة لا يعني انفصال أي
عنصر عن العناصر الأخرى، لأنها عملية متكاملة، مترابطة، يجمعها
الهدف الواحد، والغاية المأمولة ، وما كان التقسيم إلا منهجا تعليميا
نقصد من ورائه الوصول لأقوم السبل، وتمكين طلاب العلم والدعاة من إتقان
كل أركان عملية الدعوة إلى الله تعالى، ومن المعلوم أن اتقان جزئيات أي
أمر يؤدي إلى اتقان الأمر كله، كالبيت العالي فإنه يحسن بمبناه ومحتواه،
وكل لبنة فيه .

ومن رحمة الله تعالى بالمسلمين أن أرشدهم لدينه، وعرفهم بالصراط المستقيم
الذي يحقق لهم الكمال والوصول، وأوجب عليهم العلم قبل العمل، والاستعداد
قبل القيام .

وتقوم نظرية الاتصال في الدعوة على الأركان التالية :

الركن الأول الموضوع

يراد بالموضوع الفكرة التي تقوم عملية الاتصال على حملها، وإيصالها للجهة التي تقصدها، ... وهي الإسلام في نظرية الدعوة فقد أنزله الله تعالى على رسوله ﷺ ليبلغه للناس ، وهو ثابت في مصادره التي أوحى الله بها، وهي القرآن الكريم، والسنة النبوية، التي يتخذها الدعاة رسائلهم إلى الناس، ويستنبطوا من خلالها الدروس والعبر.

وقدر الله تعالى حفظ هذه المصادر بين الناس فبقيت ، وقام المسلمون بالمحافظة عليها فانتشرت، وخدموها بالشرح والتحليل، والتأليف، واستخراج الصورة العملية الكاملة للإسلام منها فعظمت، وبقيت، وأفادت .

ومؤلفات العلماء في العقيدة والشريعة، والأخلاق عديدة، الأمر الذي وضع جوانب الإسلام ، وجلاها أمام الناس، ويسر فهمها، والعمل بها .
لقد استمر نزول الإسلام على رسول الله ﷺ ثلاثاً وعشرين سنة، وهي مدة البعثة النبوية في مكة والمدينة ، ولذلك وجب تجزئته حين تبليغه للناس، ووضعه في إرشادات ومواعظ على النمط الذي قام به رسول الله ﷺ في الدعوة والبلاغ طوال مدة البعثة .

لقد نزل الإسلام منجماً على ثلاث وعشرين سنة، واحتاج نشره إلى هذه المدة، لأن المقصود منه العلم به، والعمل بنظمه، والتخلق الدائم بأخلاقه.
إن الإسلام يصنع الإنسان صناعة خاصة تحتاج إلى جهد مديد ووقت عديد
إن موضوع الدعوة هو الإسلام كله الذي يجب إيصاله للناس، والمحافظة عليه، وتفهيمة، وبيان مراد الله ﷻ منه على قدر الطاقة البشرية، وبهذا يتضح الموضوع، ويظهر على حقيقته أمام حامل الموضوع والمحمول إليه .

الركن الثاني **حامل الموضوع**

المراد بحامل الموضوع الطرف الذي يعمل لايصال الإسلام للناس وتبليغ المدعويين به، وهذا الطرف قد يكون فرداً، أو جماعة، أو هيئة رجالاً أو امرأة وعلى هذا الطرف الذي يحمل الموضوع أن يقدر قيمة ما يحمله، فهو دين الله تعالى، ولابد معه من التصديق اليقيني، والالتزام الذاتي بتعاليمه قبل أن يوصلها لغيره، لأن فاقده الشيء لا يعطيه، ولابد لهذا الحامل أن يعلم أن الدعوة إلى الإسلام رسالة دينية ليبدل معها كل جهده، وطاقاته، ويحول الفكرة إلى عمل منسق، ويعرض الإسلام على الناس جميلاً حسناً، ويحيط الفكرة ببراهينها، ويدافع عنها، ويرد الزيوف التي يثيرها خصومها، ويكون صورة حقيقة لها شاملة لمظهرها ومخبرها .

إن الدعوة في العصر الحديث تحتاج إلى دراسات متعددة، لتصل إلى الإنسان المعاصر معبرة عن دين الله تعالى بمنهج قويم، وخطة متكاملة، ولو أجاد المسئولون عن الدعوة، والمشرفون على حركتها في توضيح هذه الأسس، وإيجادها في عالم الواقع التطبيقي لتحقيق خير كثير للناس، ولوصل الإسلام بحقيقته، وعظمته، وإنسانيته، وحججه للعالم كله .

وحيئنذ نقول مطمئنين: لقد وصل الخطاب الصحيح الصادق إلى مستقره بنجاح وأمان، وبلغ الإسلام إلى كل إنسان في هذا الوجود .

إن العالم المعاصر يموج بالفكر، وتتعارض فيه الأهداف، والكل يدافع عن نفسه، ويثبت رأيه بكافة الحجج، ويسلك جميع طرق الجدل والحوار التي تناقش القضية، وبراهينها، وترد عليها واحدة واحدة، ... وكثيراً ما تعقد المؤتمرات والندوات، وجلسات الخبراء والعلماء للدراسة، والبحث، وسندهم هو الكلمة والحجة .

إن التخطيط الجاد للدعوة ضرورة لازمة، ولا بد له من تكوين أناس يتخصصون في فن التواصل والدعوة، لأن الحق يحتاج إلى من يجليه، ويوضحه، ويبرهن على صدقه، ويرد عنه الأباطيل التي تدور حوله.

إن الداعي يربط الحاضر بالماضي، حيث يأخذ من الماضي عبره ودروسه، ويجعل الحاضر امتدادا لعصر السلف الصالح، ... ولا بد من العمل الجاد في تنشئة الداعية القادر على القيام بمهمته، والتمكن من استخدام الأسلوب الأمثل لمخاطبة مستمعيه بكافة الوسائل .

ولا بد للتخطيط المنهجي أن يمد الدعاة بالدراسات النفسية، والاجتماعية، والأعلامية، والسياسية بالإضافة إلى العلوم الدينية .

وفي قصص القرآن الكريم متسع لهذه الجوانب الإنسانية ، ولا مانع من الاستفادة بها بواسطة مناهج العلوم الحديثة، فطبائع المؤمنين والكافرين، والرجال والنساء، والملا والعامة واضحة، وطرق خطاب كل فئة معلومة. ومناقشة قضايا العقيدة، والشرعية، والأخلاق ثابتة .

وفي أساليب القرآن الكريم ذخائر خالدة لحاملي الإسلام للناس . ولنا في ضرورة الإعداد، ووضع المناهج أدلة شرعية، منها قوله تعالى : ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ﴾ (١)، والإعداد يعني التهيئة ، وبذل الجهد المناسب لأي عمل يقدم عليه الإنسان .

ومنها قول الله تعالى : ﴿يَتَأَيَّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا خُذُوا حِذْرَكُمْ فَانْفِرُوا بُنَاتٍ أَوْ أَنْفِرُوا جَمِيعًا ۖ﴾ (٢)، وأخذ الحذر هو دراسة الواقع ، والإحاطة بالأحداث لاتخاذ القرار المناسب، الموصل للفوز والنجاة .

(١) سورة الأنفال الآية : ٦٠ .

(٢) سورة النساء الآية : ٧١ .

وهذا موسى عليه السلام حين كلفه ربه ﷻ بدعوة فرعون وملاؤه، نظر إلى حاله، ووجد حاجته إلى عون، واستعداد، وتهيئة، فطلبها من الله تعالى، ﴿وَقَالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي ۝ وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي ۝ وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِّن لِّسَانِي ۝ يَفْقَهُوا قَوْلِي ۝ وَاجْعَلْ لِّي زِينَةً مِّنْ أَهْلِي ۝ هَارُونَ أَخِي ۝ اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي ۝ وَأَشْرِكْ فِي أَمْرِي ۝﴾ (١) فتجده عليه السلام يطلب من ربه ﷻ أن يمدّه بزيادة يمكنه من النجاح، ويساعده على الدعوة والإبلاغ .

لقد أمد الله تعالى موسى عليه السلام بالمعجزات، وكلمه شفاهة، ونزل عليه جبريل عليه السلام بالوحي، وتلك عوامل ثقة في النصر والتمكين تنير له الطريق، وتحقق له الفوز والظفر، ومع ذلك نجده يطلب من الله تعالى أن ييسر له الإعداد المنظم، ويمده بالعون الإلهي عند دعوة فرعون، إنه يطلب شرح الصدر، وتيسير الأمر، وفصاحة القول، وشدة الأزر، ليقبل على الدعوة في ثبات وثقة .

وقد أعطى الله تعالى موسى عليه السلام طلبه، وقال له: ﴿قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَمُوسَىٰ ۝﴾ (٢)، ليكون درسا باقيا على الزمن كله يدل على ضرورة التخطيط والإعداد في تكوين الدعاة وإعانتهم في عملهم .

إن كل عمليات الدعوة في عصر رسول الله ﷺ، وفي عصر الصحابة، والتابعين قائمة على التخطيط الجيد، والإعداد السليم، ولذلك كان الفوز والنصر معهم في جميع الحالات .

وفي العصر الحديث يفتقر المسلمون إلى تقويم هذا الركن بالعلم، وتقويته بالمال والعمل، وإعانتته وتقويته وسط مجتمع الناس .

(١) سورة طه الآيات من ٢٥ : ٣٢ .

(٢) سورة طه الآية : ٣٦ .

الركن الثالث

الأداة الحاملة للموضوع

المراد بالأداة الأداة التي يستعملها الدعاة لإيصال الإسلام للناس من خلالها، ولها صور عديدة تزداد مع كل مخترع يمكن الاستفادة به في إيصال الفكرة إلى الناس .

وهذه الأداة قد تكون خطبة، أو محاضرة ، أو مناظرة ، أو حديثاً مباشراً، وقد تكون أداة حاملة للصوت كالميكروفون، أو من خلال البرامج المذاعة بالصوت، أو بالصوت والصورة معا.. أو من خلال كتاب مطبوع، أو صورة منشورة، أو صحيفة مطبوعة، أو عملاً منظماً، أو ملصقاً مرشداً .

وقد شاعت المطويات الورقية التي تتناول موضوعاً قصيراً، وبعض الدول تستعمل النقود في كتابة توجيهات دينية عليها مكونة من كلمات قصيرة على أحد وجهيها مثل الله واحد .

ومن الضروري الاستفادة بكل مخترعات العصر الاتصالية بشرط ارتباطها بالضوابط الشرعية .

ولا يصح من المسلمين أن يقصروا في هذا الركن، فقد ركز عليه خصوم الإسلام ، وأخذوا في نشر سمومهم من خلاله بطرق عديدة، ومناهج خبيثة .

إن أفكار اليوم تتحرك في صور براقعة، وألوان متنوعة، وتظهر محاطة بهالة من الفخامة، والنظام، وتتجه إلى كل طاقات الإنسان وعناصره، فتثير فيه العاطفة، وتشبع الجوارح ، وتخاطب العقل، كل ذلك في إطار خطة مدروسة، وهدف مقصود .

وفي كل نواحي الدنيا نجد المغريات المادية، والمفاسد الأخلاقية، والصور الإلحادية التي يستخدمها أهل الباطل والهوى ليتكسبوا من ورائها ،

ويفسدوا بها عقول الناس ومذاهبهم بطرق عديدة، وبخاصة الشباب المسلم، والمرأة المسلمة لإفساد دينهم وأخلاقهم .

انظر إلى المحطات الفضائية وقد تعددت ألوانها، وتنوعت غاياتها، ... وتأمل فيما انفق وينفق عليها من أموال، ... وتدبر عدد الأفراد الذين يشاركون في انجاز برنامج واحد من مخرجين، ومصورين، ومقدمين، ومحدثين، ... وعش مع المؤثرات الصوتية ، والتصويرية ، والبيئية .

انظر إلى كل ذلك لتعرف مدى ما يبذل من جهد ، ومال للوصول للناس لنشر فكرة، وتحقيق غاية .

وتأمل في أعمال التبشير، ومؤلفات الخصوم لترى الهجوم الشرس على الإسلام والمسلمين بلا سند أو دليل .

وعش مع مزاعم القسس وهم ينكرون ما في الإسلام من حرية وتكريم ، ويزعمون أنه انتشر بالسيف والخويف .

وانظر إلى كثرة المطبوعات من صحف، وكتب، ومنشورات، وإعلانات لتقف على الفكر المعاصر ، وما يحيط به من اهتمام ، وإنفاق ودراسة .

وتأمل الرسائل اللاسلكية ، وسرعة انتشارها في المناسبات ، والأحداث لترى دور هذه الرسائل في تحقيق الاتصال، ونشر ما يراد من أفكار .

وشاهد ما يتحرك في البريد الإلكتروني بضخامته، وسهولته ، وسرعته لتتأكد من روعة المخترعات الحديثة، وأهمية الاستفادة منها في الدعوة إلى الله ﷻ **إن أعداء الإسلام**، وأصحاب المذاهب المختلفة يستفيدون كثيرا من المخترعات الحديثة، ولا يصح مطلقا أن يغفل المسلمون عن هذه المخترعات فهي تساعدهم على نشر الإسلام ببهائه ورونقه

الركن الرابع

الأسلوب المتضمن للموضوع

ويراد بالأسلوب الكلمات التي تحتضن الفكرة ، وتوصلها إلى من يراد إيصالها إليهم، سواء كانت مسموعة، أو مكتوبة، أو مصورة ، ولا بد من الأسلوب الذي يوصل الفكرة إلى الآخرين أن يلمس قلوب الناس، وعواطفهم، وعقولهم، وأفهامهم ، ويتحد مع لسانهم ولغاتهم، وهذا يحتاج من حامل الرسالة إلى أن يعلم حال من سيدعوهم، ومستوى معيشتهم، والمذاهب التي هم فيها، والثقافة التي هم عليها قبل أن يضع رسالته لهم ليصل إليهم مباشرة بالأسلوب المناسب، وبالكيفية التي تؤثر فيهم، لأن للبيئة تأثيرا واضحا في الناس.

والواجب أن يناسب الأسلوب الموضوع الذي يحمله، والعقول التي سيخاطبها، وليأخذ الدعاة من أساليب القرآن الكريم عبرة وفائدة .

فلقد راعى أسلوب القرآن الكريم البيئة التي نزل فيها، فهو في مكة يغاير الأسلوب المدني، ففي القرآن المكي نرى التركيز على قضايا العقيدة، وإيراد الأدلة من واقع الحياة ، ومن هنا لم تخرج موضوعات السور المكية عن بيان الفساد في الشرك، ورد المفتريات الباطلة التي يعتقدها أهل مكة، وبيان أصول الإسلام من عقيدة تؤمن بإله واحد، وتصديق بالرسول المبشر، وتسلم بالبعث والجزاء في يوم القيامة ، وتنتشر أخلاقيات تناسب العقيدة السليمة .

كما أن الأسلوب المكي راعى نفسية الدعاة أنفسهم وهم يواجهون الصد والعداء، ولذلك كثر في السور المكية حديث التسلية للنبي ﷺ والمؤمنين معه، ودعوتهم إلى الصبر والتحمل، والتبشير بجنات الخلد عند الله تعالى .

كما أن الأسلوب المكي يغاير الأسلوب المدني من حيث طول الآيات وقصرها ، فهو في مكة قصير الجمل ، كثير التكرار ، كثير التأكيد، مليء

بالأساليب المتنوعة، والفواصل المتشابهة، ورنين السجع الكثير ...

أما المدني فقل أن تجد فيه شيئاً من هذا .

وقد ناسب القرآن المدني سكان المدينة فلاحظ تنوعهم، واختلافهم الديني، والمادي، فخطب المسلمين وشرع لهم نظم الإسلام، وبين أحكام أفعالهم وأقوالهم، كما جادل اليهود وأهل الكتاب ، وفصح المنافقين في أقوالهم، وسوء سلوكهم، وتذبذبهم بين الحق والباطل، وقدم القرآن المدني صورة واقعية لكل طوائف المدينة.

يقول صاحب كتاب القرآن وعلم النفس : والسبب النفسي في ذلك أن القوم في مكة كانوا غير مستقرين ، بل كانوا مطاردين، قلقاً نفوسهم، غير مستعدين لتشريع أو تفصيل، منصرفين عن سماع القرآن الكريم، وقد تأثرت نفوسهم بأدبهم ، لقرب عهدهم بخطبهم وأشعارهم .

والتشريع يحتاج إلى هدوء في العقل، وترو في المنطق، وتقبل للإرشاد، ورغبة في التطور والإصلاح ، وطاعة للأمر، واستجابة للداعي ، وكل هذه الحالات النفسية غير متوفرة في الحياة المكية .

ويقول: إن طول الآيات، وعدم السجع في القرآن المدني غالب تبعاً لمقتضى الحال، فقد يوجد في بعض الآيات المكية طول أو قصر منوط بموضوعها، حسبما تقتضيه البلاغة، فالسور والآيات التي يراد بها الوعظ والزجر يحسن فيها أن تكون أقصر من آيات الأحكام ، وهي تكثر في القرآن المكي، لأنه هو المناسب لحال المخاطبين من المشركين لجمودهم ، وعنادهم، وطول باعهم في البلاغة (١) .

(١) القرآن وعلم النفس ص ٢٩ .

الركن الخامس المدعوون

المراد بالمدعوين الناس الذين تتجه إليهم الدعوة، وهم العالم كله، لأن الإسلام نزل للناس .

والواجب لنجاح الدعوة أن يتقن الداعية معرفة واقع من سيدعوهم ، ويكشف حياتهم، ومذاهبهم، ولغتهم، ليحسن إعداد الرسالة المناسبة لهم، واختيار الموضوعات التي تعرض عليهم مع تقديم الأهم على المهم كل بحالته، فالإنسان البدوي يختلف عن الإنسان الحضري، ولكل منهما اهتماماته، وواقعه، ولا يصح التوجه للجميع بخطاب واحد، فتوجيه الصغير يختلف عن توجيه الكبير، ودعوة المرأة تختلف دعوة الرجل، ومخاطبة المسلم ليست كمخاطبة المنافق، ومجادلة أهل الكتاب لا تكون مثل خطاب من لا دين له، ودعوة الأمير والخاصة تختلف عن دعوة العامة والهمل من الناس .
إن فهم حقائق المجتمعات يحتاج إلى علماء قد تخصصوا في دراسة النفس الإنسانية، والاجتماع البشري، والتاريخ العام، وعلوم القيادة والاتصال، والتربية، ...

ولذلك نرى أنه من الضروري إنشاء هيئة علمية عليا تشرف على عملية الدعوة في الوطن المسلم، وتقدم للدعاة الدراسات التي يحتاجون إليها بعد إعدادها في صورة خطة عملية يسيرونها عليها الدعاة، ويشرف عليها أولو الرأي في عملية الدعوة إلى الإسلام

وعلى علماء هذه الهيئة المقترحة أن يقدموا تعريفا متكاملا لكل بيئة يريدون دعوة أهلها إلى الإسلام ، لأن التعريف الدقيق بأي مجتمع بشري يجعل أهل التخصص قادرين على تحديد القضايا التي يحتاجها هذا المجتمع ، وأنها يقدم أولا، وأي الأوقات أنسب للدعوة، وبيان أوجه البيان المناسب

للمدعوبين، وتعيين الوسيلة المؤثرة في هؤلاء الناس، فقد يتأثرون بحُسن المعاملة، أو بالقول البين، أو بالترغيب، أو بالترهيب، أو بطول المعاشرة وإدامة النصح، أو بالعون المادي، أو بالدعوة الفردية ، أو الجماعية إلى غير ذلك .

وعليهم القيام بإعداد الدعاة، وتزويدهم بالمواصفات التي تناسب المجتمع الذي سيدعون فيه، لأنه لا يصح مثلاً أن نرسل للمجتمع الهندي رجالاً يتكلم العربية فقط ، ولا يعلم عن هذا المجتمع شيئاً .

إن عملية الدعوة عملية شاقة لحاجتها إلى علوم عديدة، ومواجهات فكرية واسعة، وشخصيات متميزة بمواصفات خاصة، ولذلك كان من الضروري وجود الهيئة العلمية الخاصة بالإشراف على عملية الدعوة على النحو الذي ذكرته .

......***

إن هذه الأركان الخمسة هي جوانب نظرية الدعوة، ولا يستطيع أن يقوم بها شخص واحد، أو جماعة قليلة، ولذلك فهي تحتاج إلى أموال، وأعمال، وجهود تمكن من الدراسات العلمية والعملية حول كل ركن، وتطبيق نتائج الدراسة النظرية الدعوية بواسطة دعاة يعملون تحت إشراف الهيئة العلمية المذكورة .

المبحث الثاني

تكامـل نظرية الدعوة

اهتم العلماء المسلمون بأركان نظرية الدعوة، وأشبعوها بحثاً وتوضيحاً، ووقفوا على ما جاء الإسلام به في الجوانب الدعوية التي أوصى الله تعالى بها، واجتهدوا فيما يحتاج إلى اجتهد، واستفادوا بما جد في حياة الناس من علوم ومعارف .

ففي موضوع الدعوة حافظ المسلمون على مصادره، فجمعوا القرآن الكريم حفظاً في صدورهم، وكتابة في الصحف، وتلاوة مسموعة في العالم كله، وتفسيراً لمعانيه، وجمعاً في مصحف مكتوب، أو في تسجيلات ناطقة. وألف العلماء في تفسير القرآن الكريم الموسوعات الضخمة التي بينت كافة وجوه الإعجاز فيه، وصار من اليسير أن يرجع الدعاة إلى عدد من المصادر للوقوف على المراد من أي آية يريدونها.

واهتم علماء السنة النبوية بحفظها، وتدوين الأسفار التي شملت الرواية والدراسة، وبذلك استمر القرآن الكريم، واستمرت السنة المشرفة مع المسلمين كما تركهما رسول الله ﷺ، واجتهد العلماء المسلمون واستخرجوا من الكتاب والسنة أصول العقيدة، وفروع الشريعة، ومكارم الأخلاق، وألفوا في كل الفروع الإسلامية حتى صار الإسلام واضحاً في هذه المؤلفات، وبقيت موضوعاته منسقة ومجموعة في تخصصات علمية رائعة .

وقد أدى هذا البسط التأليفي إلى يسر الوصول للحكم الشرعي في كل مسائل الإسلام وقضاياها، وأصبح من الضروري على كل من يباشر الدعوة إلى الله تعالى أن يتقن الموضوع الذي سيبلغه للناس من كافة جوانبه، ويعلم مذاهب المتكلمين، والمفسرين، والفقهاء من النص الثابت كما نزل الوحي به، وكما وضحه العلماء المخلصون .

وقد **وضح العلماء** أن الإسلام يتكون من ثوابت لا تتغير أبداً، فعرفوها بدقة، كما استنبطوا من مصادر الإسلام المبادئ الكلية التي تندرج تحتها الحوادث الجديدة في شئون المادة، وحياة الناس.

ومع هذه المبادئ اتضحت جوانب التجديد في الأحكام الجديدة، والعلوم الحديثة، واستمر الجميع على أحكام الله تعالى .

ولذلك كان على القائم بالدعوة ، وهو الركن الثاني في النظرية أن يعلم قبل أن يتكلم، ويفهم الإسلام قبل أن يعمل به ، ويحسن اختيار الجزئية التي سيبلغها للناس ، ... وهكذا يستفيد بجهد العلماء في كافة التخصصات، ويجمعها في قلبه ، ويصيغها في رسائله التي سيبينها للناس .

ومن الضروري الاستعانة بالوسائل الممكنة التي توصل إليها الناس ، وهي الركن الثالث، سواء كانت قولاً في صورة قصة، أو مثلاً ، أو خطبة ، أو ندوة، أو كانت كتابة في مؤلف، أو نشرة، أو صورة ، أو كانت آلة من مخترعات العصر كالشريط المسجل، أو الرسالة المشفرة ، أو غير ذلك من الوسائل .

وعلى حامل الرسالة أن يصوغ رسائله في أسلوب جذاب، ولسان من يتوجه إليهم، ويستفيد بذلك بأسلوب القرآن الكريم الذي جمع الفصاحة، والبلاغة، والبيان في كلمات قليلة جمعت الإعجاز اللغوي الذي يقنع العقل، ويشبع العواطف، ويرضي الوجدان.

إن أهل مكة وهم أهل الفصاحة تأثروا ببلاغة القرآن الكريم ، وكانت أعينهم تفيض بالدمع عند سماع القرآن، وكانوا يختلسون الليل ليسمعوا القرآن الكريم حين كان يتلوه رسول الله ﷺ .

وهكذا

تتجمع كافة أركان الدعوة في كيان واحد يمثل أركان نظرية الدعوة .

الفصل الثاني

موضوع الدعوة

"الإسلام"

موضوع الدعوة "الإسلام"

الإسلام هو موضوع نظرية الدعوة ، وهو دين الله الذي أوحى به لمحمد ﷺ ، وأتمه ﷺ وأكمله ، ورضيه ديناً للناس جميعاً إلى يوم القيامة ، وحفظه الله تعالى في الناس بحفظ مصدريه القرآن الكريم ، والسنة النبوية المشرفة .
وبلغ رسول الله ﷺ الإسلام ، وأمر المسلمين معه ، ومن بعده بتبليغ الإسلام ، والدعوة إليه وفق دعوة رسول الله ﷺ ، وكما هي في القرآن الكريم والسنة النبوية .

إن الإسلام موضوع الدعوة محدد بمصادره ، معلوم بأركانه ، ثابت في شروح ومؤلفات علماء الأمة المخلصين ، وهو مع العلماء ووسط الناس وفي بطون الكتب كما تركه رسول الله ﷺ ، والهداية التامة في تتبعه ، والتمسك به ، يقول رسول الله ﷺ : (إني قد تركت فيكم شيئين لن تضلوا بعدهما : كتاب الله وسنتي ، ولن يتفرقا حتى يردا علي الحوض) (١) .

وقد أشبع المسلمون الإسلام شرحاً ، وتفصيلاً ، وبياناً في إطار علوم العقيدة ، والشريعة ، والأخلاق ، ولم يعد باقياً للدعاة إلا تفهم العلوم الإسلامية ، للوقوف على حقيقة الإسلام الذي يؤمنون به ، ويدعون الناس إليه ، ومن رحمة الله تعالى بالناس أن أنزل لهم المنهج الذي يدعون به من خلال القصص القرآني ، وأمثاله من مثل وجدل .

وفي هذا الفصل سأحدث - بإذن الله تعالى - عن الركن الأول لنظرية الدعوة من نواح عدة في المباحث التالية : -

(١) المستدرك على الصحيحين للحاكم - كتاب العلم ، فأما حديث عبد الله بن نمير - حديث : ٢٨٨

المبحث الأول

التعريف بالإسلام

الإسلام دين الله تعالى، مكون من العقيدة، والشريعة، والأخلاق، وكل ركن يتكون من مجموعة من المعارف التي تحتاج إلى التصديق، والعمل .

فالعقيدة مكونة من الآلهيات، والنبوات، والسمعيات، والدعوة إليها تعني التعريف بها، والعمل على التصديق اليقيني بقضاياها تصديقاً يستقر في القلب، ويظهر نطقاً في اللسان، ويبرز عملاً في الجوارح .

والشريعة تشمل الطرق الموضوعية، والنظم المشروعة لسائر أعمال الأفراد، والجماعات .

والأخلاق معنى يظهر مع الإنسان في نفسه، ومع أقواله، وأعماله، متصفاً بالحسن والجمال، والبعد التام عن الفحش والسوء .

وقد ظهرت علوم عدة لشرح هذه الجوانب، فكانت علوم العقيدة، ومباحث علم الكلام في بيان وجود الله تعالى ووحدانيته، وإثبات صفاته ﷻ، وتوضيح الأدلة المؤيدة لها من الشرع، والعقل، ونفي ما عداها، وشرح ما يستلزمه الإيمان بها من أقوال وأعمال .

وظهرت علوم أخرى لتوضيح أحكام الشريعة، الجامعة لجميع أحكام المكلفين بدءاً بالعبادات المفروضة المحددة، والمعاملات بين الناس، والأحوال الشخصية، والجهاد في سبيل الله تعالى، وأحكام الموارث، وفي هذا نشأت المذاهب الفقهية وهي تفصل هذه الأحكام .

وظهرت المعارف السلوكية التي تعرف الناس بأخلاق الإسلام، ومكارم السلوك .

إن الإسلام يشمل الجوانب الثلاثة بكل ما تحويه ، والإيمان بواحد منها يستلزم الإيمان بها جميعاً ، فمن يؤمن بالله تعالى يصدق بجوانب العقيدة ،

ويطبق أحكام الشريعة، ويتحلى بمكارم الأخلاق.

يقول أبوهريرة رضي الله عنه في الحديث الذي رواه عن رسول الله ﷺ: أن (كان النبي ﷺ بارزا يوما للناس ، فأتاه جبريل فقال : ما الإيمان ؟ قال ﷺ : " الإيمان أن تؤمن بالله وملائكته ، وكتبه ، وبلغائه ، ورسله وتؤمن بالبعث " .

قال جبريل رضي الله عنه : ما الإسلام ؟ قال ﷺ : " الإسلام : أن تعبد الله ، ولا تشرك به شيئا ، وتقيم الصلاة ، وتؤتي الزكاة المفروضة ، وتصوم رمضان " .

قال جبريل رضي الله عنه : ما الإحسان ؟ قال ﷺ : " أن تعبد الله كأنك تراه ، فإن لم تكن تراه فإنه يراك " . قال جبريل رضي الله عنه : متى الساعة ؟

قال ﷺ : " ما المسئول عنها بأعلم من السائل ، وسأخبرك عن أشراتها : إذا ولدت الأمة ربتها ، وإذا تناول رعاة الإبل البهم في البنيان ، في خمس لا يعلمهن إلا الله " .

ثم تلا النبي ﷺ : ﴿ إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾ (١)

ثم أدبر، فقال ﷺ : " ردوه " فلم يروا شيئا .

فقال ﷺ : " هذا جبريل جاء يعلم الناس دينهم (٢) .

(١) سورة لقمان الآية : ٣٤ .

(٢) صحيح البخاري - كتاب الإيمان، باب سؤال جبريل النبي ﷺ عن الإيمان - حديث : ٥٠

وبالنظر في هذا الحديث نرى أنه يتضمن الدين كله ، لأن كل ما سأل عنه جبريل عليه السلام كان هو الدين، فليس الدين جزءا مما جاء في الحديث، وإنما هو مجموع ما ورد فيه، وقد صرح بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم في قوله (جاء يعلم الناس دينهم) ولم يقل إن شيئا منها هو الدين .

وقد أنزل كثير من المحدثين هذا الحديث بالنسبة للسنة النبوية منزلة سورة الفاتحة بالنسبة للقرآن الكريم لاشتماله على مضمون الدين كله .
يقول القرطبي : "هذا الحديث يصلح أن يقال عنه: إنه أم السنة لتضمنه كل ما جاء فيها".

ويقول القاضي عياض : اشتمل هذا الحديث على جميع وظائف العبادات الظاهرة، والباطنة من عقود الإيمان ابتداءً، وحالاً، ومآلاً، ومن أعمال الجوارح، ومن إخلاص السرائر، والتحفظ من آفات الأعمال، حتى إن علم الشريعة كلها راجعة إليه، ومتشعبة منه (١) .

ونلاحظ أن جميع ما ورد في هذا الحديث راجع إلى العقيدة، أو إلى الشريعة ، أو إليهما معا ، ذلك أن الإيمان بالله تعالى، وبملائكته، وبلقائه، وبرسله، وبالبعث راجع إلى العقيدة .

وعبادة الله وحده، وإقامة الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصوم رمضان، راجع إلى الشريعة .

والإحسان يكون في العقيدة، والشريعة معا، حيث توجد الأخلاق الكريمة عند المسلم، كأثر لازم ضروري للعقيدة، والشريعة ، فكأن العقيدة أصل للشريعة، والشريعة أصل للأخلاق، والأخلاق كمال لهما معا .

وعلى ذلك فإن الحديث عن أركان الإسلام ينحصر في العقيدة والشريعة،

(١) عمدة القارئ ج ١ ص ٢٩١ .

والأخلاق، وهي الإسلام كله .

إن الإسلام هو موضوع الدعوة، ولذلك كان من الضروري أن يتقن الدعاة معرفته، لأن بغير معلوم لا نصح، وفاقد الشيء لا يعطيه، ولا يضيع الحق إلا عند العجز عن فهمه، وشرحه، والدفاع عنه .

ومن رحمة الله تعالى بالناس أن أنزل الإسلام لهم، وكمله، وأتمه، وحفظه فيهم ليستمروا عليه كما نزل إلى يوم القيامة لا يدخله تغيير ولا تبديل ، ولا يكافئ هذا الواقع الواضح إلا العلم به، وإقراره، والتمسك به، والعمل بكل أوامره ونواهيه، ويكفيه أنه الدين الذي ارتضاه الله للعالمين .

إن الأفكار في العالم المعاصر تتصارع في أثواب براقية ، وملابس زاهية تخدع الأبصار، وتكسب الأنصار، الأمر الذي يحتم إظهار الحق بصورة تليق به، والتعريف بالإسلام بكماله وتمامه، وإبرازه للناس صالحا ومصلحا كما هي حقيقته، وإلباسه الثوب اللائق به ليحوز السبق، ويرضى الناس .

إن الإنسان يحب من يخدمه، ويصلحه، وكل ما في الإسلام هدى ورحمة وإصلاح يهدي للتي هي أقوم، ويخرج الناس من الظلمات إلى النور، ويصلح الوجود كله .

والإسلام دين واحد بجميع عناصره، ومن الضروري ظهوره كيانا واحدا في حياة المسلم وأمام الناس، فمن عرف الله يعبد، ويستسلم لشرعه، ويتخلق بأخلاقه، ويوالي المؤمنين .

المبحث الثاني منهج تقديم الإسلام للناس

الإسلام دين الله تعالى بكماله ، وتمامه ، وهو ثابت بين الناس بثبوت مصادره، وحفظ الله تعالى له، والدعاة إلى الله تعالى يجعلون الإسلام موضوع علمهم وعملهم، ومناطق دعوتهم وحركتهم .

وليس ممكناً أن يقدم الداعية الإسلام كله دفعة واحدة ، ولا يمكن لعاقل أن يستوعبه كله في مدة قصيرة، ولذلك نزل القرآن الكريم بالإسلام منجماً في ثلاث وعشرين سنة تبعاً للأحداث، وعلاجاً للواقع ، وتثبيتاً للنص والمعنى، وكان رسول الله ﷺ يتخول أصحابه بالتعليم والموعظة مخافة السامة عليهم، ولذلك وجب تقديم الإسلام للناس بمنهج رسول الله ﷺ في خطوات واضحة.

أولاً :

البدء بتصحيح العقيدة، وترسيخها في القلوب والأفئدة، لأن العقيدة أساس الدين، ومحور الطاعة والانقياد، وأساسها الإيمان بوجود الله الواحد الأحد، المتصف بكل كمال يليق به ﷻ ، فهو واحد في ذاته، وصفاته، وأفعاله .

والإيمان بالله تعالى أساس العقيدة الصحيحة، ولذا بدأ كل رسول دعوته به قائلاً ما حكاه الله تعالى عنهم: ﴿ يَنْقُورُ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ ﴾ (١) ، ويقول الله تعالى: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِيَ إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ ﴾ (٢)، حيث كانوا - عليهم السلام - ينفون الألوهية عن غير الله تعالى بصورة مطلقة، ويثبتون وحدانية الله ﷻ ، ويدعون أقوامهم إلى التوحيد

(١) سورة الأعراف الآية : ٥٩ .

(٢) سورة الأنبياء الآية : ٢٥ .

ولوازمه الضرورية، وهو عبادة الله تعالى، وطاعته فيما أمر ونهى.

يقول الشيخ محمد عبده: " والعبادة ضرب من الخضوع، بالغ حد النهاية في الخشوع، وضرب من الحب البالغ حد النهاية في التعلق، تنشأ عن استشعار القلب عظمة المعبود التي لا يعرف العابد منشأها، ولا يقف على كنهها ومسارها، وكل ما يشعر به أنها تعيش في ضميره، وترضي عقله ، وتشبع عواطفه، وتسعد روحه (١).

ويقول الرازي : " صدق التوحيد سبب لصدق العبادة، لأن العبد إذا لم يكن له إلا إله واحد، وآمن بذلك، وتيقن أن كافة النفع حاصله له من الله الواحد، وكل ما يحدث في الخلق بقدره هذا الإله الواحد أخلص في عبادة هذا الإله الواحد، وأطاعه طمعا في رحمته، وبقينا بعظمته، وامتنالا لمفاهيم عقله، لأن نهاية الأنعام تستوجب نهاية التعظيم (٢) .

ثانياً :

التركيز على إظهار قضية توحيد الله تعالى، وتقديم كافة البراهين العقلية، والكونية التي تثبتها، وتجعل العبد يتيقن بوجود الله الواحد، وكأنه رآه وشاهده، ولا تكتفي هذه القضية بالنصوص المنزلة وحدها، فمع أنها أساس الدين، إلا أن غير المؤمن لا يسلم بها، ولذا كان من الضروري إظهار البراهين العقلية المثبتة لها، لأن تعاليم الإسلام تابعة لها، فمن تيقن من وجود الله الواحد، وشهد له أطاع قوله، واتبع منهجه، وسعد بعبوديته له، ولذا بدأ رسل الله جميعا دعوتهم بها، واستمر الرسول ﷺ يدعوا إليها في مكة ثلاثة عشر عاماً، واستمر يبرهن على صدقها، ويسوق الأدلة التي تثبتها من

(١) تفسير المنارج ٢ ص ٥٧ .

(٢) مفاتيح الغيب ج ٤ ص ٤٦١ .

واقع الحياة التي يعيشها الناس، ويناقش الكافرين فيها، ويرد شبه ومزاعم المضادين لها ، وينادي كفار مكة ، ويقول لهم : (أيها الناس ، " قولوا : لا إله إلا الله ، تفلحوا) (١) .

ثالثاً :

إيراد البراهين والآيات المثبتة لقضية التوحيد من خلال قصص الرسل السابقين، لتشمل حديث النفس، وكيفية التواصل مع الغير، فقد أمر الله بذلك، يقول الله تعالى: ﴿ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا ﴾ (٢) ، ويقول ﷺ : ﴿ قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ ثُمَّ انظُرُوا ﴾ (٣) .

وأعظم ما اتبعه القرآن الكريم في إثبات قضية التوحيد إيراد قصص الرسل السابقين - عليهم السلام مع أقوامهم، ففيها أدلة تفصيلية لإثبات وحدانية الله تعالى من خلال النعم المخلوقة، والمسئولية المقررة، والموت المحتم ، فقد اتبعوا - عليهم السلام - في دعوتهم الطرق التالية : -
الطريق الأول : تذكير القوم بنعم الله عليهم في أنفسهم .

الطريق الثاني: تذكير القوم بالنعم المبتوثة في الكونيات القريبة من حولهم، والمحيطية بهم .

الطريق الثالث: التخويف من العواقب التي سينالها من لم يوحد الله تعالى هذا هو سيدنا نوح ﷺ يخاطب قومه بهذه الطرق، ويبرهن لهم بها، ويطلب منهم أن يعبدوا الله تعالى وحده، فتراه يبين لهم أحياناً نعم الله عليهم

(١) المطالب العالية للحافظ ابن حجر، كتاب السيرة والمغازي، باب ما آذى المشركون به النبي ﷺ وثباته - حديث : ٤٣١٩ .

(٢) سورة آل عمران الآية : ١٣٧

(٣) سورة الأنعام الآية : ١١ .

في أنفسهم، فهو خالقهم على أطوار بدأت بالتراب، وانتهت بإنسان عاقل،
سوي، يسمع، ويبصر، ويعرف، ويدرك، ويفهم، فقال لهم ما حكاة الله تعالى:
﴿ مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ۖ وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا ۝ ﴾ (١) .

وأحيانا أخرى يوجه نظر قومه إلى السموات العلا، وما خلق الله فيها من
قمر منير، وشمس مضيئة، ونجوم سياراة تتابع في الظهور في فلك ثابت ،
لا يسبق أحدها الآخر، والكل في فلك يسبحون .

وجه نوح عليه السلام نظر قومه إلى هذا علمهم من ملاحظة هذه القدرات
الإلهية يعبدون ربهم، ويوحدونه فقال لهم : ﴿ أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ
سَكُونٍ طِبَاقًا ۝ وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ الشَّمْسَ سِرَاجًا ۝ ﴾ (٢) .

وجه عليه السلام نظرهم كذلك إلى الأرض التي نشأوا من ترابها، وعاشوا
فوقها، واستخدموها في حياتهم، والتي سيرجعون إليها بعد موتهم، وسيخرجون
منها حين البعث والنشور يوم القيامة، هذه الأرض التي ذللها الله تعالى ،
وسخرها للإنسان ليستغلها كيف يشاء، فقال لهم ما حكاة الله تعالى : ﴿ وَاللَّهُ
أَنْبَتَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ نَبَاتًا ۝ ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا ۝ وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ
بَسَاطًا ۝ لَتَسْلُكُوا مِنْهَا سُبُلًا فِجَاجًا ۝ ﴾ (٣) .

ومع تذكيرهم بنعم الله تعالى عليهم في أنفسهم وفي الكون من حولهم
كان سيدنا نوح عليه السلام يذكر قومه بالموت، والبعث، والحساب، ويخوفهم من
عذاب يوم القيامة الذي سوف ينزل بهم إن لم يوحدوا ربهم، ويخصوه بالعبادة
دون سواه، فقال لهم : ﴿ يَقَوْمِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُبِينٌ ۝ أَنْ أَعْبُدُوا اللَّهَ وَأَنْفُسُهُ

(١) سورة نوح الآيتين : ١٣ ، ١٤ .

(٢) سورة نوح الآيتين : ١٥ ، ١٦ .

(٣) سورة نوح الآيات من ١٧ : ٢٠ .

وَأَطِيعُونَ ﴿٣﴾ يَغْفِرْ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُخَوِّجْكُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى إِنَّ أَجَلَ اللَّهِ إِذَا جَاءَ لَا يُؤَخَّرُ لَوْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٤﴾ (١)، وقال لهم : ﴿لَا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ أَلِيمٍ﴾ ﴿٥﴾ (٢)، وقال لهم : ﴿لَا تَتَّبِعُوا إِلَّا لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ﴾ ﴿٦﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا ﴿٧﴾ (٣) .

وهكذا دلل سيدنا نوح عليه السلام على وجوب توحيد الله تعالى، واختصاصه بالعبادة بهذه الأدلة السهلة ، الدقيقة، التي تقصد اللب لا الشكل، وتخطب العقل بعيدا عن الهوى، وتعرض القضية مباشرة بلا تعقيد، أو مبالغة، وتعرف الإنسان بكمال قدرة الله تعالى، وكمال عنايته ورحمته، وكمال علمه وإحاطته .

إنها أدلة تجعل الإنسان في كل زمان ومكان ينظر في كل شيء حوله من سهل، وجبل، وليل ، ونهار، وشمس، وقمر، وحيوان، وطيور، وزرع، وشجر، ويراجع نفسه في معبوداته المصنوعة، ليعلم أنها ليست إلا مخلوقا من هذه المخلوقات التي لا تملك لنفسها ولا لغيرها أية فائدة ، ولا تستطيع عمل أي شيء ، وهي بذلك لا تستحق التأليه أو العبادة ،

وبمثل ما استدل به نوح عليه السلام استدل هود عليه السلام وهو يدعو قومه: "عادا"، فقد بين لهم أن الله تعالى قوى أجسادهم، وأعطاهم الملك والحضارة، ومكنهم من تأسيس البنايات الشاهقة العظيمة ، وهذا يتضح من قوله الذي حكاه الله تعالى في قوله: ﴿لَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ ﴿٦﴾ إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ ﴿٧﴾ الَّتِي لَمْ

(١) سورة نوح الآيات من ٢ : ٤ .

(٢) سورة هود الآية : ٢٦ .

(٣) سورة الشعراء الآيات من ١٠٦ : ١٠٨ .

يُخَلِّقُ مِثْلَهَا فِي الْيَلَدِ ﴿٨﴾ (١)، يروي أنه كان لعاد ابنان هما " شداد، وشديد"، ملكا، وقهرا، ثم مات شديد وخلص الأمر لشداد، فبنى مدينة عظيمة عالية لا يضاهيها بانيان آخر (٢).

لم يكن أحد مثل عاد في قوتهم، وطول قامتهم، ولم تظهر مدينة في جميع بلاد الدنيا مثل مدينة " شداد" ولذا ذكرهم هود عليه السلام بنعم الله تعالى في أنفسهم، فقال لهم ما حكاه الله تعالى في قوله: ﴿وَأَذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ وَزَادَكُمْ فِي الْخَلْقِ بَضْطَةً ۖ فَادْكُرُوا ءَالَآءَ اللَّهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ ﴿٣٦﴾ (٣).

وقال لهم أيضا: ﴿وَيَقَوْمِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَى قُوَّتِكُمْ وَلَا تَتَوَلَّوْا مُجْرِمِينَ﴾ ﴿٥٦﴾ (٤).
وقال لهم: ﴿أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ ءَايَةً تَعْبَثُونَ﴾ ﴿١٣٨﴾ وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ ﴿١٣٩﴾ وَإِذَا بَطَشْتُمْ بَطَشْتُمْ جَبَّارِينَ﴾ ﴿١٣٩﴾ (٥).

وقد صور هود في هذه الآيات نعم الله تعالى على قومه عاد.
يقول أبو السعود: إن المراد من البسطة التي زودهم الله بها هي طول القامة، وعظم القوة الجسدية، فإنه لم يكن في زمانهم من يماثلهم في عظم الأجرام، حتى قالوا عارفين بذلك: ﴿مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً﴾ (٦)، ومع هذه البسطة

(١) سورة الفجر الآيات من ٦ : ٨ .

(٢) تفسير النسفي ج ٤ ص ٣٥٤ ، ٣٥٥ بتصرف .

(٣) سورة الأعراف الآية : ٦٩ .

(٤) سورة هود الآية : ٥٢ .

(٥) سورة الشعراء الآيات من ١٢٨ : ١٣٠ .

(٦) سورة فصلت الآية : ١٥ .

كانوا في غنى اقتصادي، ورخاء زراعي عجيب بسبب المطر الذي كان يأتيهم بغزارة، ولذلك قال لهم هود عليه السلام: ﴿يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا﴾ (١)، لأن نزول المطر مرغّب هام يضاعف تحقّقه فيهم قوة فوق قوتهم الكبيرة، ويحافظ على حضارتهم التي كانوا فيها.

وأكبر دليل على قوتهم المادية والبدنية أنهم بنوا في كل مرتفع بناء، وشيدوا القصور الشاهقة، وبطشوا جبارين بغيرهم اعتمادا على قوتهم، فذكرهم هود عليه السلام بهذه النعم في أنفسهم، ليندفعوا بها إلى الإيمان بالله، وتوحيده، وعبادته، ويطيعوه في دعوته، وينفذوا أمره (٢)، ويضعوا النعم في موضعها، فقال لهم: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا﴾ (٣) .

عرفهم هود عليه السلام بنعم الله تعالى عليهم في الزراعة التي قامت حضارتهم عليها، وحثهم على تذكر هذه النعم الواضحة في أولادهم، وديارهم، وأملاكهم ليعبدوا الله الذي أمدهم بها، وأعانهم عليها، فقال لهم: ﴿وَأَتَّقُوا الَّذِي أَمَدَّكُمْ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ (٣) ﴿أَمَدَّكُمْ بِأَنْعَامٍ وَبَنِينَ﴾ (٣٣) ﴿وَجَنَّاتٍ وَعُيُونٍ﴾ (٣٤) .
وخوفهم هود عليه السلام من العواقب إن تركوا توحيد الله تعالى وعبادته، فقال لهم: ﴿إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ (٣٥) .

وهكذا كانت أدلة هود عليه السلام لقومه دائرة حول الطرق الثلاثة التي دلل بها نوح عليه السلام .

(١) سورة هود الآية : ٥٢ .

(٢) تفسير أبو السعود ج ٢ ص ١٧٤ .

(٣) سورة الشعراء الآية : ١٢٦ .

(٤) سورة الشعراء الآيات من ١٣ : ١٣٤ .

(٥) سورة الشعراء الآية : ١٣٥ .

وعلى نمط أدلة نوح، وهود - عليهما السلام - نادى صالح عليه السلام قومه، فقال لهم : ﴿وَاذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ عَادٍ وَبَوَّأَكُمْ فِي الْأَرْضِ تَتَّخِذُونَ مِنْ سُهُولِهَا قُصُورًا وَتَنْحِتُونَ الْجِبَالَ بُيُوتًا فَاذْكُرُوا ءَالَاءَ اللَّهِ وَلَا تَعْتَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ۝٧٤﴾ (١) . وقال لهم : ﴿يَقَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ ۖ هُوَ أَنشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَاسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تَوْبُوا إِلَيْهِ ۖ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُجِيبٌ ۝٧٥﴾ (٢)

جاء في كتاب دعوة الرسل إلى الله تعالى " أن نبي الله صالحا عليه السلام أخذ يذكر قومه بنعم الله تعالى التي أمدهم بها، حيث جعلهم الله تعالى خلفاء لعاد في الحضارة وال عمران، وألهمهم كثيرا من فنون الصناعة، وهندسة البناء، ودقة التجارة ، وعلمهم فن النحت، ورزقهم القوة والصبر حتى تمكنوا من نحت بيوت فارهة في الجبل يسكنونها في الشتاء، وأقدرهم على تشييد المساكن في السهول يقيمون فيها أثناء الصيف، وكل هذه النعم أمدها الله تعالى لـ " ثمود" في أنفسهم وحياتهم، وفي الأفاق من حولهم، فأنشأهم في الأرض، ومكنهم فيها، وسهل لهم استغلالها، وعرفهم بقيمة السهل والجبل، ولذلك ذكرهم صالح عليه السلام بها لكي يوحدوا الله تعالى ويعبدوه ، فهو صاحب الفضل كله ، كما خوفهم من مخالفتهم ، وعدم إيمانهم، وتماديهم في الشرك، واستمرارهم في عبادة غير الله تعالى (٣) ، فقال لهم : ﴿أَلَا تَتَّقُونَ ۝٧٦﴾ إني لكم رَسُولٌ أَمِينٌ ۝٧٧ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا ۝٧٨﴾ (١) ، وقال لهم : ﴿وَيَقَوْمِ هَذِهِ

(١) سورة الأعراف الآية : ٧٤ .

(٢) سورة هود الآية : ٦١ .

(٣) دعوة الرسل إلى الله تعالى ص ٢٨ .

(١) سورة الشعراء الآيات من ١٤٢ : ١٤٤ .

تَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ ءَايَةً ^طفَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِي أََرْضِ اللَّهِ وَلَا تَمْسُوهَا ^طيَسُوءَ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ قَرِيبٌ ﴿٦٤﴾ (١) .

بهذا النموذج في التدليل سار الأنبياء عليهم السلام في دعوة أقوامهم إلى التوحيد، ونبذ الشرك وترك عبادة الأوثان والأصنام .

وأدلة الرسل على كل حال أدلة بسيطة، تعتمد على المحسوس، ولا تحتاج إلى دليل مركب، أو منطق متقلسف، لأن ذلك هو الذي كان يناسب بساطة القوم، ويتمشى مع فكرهم يومذاك .

انظر إلى سيدنا إبراهيم عليه السلام وهو الذي حاور كثيرا من الناس، وجادل عديدا من الطوائف، تلقاه لم يتخط الأدلة المحسوسة لإفحام مجادلبيه ... فحين جادل عبدة الأصنام ذكروا له أن الأصنام آلهة آبائهم ، ولن يتركوها، فلم يناقشهم في حقيقة الآلهة ، وأحقية الآباء في عبادتها، وإنما اتاهم بإظهار عجز هذه الآلهة مما يفقدها القدرة، ويثبت عجزها .

وأشار إلى أن الركون إلى الأصنام ضلال واضح، ثم استعمل الدليل المفيد ، المعتمد على الحواس، فكسر الأصنام ، ليثبت لعبادها أنها لا تنفع نفسها، فكيف تؤله وتعبد ؟ ...

وحيثما رأى عليه السلام بعض الناس يعبدون الكواكب لم يدخل معهم في نقاش وجدل، وإنما وافق رأيهم، وأشعرهم أنه معهم في عبادة الكواكب مجارة لهم ، لأن الموافقة في الظاهر عن طريق المجارة من أبلغ الحجج، وأوضح المناهج في الاستدلال (١) ... ومن هذه الموافقة أنه لما رأى كوكبا: ﴿ قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَا أُحِبُّ الْآفِلِينَ ﴾ ﴿٦٥﴾ ثم لما رأى ﴿ الْقَمَرَ بَازِغًا قَالَ هَذَا

(١) سورة هود الآية : ٦٤ .

(١) الملل والنحل للشهرستاني ج ٢ ص ٥٦ .

رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَئِنْ لَّمْ يَهْدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ ﴿٧٧﴾ ثم لما رأى الشمس بازغة قال هذا ربِّي هذا رَبِّي هَذَا أَكْبَرُ فَلَمَّا أَفَلَكَ قَالَ يَقُومُ إِلَيَّ بَرِيءٌ مِمَّا تَشْرِكُونَ ﴿٧٨﴾ (١) .

ومن الدقة في المجازة أنه عليه السلام اعترض على الأفول دون الطلوع مع أن الطلوع أدل على الحدوث لأنه يوجد بعد العدم، ليتأكدوا من موافقته لمذهبهم، لأنه لو اعترض على الطلوع لما بدت هذه الموافقة .

ومما يؤكد أن هذه الموافقة مجازة فقط قوله عليه السلام : ﴿ لَئِنْ لَّمْ يَهْدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ ﴾ ، فقد انتظر الهداية من الله الذي يؤمن به .
يقول الشهرستاني: أن الإيمان بأن الهداية من الرب تعالى هي غاية التوحيد، ونهاية المعرفة ، والواصل إلى غاية النهاية لا يكون أبدا في مدارج البداية (٢) .

ولما جاء عليه السلام إلى النمرود يدعوه إلى الله تعالى الذي يحيي ويميت، قال النمرود : ﴿ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ ﴾ (٣) .

ومع وضوح المغالطة في رد النمرود لم يناقشه إبراهيم عليه السلام في أصل الإحياء، وطريقة الإماتة، وإنما ترك هذه المناقشة إلى الاستدلال بشيء محسوس، فقال عليه السلام له : ﴿ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ ﴾ (١) ، فعجز النمرود، ولم يجد جوابا يرد به، فأمسك عن الحوار، ... وكان صمته دليلا على صدق دعوة إبراهيم عليه السلام ، وبرهانا على

(١) سورة الأنعام الآيات من ٧٦ : ٧٨ .

(٢) الملل والنحل للشهرستاني ج ٢ ص ٥٨ .

(٣) سورة البقرة الآية : ٢٥٨ .

(١) سورة البقرة الآية : ٢٥٨ .

أن الدليل المباشر، السهل، المستمد من الواقع من أقوى البراهين ، وأشد الأدلة في التأثير .

ولم يبتعد إبراهيم عليه السلام عن المسالك الثلاثة التي اتبعها الرسل مع أقوامهم، فقد استمد حديثه من واقع الحياة، وحوادث الكون القريب والبعيد.
إن مناقشات إبراهيم عليه السلام مع عبدة الكواكب، وعبدة الأصنام، والنمرود تشير إلى نوع من الترقية عن الأدلة سابققتها، لأن الإنسان في عهد سيدنا إبراهيم عليه السلام كان قد ترقى أكثر من ذي قبل بحكم طول الزمن ، ومجيء رسالات كثيرة إليه .

رابعاً:

الاستفادة بتراث الدعاة في إثبات التوحيد، وهو تراث كثير يمتد من عصر رسول الله ﷺ إلى يومنا هذا، وقد سجله العلماء، والولاة، والعلماء ليبقى زادا للدعاة، ومن مزايا هذا الزاد واقعيته، وقوته العقلية، ومناسبته للناس، وإثباته وجوب الوجود لله رب العالمين، ومناقشة كافة التصورات العقلية والحياتية التي يراها الإنسان في كل زمان ومكان .

إن سائر الكائنات المخلوقة حادثة لوجودها بعد عدم، ولا بد لها من خالق يوجودها لا يكون حادثاً مثلها، متصف بالقدم الأزلي، والعلم المحيط، والإرادة المطلقة، والقدرة التامة لا يدانيه في ذلك غيره، وسائر المعاندين لدين الله تعالى في كل وقت يقرون بهذا الحدث، ويهملون نتائجه، ويتصورون في الحادث قدرة، ويتجهون له بالعبادة، وهذا لا يجوز .

ولو تفحصنا الاحتمالات العقلية المتصورة في موجد هذا الكون الحادث لوجدناها تحتم وجود إله واحد معبود هو الله تعالى .

إن الاحتمال الأول يتصور هذا الوجود وهما لا وجود له، ولا يقر به، وحينئذ لا حاجة لإله خالق، لأنه لا توجد حياة، وهذا احتمال مرفوض بدليل

الواقع المشاهد، فالوجود موجود، وثابت، ولا يمكن إنكاره، ولا يدعي أحد عدمه .

والاحتمال الثاني : وهو الإقرار بهذا الوجود وادعاء أنه وجد من تلقاء نفسه وبالصدفة، وهو أيضا احتمال مرفوض، لأنه ينكر قانون الأسباب والمسببات العقلي، ويلغي قواعد العلم والحياة، وكلها تثبت أن لكل موجود موجدا يتميز بالقدم، والقدرة، وبالوجوب ، ولا يمكن التسليم بالصدفة ، لأن الصدفة لا تتكرر، ولا تقوم على نظام مستمر، وثابت .

والاحتمال الثالث : وهو الإقرار بوجود هذه الكائنات منذ القدم بلا أول لها، وكل نوع فيها أوجد نفسه، وهذا الاحتمال يجعل الكون فاعلا ومنفعلا، ومؤثرا ومؤثرا فيه في وقت واحد، وينسب الكمال المطلق، والحكمة العالية، والعلم الشامل لعناصر الكون كالتراب والهواء والماء، ... وهو احتمال مرفوض بالبداهة والعقل والمشاهدة، لأن ما في الوجود من علم وحكمة وكمال لا يصح أن ينسب للتراب مثلا ، كما أن القول بقدم شيء مخلوق بعد عدم باطل، لأن وجود ما كان معدوما لا يجعله قديما.

وما دامت الاحتمالات الثلاثة مرفوضة فإن الاحتمال الرابع والأخير هو الجدير بالقبول، وهو يؤكد أن الله سبحانه وتعالى هو الإله الواحد الموجد لكل شيء .

إن العقل السليم يؤمن بذلك، ويؤكد ما أثبتته القرآن الكريم ، يقول الله تعالى مؤكدا هذه الحقيقة : ﴿ إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ

فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾ (١) ، ويقول ﷺ : ﴿ لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَلَا أَصْغَرُ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرُ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ ﴾ ﴿٨٣﴾ (٢)

والبشر اليوم أقدر على التسليم بإمكانية الخلق به **﴿ كُنْ ﴾** بعد أن رأوا أن الموجودات المادية تنتهي في حسابها إلى معان ومعادلات رياضية (٣) .

إن القرآن الكريم كتاب الدعوة ملئ بالأدلة السهلة الواضحة التي تؤكد فطرة العقيدة الإسلامية، وتبعد الإنسان عن متاهات الفلسفة ، وتخلصه من التراكيب المعقدة ، وتوجه عقله إلى النظر في نفسه، وفي الكون من حوله ليرى العناية الإلهية الكاملة، ويعرف القادر الحكيم .

إن النظر في النفس والكون يؤدي إلى الاقتناع، واليقين بالدليل السهل الميسر .

والإنسان العاقل يرى في ذاته الحدوث، فقد ولد بعد عدم، وله عمر ينتهي عنده، وذلك حال كل كائن، حيث من الضروري الإيمان بوجود إله قدير متصف بكل كمال يليق به، له الأمر كله، وبيده مقاليد السموات والأرض، وهو الذي يحيي ويميت، وكل شيء هالك إلا وجهه .

وقد أورد الأمام الرازي في تفسيره صورا من هذه الواقعية الدالة على ضرورة الإيمان بالله الواحد الأحد، ف ﴿ هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ ﴿٨٤﴾ (٤) .

(١) سورة يس الآية : ٨٢ .

(٢) سورة سبأ الآية : ٣ .

(٣) الفلسفة القرآنية ص ١٨ .

(٤) سورة الحديد الآية : ٣ .

وقد روى الإمام الرازي بعض هذه الصور في تفسيره، وقدمها صوراً ناطقة على وجود الله تعالى، وها هي بعضها :-

صورة أولى :

هجم بعض الكفار على أبي حنيفة يريدون قتله، فقال لهم: أجيئوني عن مسألة ثم افعلوا معي ما شئتم . فقالوا له: هات .

فقال : ما تقولون في رجل يقول لكم : إني رأيت سفينة مشحونة بالأحمال، مملوءة بالأنثقال، احتوشها في لجة البحر أمواج متلاطمة، ورياح مختلفة ، وهي من بينها تجري مستوية ليس لها ملاح يجريها، ولا متعهد يدفعها، هل يجوز ذلك في العقل ؟ ...

قالوا : هذا شيء لا يقبله العقل .

فقال أبو حنيفة: يا سبحان الله، إذا لم يجز في العقل سفينة تجري في البحر، مستوية من غير متعهد، ولا مجر، ... فكيف يجوز قيام هذه الدنيا على اختلاف أحوالها ، وسعة أطرافها ، وتباين أكفافها من غير صانع وحافظ !!؟ فبكوا جميعاً، وتابوا، وقالوا له : صدقت (١).

صورة ثانية :

يحكى عن أبي حنيفة أيضاً أن قوماً من أهل الكلام سألوه عن دليل من الواقع على توحيد الله تعالى .

فقال لهم : أخبروني عن سفينة في نهر دجلة، تذهب بنفسها فتمتلئ من الطعام والمتاع، وغير ذلك، وتفرغه بنفسها، وتعود، وتحمل، وتفرغه بنفسها، وتستمر هكذا بلا انقطاع ...

(١) العقيدة الطحاوية ص ٨٣ .

فقالوا : هذا محال .

فقال لهم : إذا كان هذا محال في سفينة صغيرة ، فكيف في هذا العالم كله، علوه، وسفله، وتنوعه (١).

صورة ثالثة :

سأل بعض الملاحدة الإمام الشافعي رحمه الله عن الدليل على وجود الله تعالى فقال لهم : ورقة الفرصاد (التوت) طعمها، ولونها، وريحها، وطبعها واحد عندكم ؟ ...

فقالوا : نعم .

فقال: فتأكلها دودة القز فيخرج منها الإبريسم ، ويأكلها النحل فيخرج منها العسل ، وتأكلها الشاة فيخرج منها البعر ، وتأكلها الطباء فيتعقد في نوافجها المسك، فمن الذي جعل هذه الأشياء كذلك مع أن الطبع واحد ؟ ...
إنه الله رب العالمين، فاستحسنوا منه ذلك وأسلموا (٢) .

والقرآن الكريم يقدم عدیدا من الآيات الكونية، ويبرز واقعها شاهدا على

وجود الله تعالى، ودافعا للإنسان للإيمان، وإليك بعض هذه الآيات:

- يقول الله تعالى: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَخِلْفِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَّاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيْحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٣١﴾﴾ (٣)

- ويقول ﷻ: ﴿وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٣٢﴾﴾ (٤)

(١) مفاتيح الغيب ج ١ ص ٣١٤ طبع الحلبي.

(٢) مفاتيح الغيب ج ١ ص ٣١٤ بتصرف .

(٣) سورة البقرة الآية : ١٦٤ .

(٤) سورة الذاريات الآية : ٢١ .

- ويقول ﷻ: ﴿ وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ ﴾ (١) ﴿
- ويقول ﷻ: ﴿ فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ مِمَّ خُلِقَ ﴾ ﴿ خُلِقَ مِنْ مَّاءٍ دَافِقٍ ﴾ ﴿ يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ ﴾ (٢) ﴿
- إن كل جزئية أشارت إليها الآيات دليل واضح على وجود الله تعالى، وإثبات قدرته، وبيان سائر صفاته ﷻ .
- وهناك آيات كثيرة في المسار الكوني تدل على وجود الله تعالى وتثبت قدرته، ... منها :-

- خلق الله تعالى قشرة الأرض على نحو يصون الإنسان، ويحفظ الحياة، فلو كانت قشرة الأرض أسمك مما هي عليه بمقدار بضعة أقدام لامتصت ثاني أكسيد الكربون، والاكسجين، ولما أمكن وجود الحياة على الأرض، ولو كانت أرق من ذلك لانبعثت منها الحمم والنيران .
- مقدار الهواء وحركته حول الأرض يصون الحياة فلو كان الهواء أقل ارتفاعا مما هو عليه فإن بعض الشهب التي تحترق بالملايين كل يوم في الهواء الخارجي تشعل كل شيء قابل للاحتراق في الأرض .
- ارتفاع الشمس عن الأرض بمقدار معين في فلكها، وإرسال كمية مقدرة من الإشعاع سبب لبقاء الحياة، فلو أن شمسنا أعطت نصف إشعاعها الحالي لكنا تجمدنا، ولو أنها زادت بمقدار النصف لكنا رمادا منذ زمن بعيد .
- يحقق المطر الحياة في الأرض بقدرة الله تعالى ، فلو انعدم المطر

(١) سورة الأنبياء الآية : ٣٠ .

(٢) سورة الطارق الآيات من ٥ : ٧ .

- أو قل لما كانت الحياة، ولكانت الأرض صحراء .
- ولولا البحار والرياح والمحيطات لما كانت الحياة .
- ولولا أن الماء يتبخر بشكل يخالف تبخر الملح لما كانت الحياة .
- ولولا أن البخار أخف من الهواء لما كانت الحياة .
- ولو كانت العناصر لا تتحد مع بعضها لما أمكن وجود تراب ، ولا ماء، ولا شجر، ولا حيوان، ولا نبات، ولا هواء، ولا طعام .
- ولولا الجبال لتناثرت الأرض، ولما كان مثل هذه القشرة صالحة للحياة (١)

(١) يورد علماء الكلام الأدلة العديدة على وجود الله تعالى، ويمكن إجمالها فيما يلي :-

- (١) دليل الحدوث، وهو دليل قائم على فكرة أن العالم حادث، وكل حادث لابد له من محدث، والمحدث للعالم هو الله تعالى .
 - (٢) دليل الإمكان: وهو دليل يقوم على فكرة أن العالم ممكن، وكل ممكن يعتمد في إيجادها على واجب، له وجود قديم، وهو الله تعالى .
 - (٣) دليل الدقة: وهو دليل يعتمد على حقيقة أن كل ما في الكون دقيق في صنعه، وهذا يدل على أن له صانعاً، ويستحيل أن توجد الصدفة، وهذا الصانع هو الله تعالى
 - (٤) دليل الغاية : ويقوم هذا الدليل على أن المخلوقات كلها وجدت لهدف وغاية تعمل لها ، وذلك لا يكون إلا من خالق عالم قادر مريد هو الله تعالى .
 - (٥) دليل العناية : يقوم هذا الدليل على أن العناية التامة أحاطت بالإنسان، من حيث صناعته، وتسخير الكون له، وتمكينه من السيادة فيه، وبعث الرسل له، وهذه عناية من الله تعالى تدفع إلى الإيمان بوحديته .
- والدليلان الأولان هما أدلة المتكلمين والفلاسفة، والأدلة الثلاثة مستنبطة من النظر في آيات الكون وآيات القرآن الكريم، وقد أشار إليها ابن رشد في كتابه " منهاج الأدلة " .

إن المتأمل في كل موجود يدرك الصناعة العجيبة التي لا يقدر عليها إلا الله تعالى ، مما يدفع إلى ضرورة الإيمان بالله تعالى الواحد الأحد، والتسليم بكل ما جاء من عنده ﷻ، وطاعته، وعبادته وحده .

إن الإيمان بالله تعالى فطرة مركوزة في الطبع ، يقر بها العقل المجرد، ويؤكد بها النظر السليم، ويسلم بها فكر كل مفكر لبيب، ويعجز أمام براهينه كل مفتر كذوب .

خامساً :

قضية الإيمان بوجود إله واحد هي القضية الوحيدة التي تعتمد على البراهين العقلية قبل البراهين الشرعية ، لأن الإنسان قبل إيمانه بالله تعالى لا يصدق بالوحي ولا بالرسالة ، ولذلك لا يصح مخاطبة المشركين والملاحدة بالوحي المنزل ، وإنما تكون دعوتهم في هذه القضية بالمناقشات العقلية، والبراهين الواقعية، ولذلك استعمل الرسل والأنبياء جميعاً البراهين العقلية المعتمدة على الواقع المشاهد، ودعوا الناس إلى النظر إليها، والإيمان بالله الذي خلق فسوى، والذي قدر فهدى .

سادساً :

تأتي قضية الإيمان بالرسول بعد قضية الإيمان بالله تعالى ، وهي تحتاج إلى نظر عقلي يأخذ المعجزة برهاناً من الله تعالى على صدق الرسول الذي يدعو إلى الله ﷻ ، وقضية الإيمان بالرسول قضية تابعة للإيمان بالله تعالى، لأن وحي الله تعالى ينزل للناس في الأرض، ولا بد له من شخص يستقبله من الملك، ويبلغه للناس، فمن هو هذا الشخص الذي يقوم بالرسالة، والذي لا بد منه ؟ ...

إنه واحد من الناس، يختاره الله من بينهم، ويميزه بصفات يرونها فيه ويؤيده بمعجزات تشهد بصدقه، وتؤكد تميزه عنهم، فيصدقون به، ويأخذون الدين

منه، ولذلك يكون الإيمان بالرسول قائما على نظر عقلي، وتوجيه ديني .
وهذا ما حدث مع رسل الله جميعا، ومع خاتمهم رسول الله ﷺ ، وأدركت
الأمم كلها ضرورة اختيار رسول لتبليغ رسالة الله تعالى ، ولذا آمل اليهود أن
يكون الرسول منهم ، فلما ظهر من العرب كفروا به ، وحاربوه .

لقد تميز رسول الله ﷺ بالصدق، والأمانة، ومكارم الأخلاق، وأيده الله
بالمعجزات الدالة على صدقه، وخصه بمعجزة القرآن الكريم ، وحفظه للناس
إن تقديم الإسلام للناس يعتمد على منهجية نزوله من عند الله تعالى، فلقد
أنزله الله تعالى منجما، وكان رسول الله ﷺ يعيش مع الجزء المنزل لا يتركه
لغيره إلا بعد حفظه وبيانه ، والعمل به ، ولم يلتفت ﷺ إلى الكثرة الفارغة
من الناس، وإنما كان يركز على الإيمان الصادق وإن قل أنصاره .

وكان ﷺ يؤسس في القلوب الاعتقاد الجازم الذي يدفع صاحبه إلى
الطاعة والاستسلام والعمل.

والمؤمن بالله تعالى ورسوله ﷺ يصدق بكل ما جاء الرسول به من
عند الله تعالى، ولذلك كان سؤال المسلم لرسول الله ﷺ: الله أمرك بهذا ؟...
فإن علم نزوله من عند الله تعالى التزم به، وعاش عليه، ومن الضروري
الاستفادة بآيات القرآن الكريم في إثبات التوحيد، والبرهنة عليه .

نزل الإسلام كله في عهد النبوة، وشرعت النظم، وقامت دولة الإسلام،
ونزل قوله تعالى : ﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتِمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيْتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ
دِينًا ۖ ﴾ (١) .

إن الإسلام يحتاج ممن يحمله أن يعلمه، ويخلص له، ويطبقه على نفسه
أولا قبل أن يوصله للناس .

(١) سورة المائدة الآية : ٣ .

المبحث الثالث

تجنب الاختلافات المذهبية حول العقيدة

الإسلام دين الله تعالى الثابت في القرآن الكريم والسنة النبوية الموحى بهما لرسول الله ﷺ.

وكان العرب يتميزون بسليقة الفهم، وإتقان معاني لغتهم، ولذلك كان رسول الله ﷺ ينقلو عليهم الوحي، فيفهمونه بدقة تلقائية .

ولم يحتج العربي لشرح بعد تلاوة رسول الله ﷺ ، فإن استشكل عليه نص تبينه، وإن عرض له سؤال سأل عنه، وبهذا وصل الإسلام إلى العقول صافيا، وتبع المسلمون رسول الله ﷺ بلا اختلاف ولا تعارض .

وعاش الصحابة الكرام بعد رسول الله ﷺ على ما تركهم رسول الله ﷺ ملتزمين بمحكم التنزيل، ويفسرون به ما تشابه عليهم، واستمر السلف على ذلك إلى أن اتسعت الأمة، ودخل في الإسلام غير العرب، فظهرت العجمة، ووقع الخلاف .

وهنا ظهرت الفرق السياسية في المسلمين مثل الشيعة، والخوارج، والمعتزلة في مواجهة أهل السنة، وانقسمت هذه المذاهب إلى فرق شتى .
والمذاهب السياسية تختلف عن المذاهب الفقهية، لأن المذاهب الفقهية يدور الخلاف بينها حول بعض الأحكام الفقهية الفرعية بناء على ثبوت الأدلة، وتوجيهها نحو المدلول عليه، وعدم تعارضها مع الأصول الفقهية التي استنبطوها من القواعد الشرعية الثابتة .

وهذا الاختلاف رحمة بالأمة لأنه يعمل على اتساع دائرة الأحكام الشرعية أمام المكلف استدلالا بما ثبت عن رسول الله ﷺ، وإيجادا لعدد من الأحكام الشرعية في المسألة الواحدة مرتبطة بالدليل بلا انقسام بين الفقهاء، ...
وقد أقام الفقهاء مذاهبهم على توجهات الدليل الشرعي، ومنطلق الحوار

العميق، وتبادل الآراء للوصول إلى الصواب، وكان صاحب المذهب يجلس مع تلامذته واتباعه للحوار، والنقاش، والنظر للوصول للأحكام التي تكون منها المذهب، وكان المسلمون يأخذون الأحكام منهم حيث كان الدليل الشرعي مصاحبا للرأي الفقهي ، ولم يترتب على المذاهب الفقهية خلاف أو صراع .

أما المذاهب العقدية فقد نشأت حول السياسة بعد مقتل عثمان رضي الله عنه ، وأدت إلى انقسام المسلمين إلى فرق وضعت أحكاما عقدية أدت إلى انقسام الأمة إلى أحزاب عديدة وإلى شيع شتى، وكان لكل فرقة رأي في السياسة والحكم، ففريق تشيع لعلي رضي الله عنه، وآخرون كانوا مع معاوية، وغيرهم خرجوا على هؤلاء وهؤلاء، ... ولكل فريق رأيه في إطار فهمه للنصوص الدينية . ووصل الاختلاف إلى الحرب والقتال .

ومن هنا

ينبغي تجنب الاختلافات العقدية، وبخاصة بين العامة، لأن عرضها يؤدي إلى التساؤل، ولا يحقق الغاية المقصودة من الدعوة . ويمكن مدارس الآراء العقدية بين الخاصة والعلماء حتى لا يؤدي الاختلاف العلمي إلى صراع عملي، وانقسام ضار . ويحسن أن تكون الفتوى في الأحكام الشرعية على المذهب الفقهي الذي يعلمه الناس إن كانوا مسلمين .

وليس معنى الابتعاد عن المذاهب العقدية في الدعوة إهمالها بالكلية، وإنما المقصود تركها مؤقتا ليقوم بتوضيحها العلماء، أو الهيئات العلمية المشرفة على عملية الدعوة في صورة محاضرات عامة، أو كتب مطبوعة، أو نشرات توضح المذهب وما فيه من إيجابيات وسلبيات .

إن الغزو الفكري المعاصر يعتمد على إظهار آراء منحرفة في صورة فرقة دينية، أو شكل اجتهد علمي مثل القاديانية، والبهائية، والمسيح المنتظر ، ورد هذه الضلالات يكون من الهيئة المشرفة على الدعوة حتى لا ينشغل بها الدعاة، ويكون حديثهم عنها نشرًا لها وسط أناس لم يسمعوها عنها.

إن الإسلام دين قائم على العلم، ويجب حمايته كذلك بالعلم، ورد الباطل عن الإسلام يكون بالعلم بحماية للأمة، وانتصارًا للحق والصواب .

وفي العصر الحديث تعددت الفرق الدينية، وظهر منها ما لا أصل له، واستغل خصوم الإسلام كثيرًا منها لتشويه التعاليم الإسلامية، وإدعاء وجود تناقض وتضارب .

إن الإسلام دين واحد ، ومصادره واحدة، ولا يصح أخذه من غير مصادره الصحيحة الثابتة التي حددها النبي ﷺ بقوله : (إني قد تركت فيكم ما إن اعتصمتم به فلن تضلوا أبداً كتاب الله وسنة نبيه ﷺ) (١) .

وليس من الصواب وجود أكثر من هيئة تشرف على عملية الدعوة في الوطن الواحد حرصًا على وحدة الأمة، ووحدة التوجيه فيها، لأن تعدد الجهات يؤدي إلى تعدد الآراء، وتعدد المناهج، وقد يؤدي هذا إلى ظهور هيئات متعارضة تسوق أتباعها إلى الصراع الذي نحذر منه .

وحيثما تكون الهيئة المشرفة واحدة تتركز الجهود العلمية، وتتعمق الأفهام لخدمة الحق، والمحافظة على دين الله تعالى .

إن تعدد الهيئات المشرفة على الدعوة في الإقليم الواحد يؤدي إلى تضاربها أحيانًا ولو في أمور فرعية، وهذا يوقع الدعاة الذين يواجهون الناس في بلبلة وحيرة، ويظهر تعارضهم أمام الجمهور .

(١) المستدرك على الصحيحين للحاكم - كتاب العلم، فأما حديث عبد الله بن نمير - حديث : ٢٨٧ .

إن وجود هيئة واحدة لتوجيه الدعوة يمكنها من القيام بواجبها المنوط بها، وبخاصة في عصر كثرت فيه السبل، وتتنوع صور الاتصال .

إن الدعوة في العصر الحديث تحتاج إلى إصدارات عديدة مطبوعة مثل الصحف اليومية، والنشرات الموجزة، والكتب المؤلفة، وتحقيق أسفار التراث الضخمة، كما تحتاج إلى إذاعات موجهة ، ولجان للفتوى، وعلماء متخصصون يتبعون كل ما يقال عن الإسلام، ويردون الشبه والمزاعم بدقة وتفصيل، ويبينون موقف الإسلام من القضايا المثارة، ومدى حرصه على إقرار الحقوق، وتوضيح الواجبات، وتحقيق سعادة الناس في الدنيا والآخرة.

ولا يصح أمام هذه الحاجة أن نبعث الجهود، ونشغل الدعاة بالآراء المشوهة التي يثيرها الخصوم، وينشرونها بوسائل الاتصال المختلفة في جراءة لا تراعي الحق أو الصواب .

إن الأمة المسلمة أمة واحدة، يجمعها دين واحد ثابت بمصادره، وحقيقته، وقد تكسرت أمامه السهام، وغلب أعداء الضالين، ولا يصح إعانتهم بالتمزق والتفرق، وبخاصة بين العلماء المسلمين .

الفصل الثالث

الركن الثاني

الداعية " مبلغ الإسلام "

الداعية مبلغ الإسلام

الإسلام في جملته مجموعة من المعارف العقلية النازلة من عند الله تعالى ليعيش بها المؤمنون بها بعد أن يجعلوها يقينا ثابتا في عقولهم ، ومنهجها عمليا في جوارحهم، وإشراقا روحيا في ضمائرهم وعواطفهم .

ولذا كانت حاجة الإسلام إلى حامل يعلمه ويفهمه، ويؤمن به، ويوصله للناس على النحو الذي نزل به من عند الله تعالى .

لقد تميز رسل الله جميعا بالفطنة، والصدق، والأمانة، والشجاعة كما صنعهم الله تعالى ليفهموا الدين بدقة، ويبلغوه للناس كما نزل من عند الله تعالى بأمانة، ويصدقوا الناس في كل ما يقولون لهم بلا خوف من مخلوق، أو رقابة من بشر .

وأنبياء الله تعالى هم قدوة الدعاة إلى الإسلام، ولذا كان من الضروري تمييز الدعاة بما تميز به الرسل، يقول الله تعالى : ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهِدَّتْهُمْ أَقْتَدَةً﴾ (١).

والدعوة عمل شاق، لأنها تخاطب العقول بالحكمة، وتنقل الإنسان من محيط الضلال والهوى إلى سعة الحق والهدى، وتصنعه صناعة جديدة .

وفي هذا الفصل سأبحث - بإذن الله تعالى - الركن الثاني في نظرية الدعوة إلى الله تعالى وهو " الداعية " وذلك في المباحث التالية : -

(١) سورة الأنعام الآية : ٩٠ .

المبحث الأول التعريف بالداعية

الداعية هو صوت الدعوة إلى الناس، يعرفهم بها، ويحببهم فيها، وينير لهم صراط الله المستقيم، ولا يقوم بهذه المهام إلا إنسان جمع العديد من الصفات والمزايا اقتداء برسول الله ﷺ .

لقد اتصف رسول الله ﷺ بالصدق والأمانة، والحكمة، والفتنة، والقوة، والشجاعة، حتى عرف بين الناس بالصادق الأمين، وسعد به أهل مكة حين رضوه ليضع الحجر الأسود في مكانه قبل النبوة .

والدعاة اليوم هم المبشرون المنذرون حاملون صوت النبوة، المكلفون بالوصول بها إلى كل مكان في الوجود، ... وقد قدر الله ﷻ للدعوة أن تظل باقية في كتبها، محفوظة بمصادرها، والواجب اليوم وجود الداعية الكفاء الذي يتخذ الرسول ﷺ أسوته، ويستجمع ما اتصف به ﷺ على قدر طاقته، **وَلِكُلِّ فِى رَسُولٍ لِّلَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ** (١) ليقوم بالوظيفة التي ورثها عن رسول الله ﷺ **ولذلك وجب على الأمة المسلمة أن تختار من بنيتها نفرا تنشئهم، وتربهم، وتعلمهم ليحملوا أمانة الدعوة، وتبليغها للناس على الوجه المطلوب.**

إن العالم المعاصر مع تشعب أعماله، وكثرة أنشطته، وروعة تقدمه العلمي يخطط لإيجاد أناس متخصصين في كل فرع معرفي أو عملي يحتاج إليه الناس، مع إحاطة هؤلاء المتخصصين بكل الإمكانيات المتاحة ليصلوا إلى ذروة المعرفة الممكنة، ويعيشوا قمة عملية في المجال الذي تخصصوا فيه، ويتمكنوا من خدمة الناس فيما تخصصوا فيه .

(١) سورة الأحزاب الآية : ٢١ .

ففي مجال الحرب تعددت أشكالها، فهناك الحرب الصاروخية، والكيمياوية، والبيولوجية، والنفسية، وفي كل ذلك متخصصون .

وفي الطب، وفي الاقتصاد، وفي الزراعة، وفي التعليم، وفي كل نشاط متصور نجد العناية بالتخصص، والاهتمام بالموضوع حتى يمكن الوصول إلى أقصى الممكن، ونرى الجديد كل يوم .

والدعوة الإسلامية هي أسمى واجبات الأمة الإسلامية، وأول مسئوليات الحاكم المسلم، ولذلك صار من الضروري إيجاد الداعية الكفاء ليقوم بالمهمة الدعوية على الوجه الأكمل .

إن الداعية يحمل الإسلام للناس، ولا بد أن يعلمه، ويعمل به، ويحسن الدعوة إليه، ويلتقي مع الناس في إخوة ومودة، ويكون الصورة المسلمة وهو يتحرك مع المدعوين.

إن الله تعالى خالق الناس جميعا، وهو سبحانه يختار رسله من بينهم ، ويصنعهم ليكونوا حملة الوحي للناس، يقول تعالى: ﴿ وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ سُبْحَانَ اللَّهِ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ (١) .

ولهذا كان من الضروري صناعة دعاة لدين الله تعالى، متميزين بكافة الصفات التي تمكنهم من القيام بالدعوة على الوجه المطلوب .

المبحث الثاني

صناعة الدعاة

يحتاج القادة دائما إلى التعلم والتدريب ليقوموا بواجبهم على الوجه الأكمل، والدعاة إلى الله تعالى جماعة هامة لدين الله ﷻ، ولأمة كلها ، ولذا وجب الاهتمام بهم ، وإيجادهم في إطار الخطوات التالية : -

- أولاً -

الاختيار المبكر للدعاة

يحسن في الدولة المسلمة اختيار الأطفال الموهوبين منذ الصغر، وتوجيههم ، وتربيتهم ليكونوا دعاة لدين الله تعالى.

واختيار الموهوبين منذ صغرهم يعتمد على متابعة استعدادهم البدني والذهني، وقابليتهم للحوار، وشجاعتهم الأدبية، وقوة شخصيتهم، وفق المعايير العلمية التي توصل إليها علماء العصر.

إن الطفل الموهوب يتميز بالذكاء، ودقة النظر، والقدرة على القيام بأكثر من عمل بعدد من الجوارح في وقت واحد، كما يتميز عن أقرانه بمستوى كبير في التحصيل، وطريقة الحوار، ودقة الأداء لما يكلف به .

إنه باختصار صاحب قدرات خاصة عقلية وحركية تظهر عنده منذ صغره ، وتجعله واثقا من عمله، راضيا بتوجهه، لا يخاف فشلا، ولا يرضى بكسل

إن اختيار بعض الموهوبين منذ الصغر، وتعهدهم بالتربية الدعوية النظرية، والعملية من وقت مبكر ضرورة واجبة، والطريق إلى هذا الاختيار يبدأ من دور الحضانة الأولى، ويمكن للمشرفين على دور الحضانة أن يصنعوا بطاقة لكل دارس تدون فيه ميوله، ورغباته، ومستوى ذكائه، وقدرته على التحصيل الدراسي ، ومدى استجابته لتوجيه أساتذته أمرا ونهيا ، ومدى

تأثره بأقرانه، وتأثيره فيهم، لأن هذه المعلومات تعتبر مؤشرا على شخصية الطالب، واتجاهاته فيما بعد، وتفيد أولى الأمر في صناعة المستقبل .

وإذا فرغ الصبي من تعلم القرآن الكريم ، وحفظ أصول اللغة ننظر عند ذلك إلى ما يراد أن تكون صناعته، ونوجهه لطريقه المناسب له، لأن بعض الصناعات قد لا تناسبه، لكن ما شاكل طبعه وتأسيسه هو خير ما يوضع فيه، ويناسبه .

إن وضع الإنسان في موضع يتفق مع ميوله، واستعداداته أول شروط النجاح، وهو البداية الصحيحة لتحقيق الأهداف على وجه صحيح، ولنقتد في ذلك برسول الله ﷺ، فهو الذي اختار أبا بكر ، وعمر رضي الله عنهما للشورى، واختار أبا عبيدة، وخالد، وأسامة رضي الله عنهم للحرب والقتال، واختار عليا ومعاذا رضي الله عنهما للحكم والقضاء، واختار مصعبا رضي الله عنه للدعوة وتحفيظ القرآن الكريم.

وهكذا كان سائر الصحابة الذين وكل إليهم الرسول ﷺ أعمالا متعددة، وما قضى رسول الله ﷺ بذلك إلا وفق استعداد كل منهم ليقوم بما يعهد إليه

لقد كان رسول الله ﷺ على علم بأصحابه قبل البعثة، ولذلك اختار بعضهم ودعاه سرا إلى الإسلام في البداية، ولم يدع آخرين إلا بعد مدة .

ومن الممكن أيضا عقد لقاءات شخصية للطلاب، وتكليفهم بأعمال معينة لاختبار قدرتهم ، واستعدادهم لهذا النوع من الدراسة ، لأن الاستعداد الشخصي أساس للتفوق العلمي، ولقد كان السلف الصالح رضوان الله عليهم يختبرون من يُعلّمون، ويقفون على مستوى قدراتهم الذهنية والعقلية ، حتى لا يضيعوا البذرة في أرض سبخة، أو في غير وقتها المناسب .

من ذلك ما حدث من الخليل بن أحمد علامة العربية حينما أتاه النظام بولده إبراهيم وقال له : علم لي ولدي هذا .

فأخذ الخليل الولد، واختبر ذكاءه أولاً ، وقال له: صف هذا الكأس ، وأشار إلى كأس في يده .

فقال الغلام : بمدح أم بدم ؟

قال الخليل : بمدح .

فقال الغلام : تريك القذى، ولا تقبل الأذى، ولا تستر ما ورى.

قال الخليل : فذمها .

فقال الغلام : يسرع إليها الكسر ، ولا تقبل الجبر، وتجرح البدن .

ومع الذكاء كانوا يختبرون مدى الحفظ، والتركيز، ومن ذلك أن الحافظ العراقي لما ذهب إلى شيخ ابن البابا ليتلقى عنه الحديث اختبره أولاً حيث قال له : من ابن البيع ؟

قال الحافظ : الحاكم أبو عبيد النيسابوري .

فقال له : من أبو محمد الهلالي ؟

قال : سفيان ابن عيينة .

هنا قال له ابن البابا: هلم يا بني، وعرف مكانته من الوعي والإدراك، واستعداده للتعلم، وعلمه (١) .

فهذان مثالان من التراث الإسلامي يؤكدان ضرورة معرفة مستوى طالب العلم، والوقوف على قدراته العقلية، والفكرية لتوجيهه حيث استعداده في الإدراك، ودقة النظر، وقوة الحافظة، وحسن تصرفه في المواقف المفاجئة إن مثل هذا الاختيار يتم اليوم في عديد من الدراسات المتخصصة التي تبدأ من وقت مبكر كدور المعلمين والمعلمات، ومعاهد الخدمة الاجتماعية، والمدارس العسكرية المتنوعة وذلك كله ليوضع الدارس في العلم

(١) قواعد الخطابة ص ٢١٥ .

والعمل الذي يناسبه، ويربى التربية التي تناسب العمل المأمول فيه. وقد أدرك قدر هذا الاختيار المبكر أصحاب المذاهب الوضعية ، ورجال الأديان الأخرى، فعملوا به، وأخذوا يعدون لباطلهم دعاة فيهم الذكاء، والإخلاص، والنشاط، ... وغير ذلك من الصفات التي تنتشر بها الأفكار والعقائد، وتنهض بها الأمم والشعوب .

لقد نادى أفلاطون في جمهوريته، والفارابي في مدينته بضرورة الاستفادة بالنباهة، والعقل في القيادة والتوجيه، وحراسة القيم والخلق، ودائما يتفوق أهل العقل والنباهة، والمرء مقدر بعقله ولسانه .

وإعداد الدعاة إلى الإسلام يجب أن يندرج في هذا الخط الطبيعي، لأن خدمة الإسلام هي أوجب واجبات المسلمين، ونشر الإسلام بين الناس هو المنهج الصحيح لصناعة الأفراد، ونجاح الأمة.

إن وجود داعية واحد متميز وسط الجماعة يقوى دينها، وينشط عملها، ويحقق لها الجد في العمل، والحسن في الخلق، والإخلاص في مراقبة الله تعالى، وبذلك تتقدم الأمة وتنهض .

- ثانياً -

التفرغ للتعليم النظري

إن اختيار الموهوبين، وتنشئتهم للدعوة أساس نجاح عملية الدعوة، لأن الموهوب يفهم بسرعة، ويتقن الكليات والجزئيات بمهارة عالية .
ويحسن تعهد الموهوبين بالتعليم بعد اختيارهم، ورعايتهم الوقت كله، وذلك بواسطة الدراسة الداخلية التي تتعهد طلابها الوقت كله، حيث التوجيه والتدريس بالنهار، والإشراف والتنظيم، والإعانة في بقية اليوم .

وليس التفرغ للدراسة بالأمر الصعب، لأن نوعيات عديدة من المدارس والمعاهد في جميع أنحاء العالم أخذت بنظام التفرغ خلال الدراسة في مقابل

تحقيق بعض المزايا المادية والمعنوية للدارسين ، وكان الإقبال عليها شديداً ، ودلت نتائجها على تحقيقها لأغلب الأهداف التي وضعت البرامج من أجل الوصول إليها .

ويجب أن تشمل مدارس الدعاة على مزايا عديدة يجدها الدارسون خلال الدراسة وبعدها، تبعاً للمنهج الموضوع لها، ويقوم على تطبيقها ثلة من المربين والأساتذة الذين يجمعون بين العلم، والصدق، ورغبة النجاح في المهمة الموكولة لهم إرضاء لله تعالى، وحبا لدينه القويم .

وقد أوقف مصلحو الأمة أموالاً عديدة للإنفاق على طلبة العلم، ويمكن توجيهها في تربية الدعاة .

ومن المعلوم أن صناعة الدعاة تعني صناعة الأمة ، فإذا ما أحسن المسئولون اختيار الدعاة، وتعهدهم بالتربية والتكوين فقد أدوا بعض ما وجب عليهم، ونفعوا في نفس الوقت أنفسهم، وأمتهم، وأمكنهم نشر العدل، وتحقيق الأمن، ومحاربة البغي والفساد بواسطة من أعدوا من الدعاة .

إن مناهج ومقررات مدارس الدعاة يجب أن تتجه جميعاً إلى بناء شخصية الدعاة بصورة متكاملة، وقد ضرب رسول الله ﷺ من نفسه نموذجاً لهذه الشخصية لتكون ماثلة أمام المسلمين في مختلف العصور ينشئون أجيالهم على نمطها، ويتخذونها المثل لحياتهم ومعاشهم ، ولا غرو في ذلك فرسول الله ﷺ بُعث ليتمم مكارم الأخلاق بالهدى ودين الحق ، وليوجه الإنسانية إلى ما يصلح شأنها ويُعلي قدرها.

إن الدعوة إلى الإسلام تحتاج في كل وقت إلى التكامل في شخصية الدعاة، ومن هنا ندرك حرص الرسول ﷺ على تكامل أصحابه، والاعتداد بهم، حتى أصبح كل منهم أمة في نفسه، لا يعرف غير الحق، ولا يخشى

في الله لومة لائم، وصدق رسول الله ﷺ في قوله عنهم: (لا تسبوا أصحابي ، فلو أن أحدكم أنفق مثل أحد ذهباً ما بلغ مد أحدهم ، ولا نصيفه) (١) .
وتكامل شخصية الداعية يتم بتمكنه من الصفات الواجبة له ، وهي إيمان متين ، وخلق قويم، وعلم دقيق، وأفق واسع،

ويجب أن تقدم مدارس الدعوة لطلبتها الدراسات التي تساعد على هذا التكامل وفق خطة مقررّة يضعها الإشراف المتخصص على إعداد الدعاة.
إن المنهج المدرسي الذي تتطلبه التربية الإسلامية يجب أن يحقق مزايا الدعوة، ويتصف بأهم صفاتها ومميزاتها، ويحقق أهدافها، ويبني على أسسها التصورات الفكرية عن الكون والحياة والإنسان .

ومن الضروري احتفاظ المنهج بالخصائص التالية : -

- (١) أن يكون منهجاً موافقاً للفطرة الإنسانية الصافية، يعمل على تركيتها، وحفظها من الانحراف، تلك الفطرة التي أشار إليها الحديث النبوي، فقد روى أبو هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: (ما من مولود إلا يولد على الفطرة، فأبواه يهودانه، أو ينصرانه، أو يمجسانه كما تنتج البهيمة بهيمة جمعاء، هل تحسون فيها من جدعاء) (٢) .
- (٢) أن يكون المنهج محققاً لهدف الدعوة الإسلامية الأساسي وهو الإخلاص في الطاعة، والصدق في العبادة لله تعالى ، وغرس القيم النبيلة التي ترمي إلى تقويم الحياة ، وتوجيهها البناء في جميع المجالات .

(١) صحيح البخاري - كتاب المناقب، باب قول النبي صلى الله عليه وسلم : " لو كنت - حديث :

(٢) صحيح البخاري - كتاب الجنائز، باب إذا أسلم الصبي فمات - حديث : ١٣٠٥

(٣) أن يكون المنهج في تدرجه ومستواه موافقا في كل جزء منه للمرحلة التي يوضع لها، من حيث طبيعة الطفولة ، والشباب، والكبر، ... ومن حيث الأنوثة ، والرجولة ، ومن حيث المهام المطلوبة في كل مرحلة، والمهام الاجتماعية التي يهيأ لها كل فرد مسلم في المجال الذي سيكون فيه .

(٤) أن يراعي المنهج في توجيهاته حاجات المجتمع الواقعية والمعاشية ومنطلقاته الإسلامية المثالية كالجد في العمل، والصدق في النصيح، والاعتزاز بالأمة الإسلامية، والولاء لها، والارتباط بالمبادئ الإسلامية مثل قوله تعالى :

- ﴿ وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمُ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾ (١)
- ﴿ وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ ﴾ (٢)
- ﴿ كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ ﴾ (٣) .

(٥) أن يركز المنهج على الأعمال التي تحتاجها الأمة في كل بيئة بحسب ظروفها الطبيعية التي يسرّها الله تعالى لها من خدمات صناعية، أو بيئة زراعية ، أو مناخ إداري، أو مكانة تجارية بحرية أو برية ، لأنها نعم إلهية، وهي آيات ربانية يسوقها الدعاة للناس حتى يؤمنوا، ويعلموا ما الله تعالى عليهم من أفضال .

(٦) أن يوضح المنهج القضايا الكلية في الاختصاصات التي لا بد منها لرفقي المجتمع كالاختصاصات الصحية، والحربية، والإدارية،

(١) سورة آل عمران الآية : ١٣٩ .

(٢) سورة المنافقون الآية : ٨ .

(٣) سورة آل عمران الآية : ١١٠ .

والإسلامية، والثقافية، والأخذ من كل جانب من جوانب الحضارة بطرف مما لا يتعارض مع الإسلام ، ولا يختلف معه أيما اختلاف ، بل يعين على رفع شأن الأمة، وتحقيق شريعة الله ﷻ وعدله، وتحقيق حضارة الإسلام الفكرية والروحية .

-ثالث-

التدريب العملي الدعوي

الدعوة قائمة على اتصال الدعاة بالناس لتبليغهم الرسالة التي يحملونها، وعملية الاتصال متنوعة، وتحتاج إلى وعي ويقظة الداعية وهو يقوم بها ليعرف رد الفعل عند الناس، ويقف على مدى تقبلهم لما يقول،

ولذلك صار واجبا على مؤسسات التعليم الخاصة بتربية الدعاة أن تهتم بتدريب الطلاب في مراحل التعليم المختلفة على حسن الحوار، وكيفية مواجهة الآراء، وطرق الاعتراض والرد، وذلك في المراحل كلها، مثل تكليف الطلاب بإعداد مقالات قصيرة، وإلقائها على زملائهم، ومناقشتهم فيها، وعقد ندوات ومناظرات في قضايا بسيطة يدور حولها الحوار، ... ومثل تكليفهم بمتابعة خطبة أو مقالة، والتعليق عليها بإبراز الإيجابيات والسلبيات فيها .

إن الأحزاب السياسية تدرب الشباب على متابعة الأحداث الاجتماعية، ووضع حلول لها ، والمشاركة في علاجها.

ولقد عشت تجارب دعوية مع طلاب المعاهد الأزهرية، حيث كان الأساتذة رحمهم الله جميعا يحددون للطلبة موضوعات نقاشية يتحاورون فيها، مثل :

- صفات المسلم الاجتماعية .
- الملامح العامة للمجتمع المسلم .
- المفهوم العلمي للكرامة الإسلامية .

ووضح فضيلة الدكتور / عبد الحليم محمود شيخ الأزهر ضرورة
التدريب العملي لطلاب كلية الدعوة الإسلامية، وقرر صرف مكافأة شهرية
لكل طالب يدرس في الدعوة قدرها خمسة عشر جنيها مقابل التدريب العملي
في المساجد .

وأكرمني الله تعالى بموافقة فضيلة الدكتور / عبد المنعم النمر وهو
وزير الأوقاف على صرف عشر جنيهاً لكل طالب في كلية الدعوة زيادة
على المكافأة، واشترى فضيلته للكلية أتوبيسا صغيرا يستعمله الأساتذة
والطلاب حين خروجهم إلى المساجد للتدريب العملي (١) .

وقد ساعد هذا على إقبال الطلاب المتفوقين إلى كلية الدعوة، وكان لهم
أثرهم الدعوي في المجتمع بعد التخرج .

والأمل في تواصل التدريب العملي لطلاب الدعوة، لإكسابهم الخبرات
الاتصالية في نشر دين الله تعالى، وياحبذا لو رصدت مكافأة للتدريب
العملي لما لها من أثر كبير ظهر بالتجربة العملية، ... وللازهر أوقافه
الخاصة بطلاب العلم، وفي مقدمتهم الطلاب الذين نعددهم لحماية دين الله
تعالى، ونشره بين الناس .

لقد أثبت التدريب العملي الدعوي للطلاب فوائد عدة استفاد منها
الطلاب والأساتذة والعاملون بوزارة الأوقاف .

(١) يلاحظ أن المكافأة كانت مجزية في أوائل الثمانيات من القرن الماضي، لأن مرتب الخريج
وقتها كان خمسة وعشرين جنيها مصريا .

المبحث الثالث صفات الداعية

ينطلق الداعية إلى المدعوين بالرفق واللين، ويعيش بينهم بصفاته، وأخلاقه التي تميز بها، ويفيض عليهم بما أعطاه الله تعالى من علم ومعرفة. والناس يسمعون أقوال الداعية، وينظرون إلى عمله وسلوكه، ويستفيدون بكل ما يسمعون، ويشاهدون، ... ولذلك وجب أن تكون شخصية الداعية انعكاسا عمليا لدعوته، متصفا بالصفات التي يدعو إليها، وأهمها :-

- ١ -

الإيمان التام بالله تعالى

الإيمان بالله تعالى هو المحور الرئيسي للدعوة، وهو أساس الإسلام كله، يتيقنه مؤمن به، ويخلص له، وينشره في الناس على الوجه المطلوب، وعلى الداعية أن يكون مثل غيره مؤمنا، صادقا، وعليه أن يمتن يقينه بربه ﷻ، ويقوي صلته بخالقه ﷻ، ويجعل إيمانه قائما على التسليم الكامل لمولاه، والارتباط المطلق به، والتوكل الراسخ عليه، والوفاء التام لكل ما يأتي به، لتكون الدعوة بذلك نابعة من قلبه، ناطقة في قوله، ظاهرة في عمله وسلوكه، وكأنه صار قرآنا يمشي، ويتحرك، ويدعو .

وعلى الداعية أن يعيش جوه الإيمان هذا في حياته كلها، في بيته، وفي مدارس، وفي تجارته، وفي حياته العامة والخاصة .
إن معرفة الله تعالى يلمسها من القرآن الكريم، فيعلم أن الله واحد منزه عن الشريك في ذاته، وصفاته، وأفعاله، ويتقن ذلك بما يسوقه القرآن الكريم من آيات وبراهين .

وآيات القرآن الكريم واضحة في مفهومها ودلالاتها، انظر قوله تعالى :
﴿ وَالصَّافَّاتِ صَفًّا ۝ فَالزَّجَرَاتِ زَجْرًا ۝ فَالتَّالِيَاتِ ذِكْرًا ۝ إِنَّ إِلَهَكُمْ لَوَاحِدٌ ۝ رَبُّ السَّمَوَاتِ

وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَرَبُّ الْمَشْرِقِ ﴿٥﴾ (١) ، تراها قد صرحت بوحداية الله تعالى بلا غموض، وأكدت حقيقة التوحيد بالقسم، وبالجواب المؤكد بأن واللام ، وبما في القسم من آيات كونية ، وبراهين شاهدة على أن الله واحد .

يدافع القرآن الكريم عن هذه الوحداية، ويدعو إلى ترك ما عداها، فيقول الله تعالى : ﴿ وَقَالَ اللَّهُ لَا تَتَّخِذُوا إِلَهَيْنِ اثْنَيْنِ ^١ إِنَّمَا هُوَ إِلَهٌُ وَاحِدٌ فَإِنِّي فَآرَهُبُونَ ﴿٥﴾ (٢) ، وبذلك ينفي ما يزعمه الكفار والمشركون من تعدد الآلهة، ويثبت التوحيد بالبرهان والدليل .

ولا تقف الآيات عند الحديث عن وحدانية الذات، بل تتكلم عن كل كمالاتها بإثبات الصفات ، ومن هذه الآيات قوله تعالى : ﴿ قُلِ اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ ﴿٦﴾ (٣) .

ف نجد هذه الآيات وغيرها تعرف بأن الله موجود قديم ، حي، باق، عليم، قادر، سميع، بصير، متكلم .

والصفات وإن تشابهت ألفاظها مع مسميات بعض صفات البشر إلا أنها ليست هي في الحقيقة، لأن الله ^{سبحانه} : ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ^٢ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴿٤﴾ (٤) **والقرآن الكريم لا يترك الداعية** يبحث وحده عن الدليل الدافع إلى الإيمان، بل يوجه نظره إلى الآثار الإلهية في المخلوقات ليتم إيمانه، ويشعر بطمأنينة خاصة بين جوانبه، فلا يرى بعد ذلك إلا الخير المطلق يسري في داخل النفس، وخارجها .

(١) سورة الصافات الآيات من ١ : ٥ .

(٢) سورة النحل الآية : ٥١ .

(٣) سورة الرعد الآية : ١٦ .

(٤) سورة الشورى الآية : ١١ .

والمخلوقات عديدة، والنظر فيها يبين الدقة الإلهية ، والعناية الربانية، ويؤدي إلى الإيمان المطلوب .

ف ذات الإنسان المركبة من باطن فيه جهاز هضمي، وآخر للتنفس، ومن ظاهر به حواس وجوارح، ومن عواطف وجدانية معنوية، هذه الذات بكل أجزائها تقوم بوظيفتها بطريقة آلية دقيقة، وقد وزعت الأعمال في براعة ودقة على كافة الأجهزة، ليقوم كل بدوره في إطار كيان واحد متكامل، العين ترى، والأذن تسمع، واللسان يتكلم ، والرجل تمشي، والأسنان تقطع، والمعدة تهضم، والرئة تستنشق، والقلب يوزع الدم، والعواطف تعشق، والوجدان يسمو، والخيال يسبح في آفاق بعيدة ... **وهذا كله يشير إلى العناية، والدقة،** ويجعل الإنسان يؤمن بقدرة الخالق العظيم، يقول الله تعالى: ﴿وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلا بُرُورٌ﴾ (١)، ليرى فيها دلالة واضحة على وجود الصانع، وحكمته وتدبيره

ويكفي أن ينظر الإنسان إلى نفسه ليرى كما قال الزمخشري : في ابتدائها، وتنقلها من حال إلى حال ، وفي بواطنها وظواهرها عجائب الفطر، وبدائع الخلق،

يقول الزمخشري: " وحسبك بالقلوب وما ركز فيها من العقول، وما خصت به من أصناف المعاني، وبالألسن والنطق، ومخارج الحروف، وما في تركيبها ، وترتيبها، ولطائفها من الآيات الساطعة، والبيئات القاطعة على حكمة المدبر ، دع الأسماع، والأبصار، والأطراف وسائر الجوارح وتأنيها لما خلقت له ... وما سوى ذلك في الأعضاء من مفاصل للإنعطاف والنثني، إذا جسا شيء منها جاء العجز، وإذا استرخى أناخ الذل (٢) .

(١) سورة الذاريات الآية : ٢١ .

(٢) تفسير الكشاف ج ٤ ص ١٦ .

إن العالم الفسيح مليء بالآيات البينات، والعجائب الرائعات التي تحيط بالإنسان، أو تبتعد عنه، وفيها من بدائع الخلق، وكرم العطاء، وتوافق الوجود، ومساهمتها في التكامل الكوني الذي أراده الله تعالى، يقول الله ﷻ: ﴿ قُلْ أَنْظَرُوا مَاذَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾ (١)، ويقول ﷻ: ﴿ أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِلَهِ كَيْفَ خُلِقَتْ ﴾ (٢) ﴿ وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ ﴾ (٣) ﴿ وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ ﴾ (٤) ﴿ وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ ﴾ (٥) (٢)

إن قضية التوحيد واضحة شاملة لحق الله تعالى على الناس وهو العبادة، فهي حقه الملازم لتوحيده، وبذلك يتحقق الإيمان الواجب، ويسعد الخلق بالعبودية القاننة لله تعالى، وقد حصر الله تعالى سبب خلقه للجن والإنس في هذا الحق، فقال تعالى: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ (٣) .

يقول الزمخشري: إن معنى الآية ما خلق الله تعالى الجن والإنس إلا لأجل العبادة، ولم يُرد ﷻ من جميعهم إلا إياها، ولذا دعيت كل الأمم إلى واجبها، يقول الله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ ﴾ (٤) .

وكان النداء الأول في دعوة كل رسول قوله تعالى: ﴿ يَكْفُرُوا بِاللَّهِ مَا كَفَرِمْ إِلَىٰ إِلَهِ غَيْرُهُ ﴾ (٥)، لأن الإيمان بالله الخالق، والتسليم له يقتضي حتما أن تكون العبادة له وحده .

(١) سورة يونس الآية : ١٠١ .

(٢) سورة الغاشية الآيات من ١٧ : ٢٠ .

(٣) سورة الذاريات الآية : ٥٦ .

(٤) سورة النحل الآية : ٣٦ .

(٥) سورة هود الآية : ٦١ .

إن هذا الإيمان الراسخ بالله ﷻ يستتبع عبادة الله مخلصه، وحبا هائما، يؤدي بصاحبه حتما إلى التوكل الدائم على الله تعالى ، والاستسلام له، لأنه ما دام قد ثبت في نفسه ثبوتا جازما أنه لا فاعل إلا الله ﷻ، واعتقد فيه تمام العلم والقدرة، وكمال العناية والرحمة، وأنه ليس وراء منتهى قدرته، وعلمه، ورحمته قدرة، ولا علم، ولا رحمة أخرى فإنه متكل عليه لا محالة، عابد له بالضرورة، راج أن يتمتع بمعينه ونصره دائما.

ولتمام توكل العبد نجده يسلم أمر رزقه إلى الله تعالى ويؤمن بـ ﴿ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ ﴾ (١)، ويترك كل شيء لإرادة الله وقدرته، لأن الأمر كله لله، ولا يقع في ملكه إلا ما أراد، فيتوكل عليه، ويقول: ﴿ إِنَّ الْكُفْرَ إِلَّا اللَّهُ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَعَلَيْهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ ﴾ (٢)، ويشكر النعم وبصبر على المكروه ﴿ وَلَتَصِيرَنَّ عَلَى مَاءٍ آذِينَ مُنَافِقًا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ ﴾ (٣) **وعلى الجملة فإن الأمر كما يقول الحكيم الترمذي : من نور الله ﷻ قلبه بالإيمان قويت معرفته، واستتارت بصيرته، واطمأنت نفسه، وسكنت عواطفه ووثقت ذاته، ورضيت بالله تعالى وكبلا، وتركت التدبير له، فإن وسوس له عدوه بالرزق والمعاش لم يضطرب قلبه، ولم يتحير ، لأنه قد عرف أن ربه قريب، وأنه لا يغفل ولا ينسى، وأنه رؤوف رحيم، وأنه غفور كريم، وأنه عدل لا يجور، وأنه عزيز لا تمتنع منه الأشياء، وأنه يجبر ولا يجار عليه (٤) .**

(١) سورة الذاريات الآية : ٥٨ .

(٢) سورة يوسف الآية : ٦٧ .

(٣) سورة إبراهيم الآية : ١٢ .

(٤) الرياضة وأدب النفس ص ٩٣ .

ورسول الله ﷺ هو قائد الدعاة، ومثلهم الأعلى، وأسوتهم في هذا الطريق الشاق .

يجب على الدعاة أن يتبعوا رسول الله ﷺ في كل فعله وقوله ، فلقد ورث رسول الله ﷺ الدين للناس، فليكن اتباع طريق رسول الله ﷺ مع الدعوة جزءا من الاتباع المطلق لرسول الله ﷺ ، والنصوص كثيرة تحت على هذا الالتزام .

- يقول الله تعالى : ﴿ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ٥٧ ﴾ (١) .

- ويقول ﷺ : ﴿ قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ٣١ ﴾ (٢) .

- ويقول ﷺ : ﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ
الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا ٥٦ ﴾ (٣) .

- ويقول ﷺ : ﴿ قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ١٨ ﴾ (٤) .

- وعن أبي هريرة ؓ أن رسول الله ﷺ ، قال : (كل أمتي يدخلون الجنة إلا من أبى " .

قالوا : يا رسول الله ، ومن يأبى ؟

قال ﷺ : " من أطاعني دخل الجنة ، ومن عصاني فقد أبى (٥)

(١) سورة الحشر الآية : ٧ .

(٢) سورة آل عمران الآية : ٣١ .

(٣) سورة الأحزاب الآية : ٢١ .

(٤) سورة يوسف الآية : ١٠٨ .

(٥) صحيح البخاري، كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، باب الاقتداء بسنن رسول الله ﷺ حديث : ٦٨٧١

- وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : (دعوني ما تركتكم ، إنما هلك من كان قبلكم بسؤالهم واختلافهم على أنبيائهم ، فإذا نهيتكم عن شيء فاجتنبوه ، وإذا أمرتكم بأمر فأتوا منه ما استطعتم) (١) .
- وعن أبي سليمان مالك بن الحويرث رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :
(... صلوا كما رأيتموني أصلي) (٢) .
- وعن جابر رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (لتأخذوا مناسككم ، فإني لا أدري لعلني لا أحج بعد حجتي هذه) (٣) .
- وعن عثمان بن حاضر الأزدي رضي الله عنه قال : (دخلت على ابن عباس رضي الله عنه فقلت : أوصني .
فقال : نعم " عليك بتقوى الله ، والاستقامة ، اتباع ولا تبتدع) (٤)
- وعن الحسن ، عن عبد الله بن عمر رضي الله عنه ، قال : (من كان مستنسا فليستن بمن قد مات ، أولئك أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم كانوا خير هذه الأمة ، أبرها قلوبا ، وأعمقها علما ، وأقلها تكلفا ، قوم اختارهم الله لصحبة نبيه صلى الله عليه وسلم ، ونقل دينه ، فتشبهوا بأخلاقهم وطرائقهم فهم أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم ، كانوا على الهدى المستقيم " والله رب الكعبة . يا ابن آدم ، صاحب الدنيا ببذالك ، وفارقها بقلبك وهمك ، فإنك موقوف على عملك ، فخذ مما في يديك لما بين يديك

(١) صحيح البخاري، كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، باب الاقتداء بسنن رسول الله صلى الله عليه وسلم حديث رقم: ٦٨٧٨ .

(٢) صحيح البخاري - كتاب الأدب، باب رحمة الناس والبهاء - حديث: ٥٦٦٨

(٣) صحيح مسلم - كتاب الحج، باب استحباب رمي جمرة العقبة يوم النحر راكبا - حديث: ٢٣٦١

(٤) سنن الدارمي - باب من هاب الفتيا وكره التنطع والتبدع، حديث: ١٤٤

عند الموت يأتيك الخير " (١).

ويقول الفضيل بن عياض في قوله تعالى: ﴿الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْعَفُورُ﴾ (٢) أحسن العمل أخلصه، وأصوبه ألزمه بما جاء به رسول الله ﷺ .

ويقول أيضا: لا يقبل الله تعالى العمل حتى يكون خالصا صوابا، فالخالص إذا كان لله تعالى، والصواب إذا كان على السنة (٣) .

وإذا كانت هذه النصوص دالة على الالتزام والطاعة لرسول الله ﷺ لعموم المسلمين، فإنها أكد في الالتزام للدعاة ، لأنها تساعد على توصيل مرادهم إلى الناس نظريا ، وعمليا، وتجعل المدعوين أكثر تصديقا لهم .
إن الداعية بقناعته الإيمانية يجد نفسه موقنا بكل أركان العقيدة.

فالله تعالى هو خالقه ، ورازقه، وصاحب الفضل كله، وهو سبحانه وتعالى المستحق للعبادة وحده.

وتبعا للعقيدة المخلصة يجد الداعية نفسه مستسلما لحكم الله تعالى في كل شئونه، راضيا بقضائه وقدره ، ملتزما بأداء أمانة الدعوة التي التزم بها ، ... وبذلك يتحول تدينه إلى حركة بين الناس، وتوجيه قولي وعلمي إلى الدين باللين والحسنى .

(١) حلية الأولياء - عبد الله بن عمرو بن العاص، حديث : ١٠٦٤

(٢) سورة الملك الآية : ٢ .

(٣) تفسير البغوي المسمى معالم التنزيل ج ٤ ص ٣٦٩ .

الاتصال الوجداني بالناس

الناس جميعا هم أمة الدعوة، والدعاة يتجهون إليهم جميعا لتبليغهم الرسالة التي حملوها لهم ، والواجب العمل لخدمة الناس ، واكتساب ودهم وحبهم، ومشاركتهم في آمالهم، وأمانيتهم، وهذا ما يعرف بالمشاركة الوجدانية. والمشاركة الوجدانية صفة هامة للداعية، تجعله يعيش حياة الناس، ويشعر بشعورهم، وينفعل مع آرائهم وحياتهم، ويتداخل في تقاليدهم، وكافة شئونهم بصدق، وفهم، وتحليل، ويجب أن تأخذ هذه الصفة عنده شكلا عاما بمعنى تواجدها تلقائيا مع الجميع، لا فرق بين غني وفقير، أو رئيس ومرعوس، أو وضيع ورفيع .

إن المشاركة تضيء إحساسا عمليا له قوته في الوصول والتأثير ، ومن المعروف أن المشاركة الوجدانية هي الرباط الحريري الذي يصل القلب بالقلب، ويربط العقل بالعقل، ويحقق التآلف، والحب، والمودة .

وهي التي تنشئ كل التصرفات الإنسانية الحسنة، وتأثيرها في الحياة الاجتماعية مؤكد، بسبب خلوها من الزيف والتصنع، إنها تظهر عند أول مقتض، ولكل أمر، ولا تحتاج إلى عناء كبير لكي تعرف وتذكر لملازمتها القول والسلوك، والعلم، والداعية بها ينتظره الناس، ويقدمونه عليهم، فيأخذون رأيه ، وينهجون نهجه، ويجعلونه رائدهم، ولا يكونون كذلك إلا إذا تأكدوا من الصور العملية لهذه الصفة ، فهو حبيب يتمنى الخير للجميع كما يتمناه لنفسه ، فيصل الرحم، ويكرم الجار، ويقرى الضيف، ويخلص للجميع، ولا يترك أمرا فيه مصلحتهم إلا ويحث عليه ، ودائما تلقاه مهتما بالخير فيهم ، فيكرر النصيحة، ويأمر بالمعروف، وينهى عن المنكر.

والداعية في عمله لا ينتظر من الناس جزاء ولا شكورا، وكل ما يتمناه أن يجعل الأفهام متفتحة لدعوته، مقبلة على تدبرها، واليقين بها، والعمل بمقتضاها .

إن الدروس المستفادة من فهمه لحقيقة الإنسانية، ودعوة الإسلام للتعارف تحتم هذه المشاركة الصادقة وجدانيا، وعقليا، وحسيا .

آيات القرآن الكريم تؤكد على هذه الصفة، وتحت عليها، أنظر قوله تعالى حينما يخاطب القوم بصيغة الجماعة فإنه لا يفرق بين إنسان وإنسان، ولا بين مؤمن ومؤمن، فالخطاب واحد للجميع، إذ ينادي الله تعالى الناس جميعا ويقول : ﴿ يَأَيُّهَا النَّاسُ ﴾ (١)، ﴿ يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا ﴾ (٢)، ﴿ يَكَيْفَ ءَادَمَ ﴾ (٣) ، وبذلك يشترك الجميع في موضوع النداء، لأن النداء يعمهم جميعا.

إن القرآن الكريم يعلم الناس في كل صلاة أن يكون دعاؤهم لغيرهم مع أنفسهم ، فيقول تعالى : ﴿ أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ۝ ﴾ (٤)، وهو دعاء في سورة الفاتحة يقرأه المسلم كل يوم عشرات المرات داعيا بصيغة الجماعة، وفيه يهتم بغيره ، ويبرئ نفسه من الأنانية وحب الذات.

إن هذا الإيثار شيء يحبه الله ﷻ ورسوله ﷺ ، حيث يقول الله تعالى : ﴿ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ﴾ (٥) .

ويقول النبي ﷺ : (إن أحبكم إلي وأقربكم مني في الآخرة أحاسنكم أخلاقا،

(١) سورة النساء الآية : ١ .

(٢) سورة البقرة الآية : ١٠٢ .

(٣) سورة الأعراف الآية : ٢٦ .

(٤) سورة الفاتحة الآية : ٦ .

(٥) سورة محمد الآية : ١٩ .

وإن أبغضكم إلي وأبعدكم مني في الآخرة أسوأكم أخلاقاً ، المتشدقون المتفيهقون الثرثارون (١) .

وذلك ليس بدعا في الدين ، لأن القرآن الكريم يمتدح المؤمنين الأول، لأنهم يقولون ما حكاه الله تعالى عنهم : ﴿ وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ ٥٥ ﴾ (٢) .

ولم يكن هذا الشعور بالقول فقط، وإنما بالعمل كان إثبارهم كما يفيد قوله تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ٥١ ﴾ (٣) .

فترى الأنصاري ساكن المدينة يحب المهاجر من مكة بكل صفاء، ويؤثره على نفسه خاصة، وسبب ذلك أن وجداناتهم قد امتلأت بالحب، والخير، والمشاركة، وكل ما حرصوا عليه هو أن ينمحي الغل من قلوبهم وأن يوقوا شح النفس ليصلوا إلى الفلاح .

إن الداعية ملتزم بأن يحسن صلته مع الجميع تنفيذا لأمر الله تعالى القائل : ﴿ * وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَالْأُولَٰئِكَ أَحْسَنًا وَيَذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنبِ وَالنَّسِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ٤ ﴾ (٤) .

(١) صحيح ابن حبان، كتاب الحظر والإباحة، ذكر خصال من كن فيه استحق بغض النبي ﷺ حديث : ٥٦٣٤ .

(٢) سورة الحشر الآية : ١٠ .

(٣) سورة الحشر الآية : ٩ .

(٤) سورة النساء الآية : ٣٦ .

ويجب أن تأخذ هذه الصفة الحسنة أشكالها المتعددة فهي تعاون على الخير والبر المأمور بهما في قوله تعالى : ﴿ وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى ﴾ (١) ، وهي نصيحة خيرة، وتوصية بالحق، والصبر ، لأنها من الصفات التي أمر الله بها ، يقول الله تعالى : ﴿ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ ﴾ (٢) ، وهي أمر بالمعروف، ونهي عن المنكر اللذين هما أساس خيريتهم كما أخبر الله تعالى في قوله : ﴿ كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ﴾ (٣) ، وهي سبب فلاحهم الذي أمروا به في قوله تعالى : ﴿ وَلَتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ (٤) .

ويجد الداعية أمامه كذلك صورة النبي ﷺ، وتطبيقاته لهذه الصفة، فلقد كان ﷺ قبل البعثة كما وصفته زوجته خديجة رضي الله عنها : (إنك لتصل الرحم، وتحمل الكل، وتكسب المعدوم، وتقري الضيف، وتعين على نوائب الحق) (٥) وكان ﷺ يشارك قومه أحداثهم الكبرى، فشهد معهم حرب الفجار، وحلف الفضول، وبناء الكعبة ، وعاشر الرعاة، والتجار، والأثرياء، والكبار، والصغار، وكان الجميع يذكرونه ويتقربون إليه فلما بعث ﷺ تضاعفت اهتماماته بالناس كما وصفه الله ﷻ في قوله : ﴿ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ ﴾ (٦) .

(١) سورة المائدة الآية : ٢ .

(٢) سورة العصر الآية : ٣ .

(٣) سورة آل عمران الآية : ١١٠ .

(٤) سورة آل عمران الآية : ١٠٤ .

(٥) صحيح البخاري - باب بدء الوحي / ٠ بسم الله الرحمن الرحيم قال الشيخ، حديث : ٣

(٦) سورة التوبة الآية : ١٢٨ .

وكان ﷺ يسبقهم في كل أعمال الخير، ألا تراه ﷺ يوم بدر يترك ابنته رقية رضي الله عنها مريضة في المدينة، ويذهب إلى الحرب لا ليجلس في العريش الذي بناه له أصحابه خلف الصفوف، بل ليكون في أول الصفوف يرمي بالحصا، ويناشد الله تعالى، وينظم الجنود حتى أشفق عليه الصديق أبو بكر رضي الله عنه فقال له : (بعض مناشدتك لربك يا رسول الله ، فإن الله موفيك ما وعدك من نصره) (١) ، وتنتهي المعركة، ويأتيه خبر وفاة ابنته رقية رضي الله عنها وهو عائد إلى المدينة (٢) .

وكان النبي ﷺ يعمل لمصلحة الناس، ويتصرف وفق ما يناسبهم كما يأمره الله تعالى، من ذلك ما قاله ﷺ : (يا سعد إني لأعطي الرجل وغيره أحب إلي منه ، خشية أن يكبه الله في النار) (٣)، فهو يعطي هذا إنقاذا له من النار، ويترك غيره الأحب إليه ثقة في إيمانه، واتكالا على رضاه بحب الله تعالى ورسوله ﷺ .

إنه ﷺ في موالاته النصيحة، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر ترك للمسلمين عموما وللدعاة على الخصوص ثروة طائلة تمدهم بالدين كله. وعلى الجملة فإن هذه المشاركة بكل جوانبها ضرورية للدعاة حتى يأخذوا الصدارة ، ويتقدموا الصفوف، ويكونوا محل ثقة القوم وأملهم .

- ٣ -

السمو الأخلاقي

الخلق الكريم هو السبيل الذي يظهر جمال الإسلام، ويجمع الناس على الحب، والرحمة، ويحقق التواصل الجيد بين الأفراد، ويساعد على

(١) دلائل النبوة للبيهقي - باب التقاء الجمع ونزول الملائكة، حديث : ٩٣٧ .

(٢) السيرة النبوية لابن هشام - غزوة بدر .

(٣) صحيح البخاري - كتاب الإيمان، باب إذا لم يكن الإسلام على الحقيقة - حديث : ٢٧

انتشار القيم النبيلة بين الناس، ولذلك يقول النبي ﷺ في الحديث الذي رواه أبو هريرة رضي الله عنه: (إنكم لن تسعوا الناس بأموالكم، فليسعهم منكم بسط الوجه، وحسن الخلق) (١) .

وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : (المؤمن يألف ويؤلف ، ولا خير فيمن لا يألف ولا يؤلف ، وخير الناس أنفعهم للناس) (٢) .

وأهمّات الأخلاق هي الصدق، والأمانة ، واليسر، والحلم، والعزة، والشجاعة، والكرم، والسخاء، وتلك هي الصفات الأساسية لكل من يحمل الإسلام للناس، ليكون صورة تطبيقية للدين الذي يدعو إليه .
إن الإنسان المدعو ينظر إلى أقوال الدعاة، وأعمالهم، ويستفيد بتوافق الاعتقاد والسلوك، ويرى في التطبيق دعوة عملية أقوى تأثيراً من الدعوة النظرية .

فالصدق فوق أنه في حد ذاته سلوك سام، وصفة راقية، فهو منبع الثقة، وأساس التسليم، لأن الصادق لا يخالف الواقع .
والصدق في عمل الداعية وقوله ضرورة لازمة، لأن ما يذكره للمدعويين ليس رأياً شخصياً، ولا اجتهداً ذاتياً، وإنما هو بلاغ لدين الله ﷻ كما هو ثابت في وحي الله تعالى، وكل هذا يحتاج إلى صدق في التبليغ، ودقة في النقل والبيان، حتى يتأكد المدعو من أول لحظة أن كل ما يسمع من الداعية هو رسالة الله تعالى ، وأن الدعوة كما بدت من قوله هي كما تركها رسول الله ﷺ بلا زيادة أو نقص ، ولذلك كان من الحكم الخالدة في رسالة الإسلام

(١) المطالب العالية للحافظ ابن حجر العسقلاني - كتاب الطب، باب حسن الخلق - حديث : ٢٦٢٢ .

(٢) المعجم الأوسط للطبراني - باب العين - حديث : ٥٨٩٣ .

أن أهم صفة اشتهر بها رسول الله ﷺ هي صفة "الصادق الأمين".
وقد أجمع علماء العقيدة على ضرورة تمييز كل رسول من رسل الله تعالى بالصدق، والأمانة، والتبليغ، والفظانة، لما لهذه الصفات من أثر في نشر دين الله تعالى على الوجه الصحيح.
وقد سئل النضر بن الحارث عن رسول الله ﷺ بين قومه، فقال لقومه:
" هو أصدقكم حديثاً " (١).

ولما سأل هرقل أبا سفيان (ولم يكن قد أسلم بعد) عن محمد ﷺ قائلاً: وهل كنتم تتهمونه بالكذب قبل أن يقول ما قال ؟ ...
أجابه أبو سفيان : لا .
(فقال هرقل : وسألتك ، هل كنتم تتهمونه بالكذب قبل أن يقول ما قال ، فذكرت أن لا ، فعرفت أنه لم يكن ليذر الكذب على الناس ويكذب على الله) (٢).

وهذا القول من هرقل يبين أهمية الصدق، ويشير إلى قضية واقعية اجتماعية، لأن دعوة الله تعالى لا نعلمها إلا من مبلغها، ومن كذب على الناس جاز أن يكذب على الله ﷻ ، أما من التزم الصدق مع البشر فهو صادق حتماً مع الله ﷻ .
ولما بدأ النبي ﷺ يجهر بالدعوة سأل الناس ليثبت لهم صدقه وأمانته، فقال لهم: (رأيتم إن أخبرتكم أن خيلاً تخرج من سفح هذا الجبل، أكنتم مصدقي؟ قالوا : نعم، ما جربنا عليك كذباً) (٣).

(١) سيرة النبي ﷺ ج ١ ص ٣١٩ .

(٢) صحيح البخاري - باب بدء الوحي / بسم الله الرحمن الرحيم قال الشيخ، حديث : ٧

(٣) صحيح البخاري - كتاب تفسير القرآن، سورة تبت يدا أبي لهب وتب، حديث : ٤٦٩١

ولذلك كثرت التنبهات والتوجيهات في القرآن الكريم والحديث لالتزام الصدق في كل شيء ، فقال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّٰدِقِينَ ﴾ (١)

وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، قال : قال رسول الله ﷺ : (عليكم بالصدق ، فإن الصدق يهدي إلى البر ، وإن البر يهدي إلى الجنة ، وما يزال الرجل يصدق ويتحرى الصدق حتى يكتب عند الله صديقا ، وإياكم والكذب ، فإن الكذب يهدي إلى الفجور ، وإن الفجور يهدي إلى النار ، وما يزال الرجل يكذب ويتحرى الكذب حتى يكتب عند الله كذابا) (٢) .

ويصل الأمر في أهمية الصدق إلى أن صار الصدق أحد الصفات الأساسية للمسلم ، لأن الإسلام في حقيقته نبذ للأوهام ، وبعد عن الباطل ، وتمسك بالحق ، وهو بذلك يتنافى مع الكذب والكذابين .

فعن صفوان بن سليم رضي الله عنه أنه قال : (قيل لرسول الله ﷺ : أيكون المؤمن جباناً ؟

فقال ﷺ : " نعم " .

ف قيل له : أيكون المؤمن بخيلاً ؟

فقال ﷺ : " نعم " .

ف قيل له : " أيكون المؤمن كذاباً " ؟

فقال ﷺ : " لا " (٣) .

وإن كان هذا شأن المسلم على إطلاقه ، فما بالك بالداعية الذي هو في

(١) سورة التوبة الآية : ١١٩ .

(٢) صحيح مسلم ، كتاب البر والصلة والآداب ، باب قبح الكذب وحسن الصدق ، حديث : ٤٨٢٧ .

(٣) موطأ مالك - كتاب الكلام ، باب ما جاء في الصدق والكذب - حديث : ١٨٠٠

أشد الحاجة إلى أن يُتبع، وبغير الثقة في صدقه لا يكون هناك اتباع. لقد كان الصدق دعامة إخوة يوسف إلى أبيهم حين أتوه من عند يوسف عليه السلام قائلين له ما حكاة القرآن الكريم عنهم: ﴿ وَسَلِّ الْقَرْيَةَ الَّتِي كُنَّا فِيهَا وَالْعِيرَ الَّتِي أَقْبَلْنَا فِيهَا وَإِنَّا لَصَادِقُونَ ﴾ (١)

ورسل الله تعالى إلى لوط عليه السلام قالوا له حين أتوا إليه من عند إبراهيم عليه السلام: ﴿ وَأَتَيْنَاكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ ﴾ (٢)، فنجدهم يظهرهم صفة الصدق لمحدثهم على وجه التأكيد فيها ليكون ذلك أدعى إلى السماع، وأسرع في الموافقة لا فرق كما هو مذكور بين الملائكة والبشر، لأن الإقناع لا يتم إلا بالأمر الواقع، ويعيش دائما مع الحق والثبات، ...

وعلى الدعاة أن يهتموا مع الصدق بالحلم والعفو ليصلوا إلى غرضهم، لأن الغضب والانتقام ينفر المدعويين منهم، ويصرف الناس عن الاستماع للدعوة وتفهمها.

يقول الإمام الغزالي: "ما أحسن الخلق بعد العلم والورع إلا العفو والحلم، ليتمكن صاحبه من اللطف والرفق، وهو أصل الباب وأسلمه، والعلم والورع لا يكفيان فيه، فإن الغضب إذا هاج لم يكف مجرد العلم والورع في قمعه ما لم يكن في الطبع قبوله، وعلى التحقيق فلا يتم الورع إلا مع حسن الخلق، والمقدرة على ضبط الشدة والغضب، وبه يصبر الداعية على ما أصابه من دين الله، وإلا فإذا أصيب عرضه أو ماله أو نفسه نسي الدعوة، وغفل عن دين الله عز وجل واشتغل بنفسه، بل ربما يقدم عليه ابتداء لطلب الجاه والاسم (٣)

(١) سورة يوسف الآية : ٨٢ .

(٢) سورة الحجر الآية : ٦٤ .

(٣) فيصل التفرقة ص ٧٦ .

ويقول الشيخ ابن علوي الحداد: " على الدعاة أن يكونوا على نهاية من الصبر والاحتمال، وسعة الصدر، ولين الجانب، وخفض الجناح، وحسن التأليف، وإن دخل عليهم شيء من أذى الجائرين عليهم أن يصبروا، ويعرضوا، ويقولوا خيرا ، لأنهم من عباد الرحمن الذين إذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما (١)

ويقول ابن تيمية: لابد في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من الرفق، ولابد أن يكون الداعي إلى الله تعالى حليما، صبوراً على الأذى، فإنه لابد أن يحل به أذى ، فإن لم يصبر ويحلم كان ما يفسد أكثر مما يصلح، وينقل ابن تيمية ما قاله القاضي أبو ليلى: لا يأمر ولا ينهى من الناس إلا من كان رفيقا فيما يأمر به، رفيقا فيما ينهى عنه، حليما فيما يأمر به، حليما فيما ينهى عنه (٢)

ويكفي الدعاة أن يتعلموا من توجيهات القرآن الكريم الحلم والعفو، في قول الله تعالى: ﴿وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ٢٢٠﴾ (٣) ، ويتأسوا بصنيع رسول الله ﷺ يوم الفتح مع أبي سفيان ألد أعدائه ، وجامع الأحزاب عليه، فقد عفا ﷺ عن كل جنائياته، وحلم عليه ، ووضعه في موقف كريم ، حيث جعل داره مكانا آمنا لكل من يدخله كالكعبة تماما، وكان في مكنته ﷺ أن يسفك دمه، ولكنه ﷺ فعل ذلك ليصنع بالحلم قوة للإسلام ونصرا، وليبقى درسا لتأليف القلوب، ونشر المحبة .

ومن الصفات التي يحتاجها الداعية الشجاعة الأدبية التي تمكنه من

(١) الدعوة التامة ص ٩ .

(٢) الحسبة في الإسلام ص ٢٨١، ٢٨٢ .

(٣) سورة النور الآية : ٢٢ .

مواجهة الناس في ثقة بنفسه، وإحاطة بعلمه، ورضى بما يصنع .
وتعتمد هذه الصفة على تقدير الشخص لنفسه، وقوة إيمانه بربه، وثقته في الحق الذي يدعو إليه، وفهمه لواقع حياته، واتباعه لتعاليم دينه المؤكدة التي تعلمه البعد تلقائيا عن الذل والضعف، والخوف والاضطراب لأن إيمانه بالله ﷻ يؤكد أمامه الثقة في المفاهيم التي تحقق له العزة، وترزقه الشجاعة
إن عزة المسلم ناشئة عن الإحساس بالكرامة التي أولاها الله تعالى للإنسان على العموم، وناشئة من لذة الإيمان وحلاوته عند المؤمن على الخصوص، فإذا بعد الإنسان عن عزة الله فقد بعد عن الإيمان، ولا يقبل الله تعالى من المؤمن قط عذرا إذا سار في مسلك ذليل، لأنه بذلك يظلم نفسه، وسوف يسأل الله تعالى هؤلاء الأذلاء المستضعفين يوم القيامة ويقول لهم : ﴿ فِيمَ كُنْتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا فَأُولَٰئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيرًا ۝ (١) .

وفي الآية إخبار بأن الله تعالى لن يقبل من مؤمن هوانا في بلده ، أو انكسارا في دينه، أو خضوعا لظلم وطغيان، لأن الأرض كلها لله ﷻ ، وهي واسعة، وكان على المؤمن أن يهاجر إلى مكان آمن صيانة لكرامته، وحماية لعزته التي يجب أن يتمسك بها، ولن ينقص من قدره شيء، لأن الحقيقة في قوله تعالى : ﴿ مَا يَفْتَحُ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا وَمَا يُمْسِكُ فَلَا مُرْسِلَ لَهُ مِنْ بَعْدِهِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ۝ (٢) .

وليس من العزة أن يظلم الإنسان غيره أو يطغى عليه، لأن العزة خلق ممتاز يتمتع بها من يحافظ عليها لنفسه ولغيره انطلاقا من فهمه لذاته ولدينه

(١) سورة النساء الآية : ٩٧ .

(٢) سورة فاطر الآية : ٢ .

ومن مستلزمات هذه العزة أن يكون صاحبها شجاعا في شخصه، صادقا في رأيه ، أمينا في معاملاته ، وبذلك تكون العزة خيرا في ذاتها، ومقبولة من كافة العقول .

وقد بسط القرآن الكريم هذا المعنى أمام الأسماع والعقول فوصف الله تعالى نفسه بالقوة إيماء للمؤمنين ليكونوا أقوياء ، وكذلك وصف جبريل عليه السلام، ورسله، والمؤمنين حتى يتضح شرف القوة ورفعته.

ومن القوة المطلوبة أن يملك الداعية القدرة على ضبط النفس، والسيطرة عليها، بل إن ذلك هو كل القوة في الواقع ، لأن النفس خيرا أو شرا تتنوع بحسب قواها، وأحسن الناس من يحكم شهوته وغضبه، فيعطي لنفسه العاقلة زمام أمره ، ويتصرف بعيدا عن أي انفعال يفسد عليه وجهته .

يقول ابن مسكوية : شبه القدماء الإنسان وحاله مع الأنفس الشهوية، والغضبية، والعقلية، بإنسان يركب دابة قوية ، ويقود كلبا .

فإن كان الإنسان من بينهم هو الذي يركب دابته، ويقود كلبه، ويوجه القافلة لغاية مقصودة، فلا شك في رغد عيشه، وحسن أحواله، لأنه سيسوق القافلة إلى هدف واضح .

وإن كانت الدابة أو الكلب هي التي تقود ضاع الهدف والأمل، لأن الدابة ستقوده إلى المزابل والأوساخ، والكلب سيقوده إلى البحث عن الفئران، ويجري وراء القطط (١) .

ومن الأخلاق المطلوبة للداعية السماحة، والهدوء، وعدم الغضب ليبقى محافظا على حسن منطقه، وتسلسل أفكاره، وجمع الناس حوله.

وكانت وصية رسول الله صلى الله عليه وسلم للصحابي الذي سأله النصيحة أن لا يغضب،

(١) تهذيب الأخلاق لابن مسكوية ص ٥٥ .

فعن أبي هريرة رضي الله عنه ، (أن رجلا قال للنبي ﷺ : أوصني .
قال ﷺ : " لا تغضب " .

فردد سؤاله مرارا .

فقال له النبي ﷺ في كل مرة : لا تغضب (١) .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه ، أن رسول الله ﷺ قال : (ليس الشديد بالصرعة ،
إنما الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب) (٢)

ومن هنا يقول ابن المبارك: أن المقصود من قوله تعالى : ﴿ وَجَاهِدُوا فِي
أَلَلِّهِ حَقَّ جِهَادِهِ ﴾ (٣) هو جهاد النفس، لأن العزيز هو الذي يجاهد ذاته،
ويحكم نفسه ، ولا يجعلها تميل بالغضب الذي يفسد على الإنسان وجهته،
ويحول بينه وبين الرشاد، ولذا كان من أهم صفات عباد الرحمن أنهم
هادئون، ﴿ وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا ﴾ (٤) ، .

إن سيطرة العقل المفكر على الأقوال والأفعال يجعل الإنسان واقعا في
الموقف الحرج فييدي الحجة بهدوء، ويظهر الرأي بدقة، ويجادل محدثه
بالبرهان المرتب، والدليل السليم، ويصل بالإقناع إلى ما يريد .

ومن هذه القوة المطلوبة إعلان الرأي في ثبات لا يعرف التغير أو التلون
بسبب محاباة أو تحامل، لأن هدف الداعية نشر دعوته الحققة المؤيدة
بالدليل، فإظهارها على وجهها، وبشكل مرن هو المطلوب مهما كان الحال،
أو الموقف، أو القوم .

(١) صحيح البخاري - كتاب الأدب، باب الحذر من الغضب - حديث : ٥٧٧٠

(٢) صحيح البخاري - كتاب الأدب، باب الحذر من الغضب - حديث : ٥٧٦٨

(٣) سورة الحج الآية : ٧٨ .

(٤) سورة الفرقان الآية : ٦٣ .

والداعية في ذلك أسوة في رسول الله ﷺ ، فلقد أعلن كلمة الله تعالى وهو وحده وسط قوم كافرين بها، ومعارضين، ومع ذلك لم يبال بأعمالهم، ...
لجأوا للتهديد والوعيد فرد عليهم قائلاً لعمه: (يا عم لو وضعت الشمس في يميني ، والقمر في يساري ما تركت هذا الأمر حتى يظهره الله تعالى أو أهلك في طلبه) (١) .

ولجأوا إلى محاولة إغرائه فكان ﷺ ينتهز فرصة قريبهم منه ويدعوهم إلى الله تعالى ، وقاطعوه وقومه فذهب إلى غيرهم من القبائل يدعوهم، ولم يحدث أن غير ﷺ الدعوة مع تغير الظروف، بل كان العذاب الشديد يلحق به ، وببعض المسلمين ومع ذلك كان يحث على الصبر ، وينتظر الأمل، ويواصل الدعوة لأنها الحق، ولا بد أن تعلن ، ومنها نجد القرآن الكريم يعلم المؤمنين قول الحق مهما كانت نتائجه ، ومهما كانت شخصية من يقف في طريقه ، فقال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰ أَنفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدِينَ وَالْأَقْرَبِينَ إِن يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَاللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا فَلَا تَتَّبِعُوا الْهَوَىٰ أَن تَعْدِلُوا ﴾ (٢) .

يقول الزمخشري في تفسير هذه الآية : اجتهدوا أيها المؤمنون في إقامة العدل حتى لا تجوروا، و حتى تقولوا شهادتكم لوجه الله تعالى كما أمرتم بإقامتها ولو كانت الشهادة على أنفسكم، أو آبائكم، أو أقاربكم، ولا تمنع الشهادة بسبب فقر أو غنى (٣) .

إن عزة وشجاعة الداعية تأخذ شكلاً إيجابياً إنسانياً ، لأنها تنقذ صاحبها من الهوان والضعفة ، وتدفعه إلى مساعدة الضعفاء ومعاونتهم ، وتحتم عليه

(١) دلائل النبوة للبيهقي ، باب قول الله عز وجل : ﴿ يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ بَلِّغْ مَا كُم ، حديث : ٤٩١

(٢) سورة النساء الآية : ١٣٥ .

(٣) تفسير الكشاف ج ١ ص ٥٧٠ .

العمل الجاد للدعوة ، لأنه بذلك يخدم نفسه ومجتمعه، ويعمل لدنياه وآخرته .
والأمة المسلمة الصادقة خير عون لدعاتها من خلال الهيئة التي تعينها
لتوجيه الدعوة، وإمدادهم بالمال، والاشراف على نشاطهم، وتمكينهم من
المعارف الإسلامية من خلال المؤلفات التي تضعها تحت أيديهم، وتوضيح
حاجات البيئة التي يدعون فيها، وحل المشكلات التي يتعرضون لها، وبهذا
يرى الناس من الدعوة الكرم المادي، والمشاركة في المشروعات الحيوية
كتأسيس المساجد، والمدارس، والمشافي ... وغير ذلك مما يحتاجه الناس .
ومن الصفات التي يجب تميز الدعوة بها صفة الكرم، ليقصد المحتاجون
الداعية رجاء عطائه وكرمه، في صور مادية، أو منفعة عامة، أو خدمات
تعليمية أو تجارية، أو غير ذلك .

إن كرم الداعية عامل حيوي في نجاح الدعوة، لأنه يدفع الدعوة إلى إعطاء
الناس ما يحتاجون إليه لوجه الله ﷻ ، ومن مصارف الزكاة مصارف
المؤلفة قلوبهم حتى يأخذ ضعاف الإيمان بعض المال ليقوى إيمانهم،
ويتمسكوا بالإسلام ، ويسعى إليهم من يحتاج للمال، يقول الله تعالى: ﴿لَيْسَ
عَلَيْكَ هُدُودُهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَلَأَنْفُسِكُمْ
وَمَا تُنْفِقُوا إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللَّهِ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ يُؤَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا
تُظْلَمُونَ ﴿٢٧٢﴾﴾ (١) .

ويعد الكرم أحد الأسباب التي حبيب الناس في رسول الله ﷺ ، فعن
ابن عباس رضي الله عنهما ، قال : (كان رسول الله ﷺ أجود الناس ، وكان أجود
ما يكون في رمضان حين يلقاه جبريل) (٢) .

(١) سورة البقرة الآية : ٢٧٢ .

(٢) صحيح البخاري - باب بدء الوحي / بسم الله الرحمن الرحيم قال الشيخ، حديث : ٦

ومن المعروف أن الإنسان عبد الإحسان، فعن موسى بن أنس ، عن أبيه عليه السلام ، قال : (ما سئل رسول الله ﷺ على الإسلام شيئا إلا أعطاه ، قال : فجاءه رجل فأعطاه غنما بين جبلين . فرجع الرجل إلى قومه ، فقال : يا قوم أسلموا ، فإن محمدا يعطي عطاء من لا يخشى الفاقة) (١) .

وقد أدرك المبشرون تأثير العطاء فأخذوا في العمل به إذ نراهم يمدون المحتاجين بمختلف المعونات المادية، ويعملون على مشاركتهم في حياتهم العملية، في الزراعة، والتجارة، والصحة، ومن خلال عطاياهم يقولون للناس: إن هذا من بركات السيد المسيح ليؤمن الناس بصاحب هذا الكرم . وتلك ملحوظة من الواقع يجب أن ينتبه إليها الدعاة، ومن وراءهم ليتصفوا بهذه الصفة لما لها من تأثير كبير .

(١) صحيح مسلم - كتاب الفضائل، باب ما سئل رسول الله ﷺ شيئا قط - حديث : ٤٣٧٥

المبحث الثالث

علوم الدعاة

عمل الدعاة في جملته حمل الإسلام بواسطة عقل يعلمه، ويؤمن به،
ويبلغه للناس بواسطة الوسائل الممكنة، والأساليب المتاحة على وجه يؤدي
إلى الاقتناع والطاعة .

وهذا الإجمال يحتاج إلى العديد من العلوم التي لا بد منها للدعاة ،
فالإسلام يحتاج إلى معارف عديدة ألف لها العلماء الكثير من علوم العقيدة،
والشريعة، والأخلاق، وهي باب واسع لا بد للداعية من الإحاطة به، ولذلك
قال حكيم صادق : إن علم الدعاة يشمل الإحاطة بسائر العلوم .

ولم تعد العلوم المطلوبة قاصرة على العلوم الدينية ، لأن الداعية
يحتاج إلى العلوم الإنسانية، والبيئية، والسكانية، والاجتماعية، وغيرها من
العلوم التي تساعد صاحبها على إتقان فهم قضيته، وإيصالها للآخرين،
وأهمها ما يلي : -

١- المعرفة التامة بالدعوة :

معرفة حقيقة الدعوة ضرورة للداعية ، لأنها المنطلق الذي منه يتحرك،
وبه يدعو .

ولا بد أن تكون الإحاطة شاملة لعلوم الإسلام جميعا لكي يكون الداعية
عالما بما يُعلمه، لأن فاقده الشيء لا يعطيه .

إن علم الداعية بالإسلام يرفع شأنه، ويرسخ قدمه، ويدفع المستمع إلى
الثقة في قوله ، وسرعة تصديقه، وهذه المعرفة ليست شاقة الطريق، فإنها
مبثوثة في القرآن الكريم الذي ضمن الله حفظه، وتركه في الناس مع السنة
النبوية التي تبينه وتوضحه .

إن علوم الدعوة تضم كل أركان الإسلام، وعلى رأسها معرفة أركان الإيمان، وما يتبعها من تعاليم الشريعة، والأخلاق .

وتشمل كذلك معرفة الوسائل التي يستخدمها الدعاة في دعوتهم الناس على اختلافهم وتنوعهم .

ولا بد للدعاة من معرفة دعوات الأنبياء جميعا، وكل من ذكرهم القرآن الكريم للوقوف على حواراتهم، وإجابات معارضيههم ، لأن ذلك يفيد الدعوة في كل وقت.

وعلى الداعية أن يحفظ آيات القرآن الكريم التي يدعو بها، ويفهم معناها من القرآن، والسنة، وأقوال الصحابة، واجتهاد العلماء .

وتعتبر المعرفة التامة بالقرآن الكريم هي الدعامة الأساسية في المعرفة الدعوية، لأنها تورد كثيرا مما يحتاج إليه الداعية، وفيها دعوته بعقيدتها، وشريعتها، وأخلاقها، وفيها الوسائل التي يخاطب بها الناس ، وفيها سيعرف دوره ومصيره، وبدراسة القصة، والقسم وغيرها من أساليب القرآن الكريم يعلم كيفية مخاطبة الناس، وطرق تذكيرهم بحقوق الله تعالى والعباد .

وخلال الآيات القرآنية سيعرف كثيرا عن طبائع الناس ، وغرائزهم، وعاداتهم، ويلحظ كيفية تأثيرها في المدعوين، وسيعرف مقاصد الدعوة وأهدافها الرامية إلى إسعاد الناس في الدنيا والآخرة .

يجب أن يكون واضحا أن الداعية يحتاج إلى الوقوف على منهج تحسين الحسن، وتزيينه في القلوب، والترغيب في الإيمان كما كان عليه رسول الله ﷺ، يقول الله تعالى : ﴿ وَأَعْلَمُوا أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ اللَّهِ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِّنَ الْأَمْرِ لَعَنِتُّمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ

وَالْعَصِيَّانَ أَوتَيْنَاكَ هُمُ الرّٰشِدُونَ ﴿٧﴾ ﴿١﴾

ومن أجل حسن عرض الدعوة، وحسن التصرف لابد من اختيار الدعوة قبل تكليفهم بهذا الواجب للتأكد من تمكنهم من كل ما تحتاجه عملية الدعوة. وكان النبي ﷺ يختبر الدعوة عن مدى علمهم، وتفقههم، وإحاطتهم بالدعوة، والقدرة على حسن التصرف .

فعن المغيرة بن شعبة رضي الله عنه ، عن أناس من أهل حمص من أصحاب معاذ بن جبل رضي الله عنه ، (أن رسول الله ﷺ لما أراد أن يبعث معاذًا إلى اليمن قال : " كيف تقضي إذا عرض لك قضاء ؟ " .

قال : أقضي بكتاب الله .

قال ﷺ : " فإن لم تجد في كتاب الله ؟ " .

قال : فبسنة رسول الله ﷺ .

قال ﷺ : " فإن لم تجد في سنة رسول الله ﷺ ، ولا في كتاب الله ؟ " قال : أجتهد رأيي ، ولا آلو .

فضرب رسول الله ﷺ صدره ، وقال : " الحمد لله الذي وفق رسول رسول الله لما يرضي رسول الله) (٢) .

فإجابة معاذ رضي الله عنه لرسول الله ﷺ تشير إلى شمول معرفته بالقرآن الكريم، لأنه سيبحت فيه كله عند القضاء ، فإن لم يجد ينتقل إلى السنة، كما تشير إلى اجتهاد معاذ رضي الله عنه وهو يواجه الناس، وتشير كذلك إلى حرص رسول الله ﷺ على اختيار الداعية قبل تكليفه بالدعوة .

وأیضا فإن المعرفة الشاملة للقرآن الكريم تمكن الداعية من هداية الناس،

(١) سورة الحجرات الآية : ٧ .

(٢) سنن أبي داود - كتاب الأقضية، باب اجتهاد الرأي في القضاء - حديث : ٣١٣٦

والأخذ بيدهم حين الاختلاف، لأن القرآن الكريم نور يضيء السبيل، ويهدي للتي هي أقوم، ويجلي الحق ويوضحه، يقول النبي ﷺ : (إن أعلم الناس أبصرهم بالحق إذا اختلفت الناس) (١) .

وهذه البصيرة في القرآن الكريم تحتاج إلى مجموعة من العلوم توصل إلى فهم المراد، لأن الصحابة رضِيَ عنهم وهم على ما هم عليه من فصاحة كانوا يعلمون ظواهر القرآن ، أما دقائقه الباطنة فكانت تظهر لهم بعد البحث ، والنظر ، كسؤالهم رسول الله ﷺ عن الظلم ، فعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه ، قال : (لما نزلت هذه الآية : ﴿ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا ءِيمَنَهُمْ بِظُلْمٍ ﴾ (٢) شق ذلك على أصحاب النبي ﷺ ، وقالوا: أينما لم يظلم نفسه ؟ فقال رسول الله ﷺ : " ليس كما تظنون ، إنما هو كما قال لقمان لابنه : ﴿ يَبْنَؤُ لَا تَشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴾ (٣) (٤) .

وكسؤال عائشة رضي الله عنها رسول الله ﷺ عن الحساب اليسير فقال لها ﷺ : هو العرض .

فعن عائشة رضي الله عنها ، قالت : (سمعت رسول الله ﷺ يقول في بعض صلاته : " اللهم حاسبني حسابا يسيرا " .

فلما انصرف قلت : يا رسول الله ، ما الحساب اليسير ؟ قال ﷺ : " ينظر في كتابه ويتجاوز له عنه ، إنه من نوقش الحساب

(١) المستدرك على الصحيحين للحاكم - كتاب التفسير، تفسير سورة الحديد - حديث : ٣٧٢٥

(٢) سورة الأنعام الآية : ٨٢ .

(٣) سورة لقمان الآية : ١٣ .

(٤) صحيح البخاري - كتاب استئابة المرتدين والمعاندين وقتالهم، باب ما جاء في التأولين - حديث :

يومئذ يا عائشة هلك ، فكل ما يصيب المؤمن يكفر الله عنه حتى الشوكة تشوكة (١) .

وقد ذكر السيوطي اثني عشر علما من العلوم الضرورية لفهم كتاب الله تعالى، لابد منها للداعية، وهي :-

الأول: علم اللغة : ليعرف به شرح المفردات ، وفهم مدلولاتها بحسب الوضع العربي، وبذلك يرتبط المبنى بالمعنى، ويتحقق التلاؤم الضروري بين اللفظ والمفهوم .

الثاني : علم النحو : لأن المعنى يتغير ويختلف باختلاف الإعراب .
الثالث: علم التصريف: لأن به تعرف الصيغ والأبنية، ومرجع الاشتقاق في الكلمة الواحدة .

الرابع، والخامس، والسادس علوم المعاني، والبيان، والبديع: لأنه بعلم المعاني تعرف خواص التركيب من جهة فصاحته، وخلوه من الغموض، وتنافر الحروف والكلمات .

وبعلم البيان تعرف طرق إيراد المعنى الواحد في صيغ لفظية متعددة .
وبعلم البديع تعرف وجوه تحسين الكلام .

السابع: علم القراءات: لأن به يقرأ القرآن على اللفظ المنقول عن رسول الله ﷺ كما تلقاه ﷺ من حبريل عليه السلام .

الثامن: علم أصول الدين: ليعرف ما يجب لله تعالى من أسماء وصفات، ويتيقن من التوحيد في الذات، والصفات ، والأفعال ، ويعرف بقية أركان العقيدة .

(١) المستدرک علی الصحیحین للحاکم، ومن کتاب الإمامة ، أما حدیث عبد الرحمن بن مهدي، حدیث رقم : ٨٧٨ .

التاسع: علم أصول الفقه: إذ به يعرف الداعية الأدلة الشرعية ، ووجه الاستدلال بها على الأحكام التفصيلية العملية .

العاشر: علم الفقه: الذي يفصل الأحكام الشرعية .

الحادي عشر: الأحاديث المبينة للقرآن الكريم .

الثاني عشر : علم الموهبة: وهو علم يورثه الله تعالى لمن عمل بما علم (١) .

ومن هذه العلوم نلمح أن الدعوة تحتاج إلى فهم تام بالقرآن الكريم، وإحاطة بالسنة النبوية وأحكام الإسلام .

والعلماء المتخصصون يشتركون مع الدعاة في الحاجة إلى هذه العلوم، إلا أن الدعاة يتميزون بتحويل هذه المعارف إلى صيغ وصور فنية لتوصيلها إلى عقول وقلوب المدعويين، فهم كالنحلة يجمعون رحيق الأزهار، ويحولونها إلى شراب مختلف ألوانه فيه شفاء للناس ، ولذا قال بعض الحكماء : إن الدعوة تبدأ بعد انتهاء سائر التخصصات .

٢- المعرفة بالمدعويين :

معرفة المدعويين قضية هامة للداعية، ليتمكن من التأثير والإقناع ، والوصول إلى قلوب الناس ونفوسهم، وهو يحتاج إلى المعرفة التي تجعل الداعي يصنع التناسب بين الدعوة والمدعويين سواء كانوا في القرية ، أو في المدينة أو في أي مكان .

وهذه المعرفة تتضمن جوانب حيوية عديدة،... أهمها : -

(أ) معرفة طبائع الناس الذاتية:

معرفة طبائع الناس تمكن الداعية من الوصول إلى معرفة خصائص

(١) الاتقان جزء ٢ ص ١٨٠ ، ١٨١ .

من سيتحدث معه، وهذا يساعده في اختيار الأسلوب المناسب، والقضية التي سيتحدث فيها، والمنهج الذي سيستعمله في الخطاب .

إن العامي يختلف طبعه عن المثقف، والمدني يختلف عن البدوي، والرجل يختلف عن المرأة ، وهذه المعرفة تقوم على دراسة الظواهر الاجتماعية، والعمليات البشرية، والتنوع الثقافي، ومختلف الأنشطة التي يعيشها الناس .

إن دراسة سير السابقين تعطي فهما لطبائع البشر، ولهذا أكثر القصص القرآني من بيان أحوال السابقين ، بل إن هذا القصص يعتبر أسلوباً مؤثراً في نفوس مستمعيه ، لأنه يؤثر في العاطفة ، ويخاطب العقل والوجدان، ومن هنا كانت دراسة التاريخ، وتاريخ الأديان والنحل هامة للدعاة. والداعية يحتاج إلى الاستفادة بعلم النفس، والتاريخ، والتربية لمعرفة طبائع الناس .

ب) معرفة الأحوال العامة للناس :

أحوال الناس في أي مجتمع تعني الوقوف على العمليات الاجتماعية التي تكون بينهم، لأن هذه العمليات توضح الإيجابيات والسلبيات التي توجد في تواصل الناس بعضهم ببعض، وتشير إلى المستوى المعرفي الذي عليه الناس، وهذا يحدد للدعاة طرق التدخل في نشاط أفراد المجتمع ، وتوجههم إلى حسن التواصل، وضرورة التعاون للوصول للحق .

إن علماء الاجتماع يهتمون بالعمليات الاجتماعية لأنها تساعدهم على تقديم النشاط المفيد للناس، والدعاة إلى الله تعالى محتاجون إلى هذا الاهتمام أكثر منهم .

ت) جغرافية السكان :

يحتاج الداعية إلى معرفة طبيعة البيئة، وأعمال السكان لأهميتها في

التكوين المزاجي والفكري للناس، وبها يعرف الداعية هوى النفس وميولها، واتجاهاتها، ومدى تأثرها، وتأثيرها في المجتمع الذي تعيش فيه ، والمقدار الذي يتغير من السلوك نتيجة هذا التأثير ، وهذا هام لأنه يمكن الداعية من توجيه خطابه إلى النفس بما يثيرها ويناسبها .

ج) معرفة الاتجاهات السائدة بين الناس :

من المعارف الضرورية للدعاة معرفة الاتجاهات السائدة، والعادات المسيطرة على المجتمع الذي يوجد فيه، لأن الإنسان يتأثر بالاتجاهات العامة وهو لا يدري، فإذا ساد في مجتمع ما حب المال خضع له أغلب الناس، وإذا اتجه الناس لحفظ القرآن الكريم انتشر الحفظ فيهم ، ولذلك كان الوقوف على اتجاهات المدعويين عاملاً يساعد الدعاة على إجابة الدعوة ، واستخدام العوامل التي تأخذ الناس إلى الله تعالى .

د) معرفة المذاهب الدينية الموجودة :

الداعية المسلم يعمل على نقل الإنسان من أي مذهب هو فيه إلى الإسلام، وهذا يحتاج إلى أن يعرف الدعاة مذاهب وأديان من سيقومون بدعوتهم حتى لا يحدث صدام، أو نزاع، وذلك يكون بعرض الحق بهدوء، ومناقشة المدعو في مذهبه، ودعوته إلى الصواب والحق بالدليل البين، والإقناع السليم .

وقد يكون المدعوون من المسلمين الذين يتبعون فرقة ضالة، وهذا أمر يستوجب معرفة الداعية بأصول هذه الفرقة، ونشأتها، وأوجه الانحراف فيها ليتمكن بذلك من مناقشة المدعويين، ويبين لهم الحق بالدليل، .. ومن المعلوم أن المقارنة بين أمرين هو قمة العلم ، لأنه يقوم على العلم بالأمرين معا .

ز) معرفة مؤسسات التأثير :

تهتم سائر الأنظمة ببناء المجتمع على النحو الذي تريده، ولذلك اهتم

الجميع برعاية عوامل تكوين الرأي العام، ومؤسسات التوجيه والإرشاد مثل مؤسسات الإعلام، ودور النشر، ومعاهد العلم، وتأسيس الجمعيات، والنقابات، وتشكيل جماعات الشباب، والمرأة، والعمال،... ومن خلال هذه المؤسسات يتكون الرأي العام، وينشط الناس، ويتم توجيههم إلى الهدف المقصود...

والدعاة إلى الله تعالى محتاجون إلى معرفة هذه المؤسسات للتواصل معها، ومشاركتها في عملها، وتوجيه النشاط نحو الإسلام ومناهجه.

ومن المهم بروز دور الدعاة في مؤسسات النوجيه، والاستفادة بدعاة من داخلها، لأنهم محل الثقة والرضى، وهم أعرف الناس بواقع العاملين معهم.

إن إيصال الإسلام للناس برونقه وبهائه مسئولية الأمة، والعلماء، والدعاة، وهي اليوم أول المسئوليات لما يتعرض له الإسلام من هجوم ظالم، وعداوة عنصرية بغیضة .

(و) معرفة لغة المدعين :

من البيان المطلوب للدعوة أن يخاطب الداعية القوم بلغتهم، لأنهم في هذه الحالة يكونون أقدر على السماع، وأقوى على الفهم، وقد بعث الله تعالى كل نبي إلى أمته بلغتها، وقد كان النبي ﷺ يخاطب العرب كل بلهجته .

لقد نزل الوحي بلغة العرب، وأوصله المسلمون إلى العالم بلغته .

فالدعوة الإسلامية عامة ودائمة ، ومحال أن تنزل الدعوة بكل لغات العالم الموجودة، أو التي ستوجد، لأن ذلك يعني تعدد الدعوة بتعدد اللغات ، وعدم وجود رسالة خاتمة .

ومن هنا

مكن الله تعالى العرب من لغات الأمم حتى استطاعوا تبليغ الدعوة إلى غيرهم من الناس، ولذا أصبح واجبا على الدعاة مواصلة الدراسة في اللغات

العالمية لكي يملكو القدرة على مخاطبة أي قوم بلغتهم، ويستطيعوا أن يترجموا المبادئ والأسس والتعاليم الإسلامية ، ويتمكنوا من إيصالها للناس .
هذا وقد ثبت أن النبي ﷺ قد أمر زيد بن ثابت ؓ بإجادة السريانية،
فعن زيد بن ثابت ؓ ، قال : (قال لي رسول الله ﷺ : " أحسن السريانية ؟ ")
قلت : لا .

قال ﷺ : فتعلمها فإنه تأتينا كتب .

قال : فتعلمتها في سبعة عشر يوما (١) .

فإذا ما أجاد الداعية لغة القوم ، وأحاط بالمعارف الإنسانية مع
محافظته على القرآن الكريم وفهمه ، والإحاطة بالسنة المطهرة وبيانها فإنه
يكون موفقا بمشيئة الله تعالى، وما دام يتمتع بصلة حسنة بالله تعالى فسوف
يرزق علم الإلهام الذي يفيض عليه من نعم الله تعالى وفضله الكثير .
وبهذا الإعداد الشامل للدعاة يصل الإسلام للناس بينا، واضحا ، يلامس
حاجات الناس، ويصلح لهم أمور حياتهم وأخراهم، ويعبدهم للخالق العظيم .

(١) صحيح ابن حبان - كتاب إخباره صلى الله عليه وسلم عن مناقب الصحابة ، ذكر زيد بن ثابت

الأنصاري رضي الله عنه - حديث : ٧٢٤٣

الفصل الرابع

الركن الثالث

"الوسائل"

وسائل الدعوة

وسائل الدعوة هي الأدوات الحاملة لموضوع الدعوة، يستخدمها الدعاة لتبليغ دين الله تعالى، بواسطة وضع رسائلهم فيها، ونقلها من خلالها .

والوسائل ركن رئيسي في نظرية الدعوة لابد منها، لأنها هي التي تحمل الفكرة المقصودة إلى الناس، ليستقيموا على المعنى المستفاد منها.

وقد تكون الوسيلة آلة صماء صممت لتحمل الصوت من مصدره لتوصيله إلى أسماع الناس، وكل وظيفة هذه الآلة هي النقل ، فالصحيفة ناقلة لما يكتب فيها، والمذياع ناقل لرسالة المذيع، ... وقد تكون الوسيلة صورة فنية توضع في قالب بياني، مثل الصورة الهيكلية للقصة فهي تحمل مضمونا معينا في قالب خاص لتحقيق غاية معينة ، ولذلك فهي وسيلة في صورتها العامة، وقد عدها البعض أسلوبا من ناحية مضمونها الفكري، ولكنها نعدّها وسيلة في صورتها الكلية، وهيكلها العام ، ...

ومثل القصة الصور الفنية الأخرى التي تحمل الدعوة في ثناياها مثل الخطبة ، والندوة، والمحاضرة ، ... وبهذا تكون القصة وأمثالها وسيلة في مفهومها العام، وأسلوبا من خلال الفكرة التي تتضمنها .

والأمر الفصل في هذا يتحدد بتعيين زاوية النظر، ... لأن النظر إن كان إلى الصورة الفنية العامة الشاملة للمعنى فهو وسيلة ، ... وإذا كان النظر إلى الكلمات الدالة على الموضوع فهو أسلوب .

إن الأسلوب والوسيلة قد يوجدان معا في عمل واحد، وهذا سبب الالتباس، وصار من الضروري التمييز بين الوسائل والأساليب في عمل القادة الموجهين .

وفي هذا الفصل سأتناول - بإذن الله تعالى - أهم الوسائل المعاصرة التي تفيد الدعاة، وتمكنهم من تبليغ رسائلهم، وذلك في المباحث التالية : -

المبحث الأول

وسائل الاتصال المباشر

لا تستقيم الحياة إلا بالجماعة، ولا تتحقق مصالح الناس إلا بالتعاون والمشاركة، وقد قدر الله تعالى للناس أن يكونوا أمة من البداية تعمّر الأرض، وتنتشر الخير، وتحافظ على مصالحها، ... وجعل الإنسان مدنيا بطبيعته، يحتاج لغيره، وله دوره مع الناس.

وعرفت الإنسانية أهمية الاتصال والتعاون، ودرجت على ضرورة وجود أناس ذوي رأي وبصر، يعرفون غيرهم بالصالح ويقودونهم في متاهات الحياة وعرف الناس منذ آدم ﷺ قادة الرأي - أنبياء ومصلحين - لإدارة شؤون الحياة، وقيادة الناس إلى الحق، وإرشادهم إلى الصواب وتبليغهم دين الله ﷻ وفي العصر الحديث وضع العلماء نظرية تحدد معالم التوجيه والإرشاد، وسموها " نظرية الاتصال " ، والدعاة إلى الله تعالى أولى الناس بالاستفادة بهذه النظرية ليعضوا قضيتهم في إطارها لتصل إلى الناس بينة واضحة .

والاتصال له صور عدة ، فقد يكون مباشرا، وقد يكون غير مباشر . وفي هذا المبحث سأبين أهم صور الاتصال المباشر، وهي الصور التي يتم فيها اتصال المصدر بالناس بالمواجهة المباشرة ، سواء كان مع أفراد معينين ، أو مع جماعة معروفة ، أو مع جمهور عريض .

وأهمية الاتصال المباشر أن المتحدثين يدركون موقف المستمعين مما يقولون، ومعرفة الجوانب التي تؤثر في المستمعين .

وأهم صور الاتصال المباشر في نظرية الدعوة ما يلي :-

- ١ -

مناقشة الذات

مناقشة الذات هي الصورة الأولى للاتصال، وهي التي يعيش فيها الداعية

مع نفسه لتحديد موقفه من القضايا التي يعمل لها، لبيان مدى إيمانه بها، ومدى تقبل النفس الإنسانية لها، ومعرفة الكيفية التي يحسن الاستفادة بها، واكتشاف عوامل الترابط مع الآخرين .

وأهمية هذا الاتصال أنه يساعد صاحبه على فهم القضية التي سيجعلها للناس، ويقف على مدى إيمانه بها، وكيفية التفاعل معها، ومبلغ أهميتها للآخرين، وأنجع الطرق التي يشكل بها رسالته، ليتحرك بها مؤملاً الاستجابة والطاعة عند عرضها .

- ٢ -

الحوار البسيط

يحب الإنسان محادثة الآخرين، ومشاركتهم في العمل، وإن أصابه أمر لجأ لغيره ليساعده، كما تعثره أوقات يتمنى وجود إنسان عاقل يحادثه، ويناقشه، ويأخذ بيده، ويرشده إلى الصواب ، ولهذا توجد حوارات كثيرة بين الناس .

وما يجري بين الناس من كلام يعرف بالمحادثة التي تعتمد على الكلام والمنطق، وهي مشتقة من الحديث الذي يشترك فيه عدد من الناس .
والدعاة يعيشون مع غيرهم، وقد أوجب الله تعالى عليهم مسئولية تبليغ الدعوة إلى الناس، وبخاصة إلى أقربائهم، ومعارفهم ، ومن هنا كانت المحادثة في صورتها البسيطة وسيلة للدعوة .

وتتميز هذه الوسيلة بأنها توجد بطريقة تلقائية، ... إلا أنها تحتاج إلى حكمة الدعاة وإخلاصهم، ولا بد لهم معها من التخطيط، والتنسيق، والاستعداد، ... ومن أمثلة ذلك أن الأفراد يتأثرون بالأحداث اليومية، ويكثرون الحديث والنقاش حول هذه الأحداث كحديثهم عن الانتخابات في وقتها، وعن الصيام في شهر رمضان، ... وهكذا

وهذا الحال يقتضي أن يخطط الدعاة للاستفادة من الحديث المثار، وتوجيهه الوجهة الدينية ، والاستفادة بالحدث به بما يفيد الحركة بالدعوة .
وحين يشعر المسلم بمسئوليته مع الدعوة فإن هذه الوسيلة تمكنه من نصح أهله، وزميله، ورفيقه، وصاحبه، وجاره، ومن يعاشره، ويعرف محدثه بأحكام الإسلام في القضايا التي يثيرها .
والمحادثة وسيلة سهلة للدعوة، تتم بين أطراف يشتركون في عمل واحد، وبينهم ارتباط مسبق، بسبب النسب، أو العمل، أو الوطن، أو الإقامة

- ٣ -

المناقشة

تختلف المناقشة عن المحادثة في أن المحادثة تتم بصورة تلقائية، بلا إعداد مسبق، وبين عدد قليل من الناس بينهم تعارف مسبق، في مواضيع حياتهم اليومية، وأما المناقشة فهي فن علمي له أصوله ، ومنهجه ، ولا بد لها من الإعداد والتنظيم .

وقد وضع العلماء للمناقشة أصولا لا بد منها، فقد حددوا لها عددا لا يزيد عن عشرين فردا، يجتمعون في مكان معين، معد على هيئة خاصة تسمح للمجتمعين أن يسمع بعضهم بعضا ، ... ويرى بعضهم بعضا ...، وتتم المناقشة في موضوع معلوم سلفا لاستعراض الآراء والبراهين فيه .

ويشترط العلماء أن يكون للمناقشة منظم ، وملاحظ، على أن تتم المناقشة في موضوع، أو مواضيع معروفة سلفا، يهتم بها المتناقشون، ويعدون لها قبل ان تبدأ المناقشة .

ووظيفة المنظم مساعدة الأعضاء جميعا ليدلوا بآرائهم ، ويبعدهم عن الخل، والثرثرة، والغوغائية، ويقوم في نهاية المناقشة بتلخيص الآراء، وإبراز القضايا التي اتفقوا عليها، والقضايا التي اختلفوا فيها .

ووظيفة الملاحظ تسجيل كل ما يدور بين المجتمعين، ليبقى ما يكتبه تعريفًا بالمتناقشين، وتوضيحًا لآراء، وبيانًا للرأي الراجح ، ليكون مرجعًا يستفاد به عند الحاجة إليه .

والمناقشة تفيد المتناقشين أولاً، لأنها تحترم آراءهم وخواطرهم.

وتفيد الموضوع، لأنها توضح الآراء المختلفة حوله .

وتفيد الجماعة، لأن الرأي الذي ستختاره الجماعة بعد المناقشة هو الرأي السديد المفيد للناس .

والداعية المخلص يستفيد بهذه الوسيلة الهامة في مناقشة أمور دينه ، يختار لها رجالاً يفهمون، ويعملون، ويضعون الخطط العملية لضبط سلوك الناس، وإقناعهم بصراط الله المستقيم ...

ومن أمثلة موضوعات المناقشة :

- مسئولية الأمة عن الإسلام .

- المحافظة على طهارة المجتمع.

- الاهتمام بالشباب .

- الاهتمام بالتنشئة الإسلامية .

إن مناقشة هذه القضايا وسط جماعة مؤمنة عالمة يحدد المشكلة، ويضع الحل ، وينشط المشاركين في العمل لتنفيذ المقترحات التي يرونها.

ويذهب البعض إلى أن المناقشة فن علمي ظهر حديثاً ، إلا أننا نراه قد ظهر مع علماء المسلمين الأول، حين كان أئمة المذاهب الفقهية يلتقون بتلاميذهم، ويتناقشون في المسائل الفقهية للوصول للحكم الراجح، وقد سجلت كتب الفقه هذه المناقشات، الأمر الذي يدل على قدم هذا الفن .

والداعية هو منظم حلقة المناقشة، وهو الذي يختار موضوعها، وعليه أن يستعد لها بتحديد الموضوع، ومعرفة حلوله، وأحكامه في القرآن الكريم، والسنة النبوية، وآثار سلف الأمة .

والمناقشة ليست هي المناظرة ، لأن المناقشة تكون في موضوع معين يتعاون المتناقشون في تجليته، ووضع الخطة الملائمة لدعوة الناس إليه، بينما المناظرة توجه بين المتخاصمين في موضوع واحد، بهدف مغاير لكل منهما، حيث أن كلا من المتخاصمين يريد إثبات عكس ما يريده الآخر .

وتفيد المناقشة في تبادل الآراء، وفهم الآخرين، وإرضاء المعارضين، وزيادة المعلومات ، وتحقيق الكرامة لكل فرد ، وتعبير عن كل الخواطر الوجدانية ، وتحل المشاكل بصورة ملزمة للجماعة ، لأنها هي التي اتخذت القرار، وأيضاً فهي توسع دائرة الشورى بين المتناقشين ، وتعلم الجماعة ضرورة البحث والنظر .

ويساعد الملاحظ الأعضاء على القيام بدورهم، فإذا ما وجد عضواً خجولاً جذبته إلى المناقشة بالأمثلة التي تحتاج إلى إجابة طويلة ، وإذا وجد عضواً ثرثاراً حدد له وقتاً معيناً، وعليه أن يتصرف مع المشاغب، والشكلي، والمهرج، والمتحمس بما يضمن المناقشة الجماعية المفيدة التي يسبقها التفكير في الموضوع المعين والاستعانة بالمعلومات من مصادرها الأصلية(١)

- ٤ -

الخطبة

الخطبة فن قولي يحمل الدعوة إلى الناس ، يقوم بها أحد الدعاة، وألوانها عديدة ، وصورها متنوعة، وتتكون الخطبة من مقدمة، وموضوع، وبراهين في إطار هدفها .

(١) قواعد الخطابة ص ١٤٣ .

وقد حافظت الخطابة على أهميتها القصوى في الدعوة والبلاغ ، وسوف يستمر لها هذا الدور إلى آخر الدنيا .

إن الإنسان مركب من انفعالات تحركه، ومن وجدان يؤثر فيه، ومن عقل يحكمه، وينظم حياته، وللخطبة مدخل في كل هذه الجوانب .
إن الإنسان يسيره وجدانه أكثر مما يسيره فكره ودوافعه، والفرد مع الآخرين ينسى خواصه الفكرية، ومواهبه الأصيلة، ويندرج في وجدان الجماعة .

يقول لوبون : وأعظم الرجال لا يتفاوتون عن العامة في الأمور التي مرجعها إلى الوجدان، كالدين، والآداب، والميل، والنفور، ... وهكذا إلا نادرا، وليس هناك من هو أجدر من الخطبة في استمالة الوجدان، وتهيج الشعور، وتحقيق الانفعال المؤدي إلى الاندفاع والعمل (١)

والفرد الذي يسيره العقل وحده لا تغفله الخطابة الدينية ، لأنها قائمة على الحق، بعيدة عن التغرير، تستعمل الأدلة البرهانية ، والأدلة الظنية ، وغير ذلك من الأدلة حتى تصل إلى أعلى درجات اليقين .

إن ارتباط الخطابة بالعاطفة الدينية دافع إلى الاهتمام بها ، وأيضا فإن وجود الأمية، وكثرة الأعمال، وضيق الوقت دوافع رئيسية إلى ضرورة الخطابة ، لأنها تخاطب الأمي على قدر طاقته، تقرب له البعيد، وتذلل أمامه الصعب، وتوجز الزمن لمن لا يجده من أصحاب الأعمال، وتركز المعاني الكثيرة في كلمات قليلة ، وتقدمها لمن تراحمه مشاكل الحياة .

ولأهمية الخطابة للدعوة كان لها الدور الرئيسي في صدر الإسلام ، حيث خطب النبي ﷺ في يوم الجهر بالدعوة ، وكان ﷺ يخطب في الوفود

(١) روح الاجتماع ص ٣٠ .

القادمة، وفي الجيوش الزاهية ، وكان ﷺ يخطب للجمعة كل أسبوع، وكان ﷺ يكلف القادر على الخطابة أن يقوم بواجبه تجاه إخوانه ، وتجاه غيرهم، يدعوهم إلى الخير ، ويأمرهم بالمعروف، وينهاهم عن المنكر .

وقد اصطلح العلماء على تسمية الخطابة الدينية بالوعظ، وتسمية القائمين بها بالوعاظ، وهذا تضيق لواسع، لأن الدين يشمل سائر جوانب الحياة، وكافة أمور الآخرة ، وكل ما تتخيل الخطب فيه من تجارة، وزراعة ، وصناعة، وسياسة، وتعليم ، وحرب هو من أساسيات الدين ولوازمه، وبذلك يقصد بالخطابة الدينية الخطابة في هذه الأمور كلها .

صحيح أن الدعاة إلى الله تعالى اليوم هم الأئمة، وهم الوعاظ الذين يباشرون بخطبهم جانباً من الدين يكاد ينحصر في باب الاخلاقيات، أو في تعليم بعض أصول العبادات، والتشريعات، وابتعدوا عن أنواع كثيرة من الخطب كالخطب القضائية، والسياسية، والعسكرية، وتركوها للمحامين، والزعماء ، والعسكريين، وقد يكون هذا سر قصر الخطابة الدينية على الوعاظ (١) .

والخطابة من أهم وسائل الإسلام في العصر الحديث لارتباطها بصلاة الجمعة، حيث يحرص المسلمون على سماعها، ولو أتقن الدعاة رسائلهم الدعوية التي تحتويها خطبة الجمعة لتمكنوا من عرض الإسلام وتعاليمه للناس ، لأن العام الواحد يتكون من اثنين وخمسين جمعة، فلو قدم الخطيب لمرتادي المسجد عدداً من الموضوعات المتقنة لقدم الكثير من المعارف، ... ولو تصورنا الخطبة محاضرة علمية ، والمصلين يحيطون بها فإننا نتصور جامعة راقية لتعليم المسلمين دينهم بوسيلة الخطابة .

(١) قواعد الخطابة ص ١٢ .

والخطبة واجب ديني على المسلم، يقوم به خطيباً، أو مستمعا، ويتكرر كل أسبوع، وعلى مدار العام كله، يؤديه المسلم طاعة لله تعالى ورسوله ﷺ، والتزاما بتعاليم الإسلام، ولذا كان من الضروري على الدعاة إتقان الخطبة، والمحافظة على أركانها، وشروطها، ومن الضروري الاستماع لها، والمحافظة على ما فيها من نصح وتوجيه .

- ٥ -

المناظرة

المناظرة أسلوب علمي من أساليب الدعوة المباشرة ، وصورتها أن يتخير الداعي موضوعا مثارا بين الناس تختلف الآراء فيه، ويقوم باختيار عدد من العلماء المهتمين بالموضوع المثار، يمثلون جميع الاتجاهات حول هذا الموضوع ، ويقوم كل منهم بالإعداد والبحث في المنحى الذي يراه ، ... ويحدد الداعي موعد ومكان اللقاء ويدعو إليه الناس ، ليستمعوا إلى المتناظرين، ويسمعوا الأدلة التي تمكنهم من تكوين رأي حول الموضوع .
ومثال ذلك: عقد مناظرة في موضوع " عمل المرأة بين الشريعة والقانون" ،
لأن الآراء تنقسم في هذا الموضوع إلى ثلاثة آراء :
رأي يمنع عمل المرأة مطلقا .

ورأي يبيحه مطلقا .

ورأي يبيحه بقيود يحددها الدين وتقاليده المجتمع.

ومن الممكن تعدد الأطراف في المناظرة الواحدة إذا تعددت الآراء فيها .
وتتم المناظرة بوجود مشرف عليها، يقوم أولا بتعريف الموضوع ، وبيان أهميته، والتعريف بالمشاركين في المناظرة ، والإشارة إلى توجه كل فريق منهم، ...

وفي نهاية المناظرة يقوم المشرف بتلخيص ما دار في المناظرة وما انتهت إليه .

ومن فوائد المناظرة التعمق العلمي، والغوص في المسائل التخصصية، وإبراز الصواب في القضايا التي يهتم بها الناس، وإطلاع كل طرف بحجج الطرف الآخر للوصول في النهاية إلى رأي يرجحه المتناظرون ... ورواد المناظرة هم المهتمون بموضوعها، ولذلك يتم الإعلان عن الموضوع قبل موعد المناظرة بمدة طويلة .

والمناظرة وسيلة راقية للدعوة يمكن للدعاة بواسطتها معالجة كثير من الظواهر الاجتماعية برفق ولين، وبخاصة أن كل إنسان يسمع ما يقوله كل واحد من المتحدثين، ويشاهد ما يوجه إليه من نقد ولوم، ومن الممكن أن يحدد المستمع موقفه بعد المناظرة .

وفي التاريخ الإسلامي عقدت مناظرات كثيرة بين الدعاة وبين معارضيتهم من أهل الكتاب ومن غيرهم .

والمناظرة تختلف عن المناقشة ، لأن المناظرة تضم أطرافاً متعارضين كل له توجهه الذي يدافع عنه، ويرد ما عداه، أما المناقشة فهي عرض للآراء في تحليل قضية ما، وكل النقاش يستمر في اتجاه واحد، وقد يحدث خلاف بين المتناقشين في الإجراءات لا في أصل الموضوع .

- ٦ -

المحاضرة

المحاضرة حديث طويل يلقيه أحد الدعاة، أو أحد العلماء على جمهور من الناس لهم اهتمام بالموضوع .

والمحاضرة وسيلة مباشرة، لأن المستمعين يواجهون المتحدث، ويسمعون ما يقول .

والمحاضر يختار موضوعا، أو يختار له الموضوع الذي يهتم به الجمهور أو فريق منهم، ولذلك تكون المحاضرة ذا طابع علمي دقيق، ويكون مستمعوها جمهورا مهتما بموضوع المحاضرة .

ويجب دراسة الموضوع المختار دراسة وافية، على أن يتم عرضه بمنهجية تخصصية تستغرق وقتا طويلا، يتم بعد تقسيمه إلى عناصر بارزة، وخطوات واضحة مرتبة ترتيبا عقليا، ينتقل خلاله المحاضر من حلقة إلى حلقة حتى يصل في النهاية إلى ختام يستحسنه المستمعون .

والذي يقوم بإلقاء المحاضرة هو الشخص الذي حضر الموضوع ، وجهزه، وفي أحيان قليلة نادرة يقوم بإلقائها شخص آخر نيابة عن المحاضر. والمحاضرة عادة تكون لأهل التخصص الدقيق، ويصاحبها استعداد خاص، كتجهيز المكان، والإعلان المسبق عن موضوعها .

والمحاضرة وسيلة دعوية هامة، لأنها تخاطب الخاصة، وتحلل القضايا، وتفصل البراهين، ولها جمهورها من الناس .

وقد ذكر الأستاذ البهي الخولي تخطيطا لمحاضرة في موضوع "مقومات الإنسان الفاضل" نوجزها هنا للوقوف على كيفية اختيار المحاضرة ، وتحديد عناصرها استنباطا من العنوان، وإيراد الأدلة المناسبة لها:

يقول الأستاذ البهي : " إن من السهل عليك أن تقترض أن لهذا الإنسان الفاضل رسالة حسنة في الحياة يعمل جاهدا لتحقيقها، لأن الإنسان الذي يعيش بلا غاية يشبه السوائم المهملة، أما هذا فهو صاحب رسالة وهدف، ولا بد له من العلم، ليكون على بصيرة برسالته، وإحاطة بوسائل تحقيقها، والمحافظة عليها، لأن من لا علم له لا بصر عنده .

تقوم المحاضرة إذا على بيان دعائم الشخصية الفاضلة ، وهي العزة، والرسالة، والعلم .

ويمكن للمحاضر أن يقسم الدعائم الأساسية إلى عناصر فرعية، ويستحضر لكل عنصر ما يؤكد، ويوضحه من كتاب الله تعالى، ومن سيرة رسوله ﷺ، ومن سيرة صحابته الكرام ، ومن حركات التاريخ، وحوادث الزمان التي تسمع، أو تقرأ، أو تشاهد .

وعلى هذا فعناصر المحاضرة الرئيسية هي :

- لا بد للإنسان من هدف وغاية يعيش لها .
 - ضرورة محافظة الإنسان على مقومات إنسانيته الفاضلة.
 - تحديد منهج السلوك لتحقيق الهدف .
 - دعائم الإنسانية الفاضلة هي العزة، والثقة، والعلم، والعمل .
 - آثار الالتزام بدعائم الإنسانية على صاحبها .
- وعلى المحاضر أن ينظر إلى هذه الدعائم ويحدد معناها، ويبين ترابطها في تكميل الإنسان، وطرق تحقيقها، وعوامل المحافظة عليها، ويجد نفسه أمام معان واضحة هي ...**

- **معنى العزة** ألا يذل المرء نفسه لمخلوق مثله .
- **الإيمان** هو مصدر عزة المؤمن، لأنه يؤكد أن رزقه في السماء، وما كان في السماء فهو مصون، لا تتناول إليه يد عابث في الأرض .

وعلى ضوء عناصر هذه الدعامة تكون بقية الدعائم، وعلى نمطها يتمكن المحاضر من تقسيم الدعائم إلى عناصر .

ويجب أن يتحكم العقل في استنباط الدعائم ، وترتيب العناصر، وفي جمع الشواهد ، وفي سوق الحديث، ويجب أن تتحكم في كل ذلك العقلية العلمية الواعية (١).

وعلى ضوء ما ذكر نرى أن المحاضرة تشبه الخطبة في أنها تقصد إقناع الناس ، وأنها تعتمد التقسيم العقلي، والعمل لموضوعها، وأنها تحتوي أقساما تشبه الأقسام التي تحتوي عليها الخطبة، كما أنها تتخذ موضوعات متنوعة تجعلها تنتوع إلى خطب سياسية، واجتماعية، ودينية، ومع ذلك فإننا نلاحظ فروقا بين الخطبة والمحاضرة نذكر أهمها فيما يلي : -

(أ) موضوع المحاضرة أكثر سعة من موضوع الخطبة، والوقت الذي تستغرقه أطول من وقت الخطبة، لأن التقسيم يبدأ في المحاضرة بالمبادئ، ومن خلال المبادئ تأتي العناصر، ومع كل عنصر أدلته وجزئياته، بينما الخطبة تقسم إلى عناصر ابتداء، وعلى ذلك فالمحاضرة أقرب إلى البحث العلمي ، والخطبة أقرب إلى الدرس الديني .

(ب) يغلب على المحاضرة أسلوب تقرير الحقائق، وتثبيت المعاني، والاعتماد على التحليل، والتوضيح، والمقارنات، أما الخطبة فيغلب عليها إثارة العواطف والمشاعر، وتهيج الدوافع والانفعالات .

(ت) المحاضرة تستغرق وقتا طويلا ، ومن الممكن تقسيمها إلى عدد من اللقاءات والأيام، أما الخطبة فوقتها قصير، ولا تصلح إلا لوقت واحد (ث) جمهور المحاضرة من الخاصة غالبا، بينما جمهور الخطبة من سائر الناس .

(١) انظر تذكرة الدعاة ص ٢٢٥، ٢٢٦ .

ومع وجود هذه الفروق بين الخطبة والمحاضرة فإننا نلاحظ أن المحاضرة أقرب شبهة بالخطبة من المناقشة .

وعلى الخطيب الداعية أن يعقد بين الحين والآخر محاضرة في موضوع يختاره، وبخاصة في المناسبات الدينية، مثل بيان الإعجاز في القرآن الكريم خلال شهر رمضان، ومثل الهجرة النبوية ودورها في ترسيخ الدولة، ومثل خصائص الجهاد في الإسلام عند ذكر الإسراء والمعراج ، ويدعو إليه الناس، لأن ذلك أجدى لدعوته، وأكثر فائدة في مهمته (١) .

-٧-

الندوة

الندوة وسيلة للدعوة الإسلامية ، وصورتها أن يجتمع عدد من العلماء والدعاة لمناقشة موضوع ما ، على أن يقوم كل منهم بتوضيح جزئية من الموضوع يكمل بها آراء زملائه أمام جمهور يسمعون ويتابعهم .
وبهذا التصور يسمع الناس عددا من آراء العلماء في موضوع واحد يكمل بعضهم بعضا .

ويمكن للمستمعين أن يعلقوا على آراء المتحدثين اعتراضا، أو اتفاقا ، أو استفهاما، وحينئذ تعرف المحادثة بأنها محادثة مفتوحة، أما إذا منع التعليق فيها فهي الندوة المغلقة .

واختلاف الندوة عن الخطبة، والمحاضرة، والمناقشة، والمناظرة واضح ، لأن الخطبة والمحاضرة يتكلم فيها فرد واحد، والندوة تجمع عددا ، وكذلك نراها تختلف عن المناقشة والمناظرة، لأن المناقشة عرض للآراء في موضوع معين، ومناقشتها للوصول إلى الرأي الأسلم ، وأيضا فإن المناظرة

(١) قواعد الخطابة ص ١٤٥ إلى ١٤٨ .

تجمع عددا متعارضا كل يثبت رأيه ، وينقض ما عداه، أما الندوة فهي تعاون عدد من العلماء في إظهار قضية واحدة بلا تعارض بينهم، لأن كل واحد يتكلم في جزئية معينة يكمل بها الأجزاء الأخرى التي سيتحدث فيها المشاركون في الندوة .

وأیضا فإن المناقشة يحضرها المناقشون وحدهم، أما الندوة فيحضرها جمهور كبير يسمع ويتابع .

والدعاة يمكنهم عرض قضايا مجتمعهم خلال هذه الوسيلة لما لها من تأثير في الناس ، لأنها تجمع آراء العلماء في موضوع واحد ، وهذا يساعد على جمع الأدلة، وإقناع العقل، والثقة فيما يقال لصدوره من عدد من العلماء

- ٨ -

الحديث العادي

يراد بالحديث في مجال وسائل الدعوة ما يقوم به الدعاة بعرض فكرة ، أو تفسير آية، أو شرح حديث نبوي ، أو بيان حكم فقهي يحتاجه الناس .
والحديث قليلة كلماته، قصير وقته، وهو مناسب للناس في عصر السرعة .

ومن الآداب التي يحتاج إليها المتحدث ما يلي : -

أ- **إخلاص نيته لله تعالى طلبا لمرضاته**، وأملا في ثوابه .

ب- **أن تكون كلماته لينة سهلة واضحة** .

ت- **أن يستعمل المتحدث من الأدلة أظهرها**، وأجلاها حجة، وأعدلها

مسلكا، وأن يستعمل المبادئ المسلم بها ، وأن يجتهد في كشف

الشبه ، ونقدها بالطرق الصحيحة ، والبراهين العقلية ، ليظهر الحق

من الباطل، والصواب من الخطأ

ث- التزام الأخلاق الفاضلة ، والأدب العالية ، والأقوال المهيبة البعيدة كل البعد عن الطعن أو السب، أو الهمز، أو اللمز، أو الانتقاص والاحتقار .

فالمؤمن ليس بالطعان ولا اللعان ولا الفاحش المتفحش البذئ . وعلى رأس تلك الأخلاق أن يكون كلامه حسنا، ومنطقه جميلا، وقوله مهذبا ، فالكلام الطيب، والقول الحسن يأسران النفس أسرا سريعا (١) .

- ٩ -

حوار المؤتمرات والمجامع العلمية

يراد بالمؤتمرات العلمية اجتماع لفيف من العلماء المتخصصين في أحد فروع العلم بصورة دورية ، أو عند الحاجة لمناقشة موضوع متعدد الجوانب ، ومتنوع التوجهات .

وعدد العلماء المشاركين في المؤتمرات، والمجامع العلمية كثير ، يصل إلى المئات في بعض الأحيان، ولذلك لا تكفيهم جلسة واحدة ، أو حلقة واحدة، أو مكان واحد ، وقد وضع العلماء للمؤتمرات والمجامع طريقة للاجتماع والمدارسة ، وذلك بأن ينقسم المؤتمرون إلى لجان وفرق، كل فرقة تختص بدراسة جانب من جوانب المؤتمر، وتطلع على أبحاثه التي أعدها العلماء في موضوعات المؤتمر، ثم تقوم بمناقشتها، وتقرر ما تراه إزاءها، وتستمر هذه المناقشات عددا من الأيام تنتهي بقاء موسع لجميع الأعضاء لإقرار ما انتهت إليه اللجان المختلفة .

ويمكن للمؤتمرين إلقاء محاضرات موسعة عامة خلال أيام المؤتمر لها صلة بالموضوع الرئيسي .

(١) كنوز الدعوة ص ١٨٤ .

وهذا اللون في نقل الأفكار قديم، فهناك مجامع الكنيسة، ومؤتمراتها التي تمت في القرن الثالث الميلادي، وهناك المؤتمرات الإسلامية العديدة .
ومن المجامع ما هو ثابت معروف بأعضائه كالمجلس الأعلى للشئون الإسلامية ، ومجمع البحوث الإسلامية بمصر ، ومجمع الفقه الإسلامي بالمملكة العربية السعودية، ... والمجمع العلمي بالهند، ومجامع اللغة العربية ، ... وهكذا .

ومنها ما هو مؤقت مثل المؤتمرات التي عقدت لدراسة موضوع ما في السيرة ، أو في السنة ، أو الدعوة، أو الاقتصاد ،
ويمكن ان يشترك في المؤتمرات الإسلامية غير المسلمين لعرض آرائهم والاستماع لخبرتهم وعلمهم .

وهذه المؤتمرات وسيلة ناجحة لوضع أفضل تصور في الموضوع المثار، إلا أنها تحتاج لمساندة كبيرة من الجمهور، ومن القادة، ... لأن التوصيات في أغلبها تكون مثالية الغاية والهدف ، وتتصور ما يجب أن يكون .
لقد عقدت المجامع الإسلامية عدة مؤتمرات لتوجيه الدعوة، وإعداد الدعوة، وناقش المؤتمر خلالها كافة المحاور المتعلقة بطرق نشر الدعوة، وجوانب ثقافة الدعوة، والمنهج الأحسن للتواصل مع الناس، ووضعوا توصياتهم المشتملة على تخطيط كامل لكل أركان الدعوة، وأودعوا توصياتهم في المؤسسات ، والجامعات الإسلامية للأخذ بها، كل على قدر طاقته ووسعه.

المبحث الثاني **الوسائل السمعية**

يراد بالوسائل السمعية الآلات الصماء التي تحمل الدعوة من مصدرها، وتوصلها إلى الناس، وتنقلها من حاملها البعيد إلى المتلقي حيث هو في أرض الله ﷻ، وهي وسائل اتصالية غير مباشرة ، وأهم قوالبها ما يلي :-

- أولاً -

المذياع

المذياع هو ناقل الصوت عبر الأثير، ويقوم بحمل الرسالة التي ينطق بها مذياع أعدها، أو أعدتها له هيئة مسئولة .

إن المسؤولين عن الإرسال الإذاعي - فردا أو جماعة - يعملون على إرضاء المستمعين ، وإشباع حاجتهم الفكرية والثقافية، ... ولذا نرى تعدد البرامج المرسلة ، وتنوعها، ودقة توجهها إلى عقل ونفس الناس ، إننا من خلال المذياع نسمع الرأي والتحليل، والفكرة والتعليق، والحدث والدوافع ، ونسمع الكلمة، والقصة التمثيلية، والحديث، والأخبار، ... وغير ذلك .

والمسؤولون عن الإرسال الإذاعي يعتمدون على مندوبين ومراسلين، ووكالات الأنباء المنتشرين في جهات العالم المختلفة لمعرفة الأحداث، والإخبار بها فور وقوعها، واكتشاف اتجاهات الرأي العام، ورغبات الجمهور، كما يقومون بعد كل فترة بأخذ الآراء لاستبيان توجهات المستمعين من أجل الاستمرار في البرامج المفيدة، وتعديل ما يحتاج إلى تعديل، واستحداث برامج أخرى، ... والأذاعة وسيلة حسنة للدعوة الإسلامية لما يلي :

(١) الأذاعة تسهل وصول الفكرة الإسلامية إلى كل مكان، وبمختلف لغات العالم من خلال الإذاعات الموجهة باللغات الأجنبية،... وبذلك يصل الإسلام للناس بلا عائق ، أو صد ، لأن المعارض لا يمكنه

إغلاق الغلاف الجوي، أو التحكم فيه بصورة مطلقة .

(٢) **يمكن الدعاة بواسطة المذيع من مخاطبة كافة فئات المجتمع**

بعدما يعدون البرامج المختلفة، ويناقشون خلالها قضايا المرأة، والعمل، والتجارة، والشباب ، والتعليم، ويحللون الأحداث، ويفسرون الظواهر، ويقدمون الحلول لحاجات الجماهير ، ... الخ .

(٣) **يمكن مخاطبة الإنسان بواسطة المذيع أيا كانت حالته، لأنه**

سيسمع الكلمة المذاعة وهو في بيته، أو في عمله، أو وهو يستريح، أو وهو يأكل، ... وهكذا، ويصاحب الدعاة الناس من خلال المذيع في سفرهم وفي إقامتهم ، ويذكرونهم وهم بعيدون عنهم، فالمسلم إذا ذهب للحج ، أو سافر للتجارة، أو ذهب للحقل يمكنه اصطحاب المذيع، ومتابعة البرامج التي يرغب فيها بلا عناء أو مشقة .

(٤) **يمكن الدعاة بواسطة هذه الوسيلة من التركيز على موضوع معين**

في عدة برامج ... فمثلا ينصحون بالكلمة المباشرة ، وبالتمثيل الهادف، وبالحوار بين طرفين، وبالإنشودة الدينية ، ... وهكذا .

(٥) **يمكن الدعاة من متابعة الأحداث والمناسبات فور ظهورها،**

فيوصلونها للناس، ويقومون بتحليلها، وبيان حكمتها الدينية، كشهر رمضان، وأشهر الحج ، ... إذ تهتم الإذاعات الإسلامية ببيان الأحكام الفقهية بكل عناية، ومتابعة أحوال المسلمين معها، وتوضيح كيفية الاستفادة المثلى منها، وربط المسلمين بعضهم ببعض بواسطتها .

والاستفادة بواسطة الأذاعة في الدعوة إلى الله تعالى تحتاج إلى

ما يلي : -

(أ) **دقة الرسالة الدعوية، وذلك يتم بواسطة إعداد جيد من قبل المؤسسة**

المشرفة ، أو الدعاة القائمين بالإرسال، لأن وقت برامج الأذاعة قصير، وهذا يحتاج إلى الدقة في اختيار الموضوع ، والدقة في اختيار الكلمة، والدقة في طريقة العرض، والدقة في استخدام المثبرات الصوتية التي تساعد على انتباه المستمعين .

ب) أن يعد مقدمو البرامج الإذاعية الإجابة عن كل سؤال محتمل، لأن المستمع بعيد، وقد يعترضه سؤال ما، فإذا ما قدم الداعية المرسل الإجابة ضمن برنامجه فإنه يحقق بذلك فائدة عظيمة . وعلى الداعية المرسل أن يضع نفسه في بيئة المستمعين، ويبحث عن أحوالهم، وطبائعهم، وكيفية خطابهم حتى يتمكن من مناقشة كافة تصوراتهم خلال رسالته الدعوية .

ت) أن يكون مقدمو البرامج الدعوية نماذج تطبيقية للإنسان المسلم الذي يعملون لوجوده ، وبذلك يكون لحديثهم في الناس أثر، ولدعوتهم قبول، ولا يصح مطلقاً أن يقدم الإسلام رجل غير ملتزم بما يدعو إليه، ولا يجوز لامرأة لا تطبق الإسلام في لباسها، وحجابها أن تنادي بالإسلام،

إن الالتزام العملي للمتحدث يضيف على حديثه رونقاً واستحساناً، ويوضح للمستمع صدق ما يدعو إليه .

- ثانياً -

الشريط

من الوسائل التي يمكن الاستفادة بها في تقديم الإسلام والدفاع عنه الشريط الممغنط، وهو يحتاج لجهد بسيط في التسجيل، واختيار الموضوعات التي يراد نشرها .

وبواسطة الشريط يمكن نقل الخطب، والمحاضرات، وتسجيل الكتب والتاريخ الإسلامي، ومختلف الأحداث والوقائع .

وتتميز هذه الوسيلة برخص تكاليفها، وإمكانية تداولها .

وقد رأيت تطبيق نموذج عملي مع الشرائط المسجلة حين قام بعض المخلصين من المسلمين بتخير مجموعة من الشرائط ذات الموضوعات الإسلامية الهامة لكبار علماء الإسلام، وقام بتوزيعها هدايا على الجيران والزملاء، وأصحاب المسجد، والعمل .

ويمكن للشريط أن يسجل أي حديث ويحفظه، ليتمكن الاستفادة به في مناسبات أخرى لأناس آخرين.

- ثالثاً -

الرسائل الإلكترونية

يهتم الشباب بالتعارف عن طريق الرسائل البريدية الإلكترونية، ولا يحتاج الأمر إلا إلى نشر الرغبة في التعارف بإحدى الصحف ، أو المجلات ، أو البريد، وسرعان ما يأتي رد عديد من الشباب يوافقون على هذا التعارف الذي يعتمد على المراسلة ، ... وخلال مرحلة التعارف الأولى يبين كل طرف للآخر اسمه، وثقافته، واهتمامه، ودينه، وطريقته في التفكير، ورغبته في مشاركة الآخر ، والتعاون معه، وبهذا الأسلوب يمكن عرض الإسلام على الآخر شيئاً فشيئاً عن طريق الحوار المنظم والإقناع الدقيق .

ويحتاج هواة المراسلة إلى الصدق، والصراحة ، والإحساس بالأخوة ، والمودة وبخاصة في القضايا التي يناقشونها معا .

والمراسلة الآن سهلة وسريعة للاستعانة بالمخترعات الحديثة خلالها .

المبحث الثالث

الوسائل المقررة

استعمل الإنسان منذ ظهوره الكتابة بطريقته البدائية إذ كانت الكلمات صورة، أو نباتا، أو حيوانا، .. وكان المكتوب عليه جلدا أو خشبا، أو حجرا، أو زرعا ، وهكذا .

وأدى قلة عدد الكتاب قديما إلى الاعتماد على الحفظ والمشاهدة، وكان ما يكتب في البداية كلاما مختصرا، ومن نسخة واحدة، فلما وجدت المطبعة عام ١٤٥٤م، وصنع الورق تمكن الناس من الانتقال إلى عصر جديد ، هو عصر الكتابة، وسهل نقل الأفكار في أسفار كبيرة تكتب وتقرأ .

وعلم المسلمون أهمية القراءة والكتابة منذ ظهور الإسلام، ولذلك كتبوا القرآن الكريم، وقرأوه، واستمروا في محافظتهم عليه بالكتابة والقراءة ، والحفظ، والفهم .

واستفاد النبي ﷺ بهذه الوسيلة ، فأرسل إلى الملوك، والرؤساء كتباً تتضمن دعوتهم إلى الإسلام .

وفي العصور الحديثة تطورت الكتابة والطباعة بصورة رائعة، وأصبح من الممكن الاستفادة بهذه الوسيلة في الدعوة إلى الله تعالى بصور عديدة منها : -

- ١ -

الكتاب

يعد الكتاب وسيلة للدعوة إلى الله تعالى، لأن المؤلف حين يضع كتابه يقدم خلاله دراسة كاملة تحليلية لموضوعات هامة مثل :

- الانفصام بين العقيدة والسلوك - الأسباب والعلاج .
- ظاهرة الوهن في المجتمع المسلم، وكيفية التخلص منها .

- الدعوة المثالية في القرية المصرية .
- العولمة الفكرية وموقف الإسلام منها .
- الداعية المثالي - بين التصور والواقع .
- منهج المحافظة على نفسية المدعويين .
- طرق الإقناع في الدعوة إلى الله تعالى .

والمؤلف خلال إعداد كتابه يقرأ العديد من المراجع التي تساعد في إخراج مؤلفه ولذلك يغلب على الكتاب الإسلامي دقة النظر ، وشمول التحليل ، ووضوح النتائج ، وهذا يساعد الدعاة والمدعويين .
ويجب أن نتذكر دائما أن العلوم الإسلامية مثل التفسير ، والحديث ، والفقه ، والتوحيد ، ... حفظها الكتاب للأجيال المتعاقبة .

ويمكن للكتاب الواحد أن يقدم عددا من الموضوعات ، ونستطيع أن نؤكد بوجه عام أن التغيرات التي حدثت في المجتمع الإنساني على مر العصور أثرت تأثيرا كبيرا على الكتاب من ناحية شكله ، وحجمه ، وموضوعه ، ونوع الورق ، والتجليد ، وجمال الطباعة ، وغير ذلك .

وأصبح الكتاب في كل بلاد العالم الغذاء الروحي والعقلي الذي يطالب به الجميع مثل رغيف العيش ، فكما أن رغيف العيش يغذي الجسم فكذلك الكتاب يغذي الروح والعقل ، وقد ازدادات أعداد الكتب وارتفع نتيجة لذلك عدد المكتبات في العالم ، فالكتب وسيلة هامة للثقافة ، ونقل المعرفة ، وهذا يساعد على تكوين الرأي العام ، بالإضافة إلى فوائد المعرفة العلمية والمهنية .
وعلى كل حال فالكتب لها تأثير كبير في تكوين آراء الطبقة المثقفة بوجه عام ، والطبقة الممتازة منهم بوجه خاص ، وهؤلاء هم الذين يمثلون الرأي العام المستتير .

الكُتيب

والكُتيب تصغير الكتاب، وهو عبارة عن فكرة سريعة توضع في كلمات موجزة، وفائدة الكُتيب تظهر في سهولة الحصول عليه، وإمكانية قراءته في أوقات كثيرة ، وأثناء الحركة والعمل .

والكُتيب صغير الحجم، قليل الصفحات، وهذا يسهل وضعه في جيب صغير، وسرعة الانتهاء من قراءته، وفهمه، لأنه يعرض الموضوع مجملاً وبأسلوب سهل .

وقد أعد كثير من العلماء كُتيبات إسلامية في موضوعات شتى تخدم الناس مما يسهل عرض قضايا إسلامية على الكثيرين، ... ومن هذه الكُتيبات :

- أ- مشروعية الحجاب .
- ب- ضرورة ستر العورة .
- ت- فضل ليلة القدر .
- ث- حكم شرب الدخان .
- ج- كيف نستقبل رمضان .
- ح- حكم إطلاق اللحي .
- خ- شروط التوبة النصوح .
- د- كيفية الاختيار في الزواج .
- ذ- الحاجة إلى الأخوة الإنسانية .
- ر- العناية بصحة الأطفال .
- ز- فضل العشر الأول من شهر ذي الحجة .

الصحيفة اليومية

الصحيفة اليومية وسيلة اتصال جماهيري، لأنها تصل للجماهير الغفيرة بسرعة ويسر، ويجد الجميع خلالها مرادهم، لأنها تحتوي على أبواب وموضوعات شتى .

وقد اصطلح العلماء على أن الصحيفة هي التي تصدر كل يوم مرة ، أو مرة في كل أسبوع بحجم معين ، وصفحات معدودة، أما المجلة فعدد صفحاتها كبير يشبه الكتاب، وتصدر كل فترة زمنية، وتهتم بالصور مع الحدث، وتتناول بالتحليل والتعليق كافة موضوعاتها .

وتتميز الصحيفة عموماً بما يلي :

(أ) متابعة الأخبار في العالم كله بواسطة المندوبين والمراسلين ، ووكالات الأنباء، وهذا يقدم للقارئ صورة للعالم كله كل يوم، وبخاصة أن الصحف تتبارى في السبق وإفادة القارئ.

(ب) سهولة الحصول على الصحيفة لرخص ثمنها، وكثرة مقالاتها .

(ت) تخدم الصحيفة الجانب الذي قامت له، فهناك الصحف الاقتصادية، والزراعية، والسياسية، ... ويجب أن تظهر صحف الدعوة لتهتم بنشر الإسلام وتبليغه للناس .

وعلى الدعوة أن يهتموا بهذه الوسيلة لخطورتها، ولأهميتها عند القراء، ولانتشارها الواسع، ... إنها لا تحتم قراءتها في وقت معين، وإنما تترك للقارئ الحرية في اختيار وقت قراءتها، ... كما أنه من الممكن قراءتها في أوقات عدة لعدد من الراغبين في القراءة .

لذلك يجب على المسلمين في أنحاء المعمورة الاستفادة بالصحافة اليومية لصالح الدعوة الإسلامية بما فيها من أخبار، وتفسيرات، وآراء، وتحقيقات .

إن الصحف اليومية، والنصف أسبوعية، والأسبوعية إلى جانب المجالات الدورية تعتبر طريقا قويا وفعالا ومفيدا في تبليغ، الإسلام وإيصاله للناس. إن كثيرا من الناس تنقصهم معرفة أن الشريعة صالحة لكل زمان ومكان، وأنها واجبة التطبيق على كل مكلف، وحملة مدروسة في الجرائد اليومية تقوم بدور كبير في هذا المجال، وكذلك الأسبوعية، وكل المطبوعات إذا استخدمت لصالح الدعوة الإسلامية .

لقد اهتم الساسة، ورجال الأحزاب في العصر الحديث بهذه الوسيلة ، فأصدروا صحفا تنطق باسمهم ، وتزين سياستهم، وتحبب الناس فيهم، والدعاة هم الأولى بذلك خدمة لدين الله تعالى، ونفعا للناس أجمعين .

- ٤ -

الدوريات. والحوليات

يراد بالدوريات المطبوعات التي تقدم للقارئ بصفة دورية كل ثلاثة أشهر، أو نصف سنة، أو سنة .

ويراد بالحوليات المطبوعات التي تصدر كل عام من جهات علمية رصينة، وتقوم بتحكيم أبحاثها قبل نشرها، وغايتها نشر الأبحاث العلمية، ولذلك فهي تصدر من هيئات كبرى متخصصة .

والدوريات تفيد العلماء والخاصة، ولذلك يحتاج إليها الدعاة، ويمكن عرض موضوعات دعوتهم خلالها .

المبحث الرابع

الوسائل المصورة

يراد بالوسائل المصورة تلك التي تنقل رسائلها إلى المستقبل بواسطة الصورة والصوت، وهي التي تعرف بـ "التلفاز" وهو جهاز حديث الظهور، سريع التطور، يتميز بأنه يخاطب الإنسان بأكثر من جهة في وقت واحد.

فهو يخاطب العيون بصوره ومشاهده.

ويخاطب الأذان بكلماته، وبيانه.

ويخاطب العقول بقناعاته ، ونقله الأحداث من مواقعها .

ويخاطب العواطف بإبراز المؤثرات الوجدانية أمام رؤى الإنسان، وتصوراته **قد يسمع الإنسان حديثاً** عن زلزال مدمر، أو صاعقة مهلكة، فيتأثر بما يسمع تأثراً ما ... أما لو قدم التلفاز صورة الدمار، ومناظر الفزع، وأشكال التدمير والهلع فإن التأثير يزداد حدة ، ... وذلك بسبب أن التلفاز يأتي للإنسان من كافة جوانبه العقلية، والعاطفية، والوجدانية ، والنفسية ، ولم يترك أمام المشاهد إلا أخبار التأثير والانفعال .

قد نتأثر بسماع التلبية، والتكبير يوم عرفة، ... ولكن هذا التأثير يزيد، ويتضاعف إذا نقله التلفاز إلينا بصورة المكان والحجاج .

وقد تمكن العلماء من ربط التلفاز بالفضاء الخارجي بواسطة الأقمار الصناعية، وبذلك تمكنوا من نقل أحداث أي منطقة في العالم في لحظة وقوعها إلى العالم كله بلا حد للمسافات أو الأماكن .

إن المشاهد بواسطة التلفاز يرى انفعال المتحدث ، وقوة المناقشة، ويتأثر بذلك كما يتأثر بالصور تتحرك هنا وهناك، وهي تظهر القدرة في خلق الله تعالى، وتقدم العبر والعظات في صورة وحركة .

وعلى الدعاة أن يهتموا بهذه الوسيلة ، وعلى الدولة أن تمكن لهم منها .

المبحث الخامس

الوسائل الفضائية الحديثة

لم يقف العقل البشري عند اختراع الوسائل السابقة، فواصل بحثه حتى تمكن من الوصول للفضاء ، ووضع فيها أقمارا مصنوعة ترتبط بالأرض لتقديم خدمات عديدة ، ... فهي محكومة بصاحبها الذي صنعها وأطلقها في الفضاء تنفذ أوامره ، وتخضع لما يطلبه منها، فهي تكشف الصور، وتسجل الصوت، وتدونه على أقراص معدنية، وهي سريعة الانتشار، وتنقل الصوت والصورة من مكان الحدث إلى ما يلتقطه في أي جزء من أجزاء العالم،

والوسائل الحديثة عديدة ... ومنها :

- ١ -

التليفون المحمول

وهو جهاز صغير الحجم، ذو إمكانيات عديدة، فهو مع قيامه بعملية الاتصال اللاسلكي بالآخرين يعرف بأوقات الصلاة ، وينقل القرآن الكريم مكتوبا ومقروءا بأصوات عديد من القراء، كما يحمل تفسير آيات القرآن الكريم ، وأحاديث رسول الله ﷺ بعد أن يلتقط هذا وغيره من الأقمار الصناعية .

ويمكن بواسطة التليفون المحمول نقل رسائل مكتوبة في أي موضوع يريده المرسل، ... وهذا يسهل للدعاة عملية إيصال الخبر للناس، وتحقيق تواصل مكين معهم، وبواسطة هذا الجهاز يستقبل الدعاة أسئلة المدعويين ، ويردون عليها بأحكام الشرع الحنيف .

ولتحقيق الفائدة الحسنة بهذا الجهاز ينبغي وضع خطة دقيقة للاستفادة به حتى لا يتحول إلى جهاز للكسب والتريح، واللعب والهوى .

وقد تطور صناعة التليفون المحمول تطورا مذهلا فهو اليوم مذياع، وتلفاز، وأداة اتصال بالصوت والصورة ، وبواسطته تدون الكتب، وتعرف جغرافية العالم، ومختلف الأنشطة العلمية والرياضية، كما أنه يعد أداة لهو ولعب لمن أراد .

- ٢ -

البريد الإلكتروني

ويراد بالبريد الإلكتروني ما يفعله أي فرد أو هيئة، إذ تضع لنفسها رمزا معيناً ، وتفتح به موقعا على هذا البريد الفضائي، ... وبواسطة هذا الموقع يمكن إرسال أي رسالة لأي موقع ، ... واستقبال أي رسالة يوجهها الآخر من أي موقع .

والدعوة بواسطة البريد الإلكتروني سهلة تحتاج من الدعاة بث رسائل إلى مختلف المواقع تعرف بالإسلام ، وترد الهجمات التي يتعرض لها الإسلام .

والعلم مستمر في تقديم الجديد في هذا المجال وغيره، وواجب المسلمين الاستفادة به في الدعوة إلى الله تعالى .

المبحث السادس

الأساسيات الشرعية لاستخدام الوسائل

الوسائل الدعوية في جملتها تحمل الإسلام للناس، ولا بد لها أن تكون جامعة لخصائص الإسلام، ومحافظة على تعاليمه، ... وعلى الدعاة مراعاة هذا الجانب وهم يتحركون بالإسلام، وعليهم أن يلتزموا بالأسس التالية :

١- مشروعية الوسائل :

الدعاة يعملون على تبليغ الإسلام الذي شرعه الله تعالى للناس بوسائل متعددة، ولذلك وجب استعمال الوسائل المباحة، فلا يصح أن تكون الوسيلة صورة عارية، أو آلة مغصوبة أو لونا فنيا يتضمن المحرمات التي لا يبيحها الشرع الحنيف ، ولذلك وجب أن تتسامى الوسائل الدعوية لترتقي مع سمو الغاية والهدف ، ومن هنا كانت إقامة سرادق للدعوة مثلا في أرض مملوكة للغير بغير إذنه أمر غير جائز، لأنه اعتداء على مال الغير ، وهذا غير مباح في شرع الله تعالى .

٢- خلو الوسائل من الضرر :

قد تكون الوسيلة في ذاتها مباحة، لكن كيفية استعمالها يضر بالغير كاتخاذ مكبرات الصوت بجوار مريض يؤذيه الصوت المرتفع، وفي هذه الحالة يستحب إلغاء مكبر الصوت، أو خفض صوته حتى لا يكون سببا في الأذى والضرر، وحتى لا تكون وسيلة الدعوة ضارة بالغير .

٣- ملائمة الوسيلة للتقدم الحضاري :

الحضارات تتقدم، والمدنيات تتطور باستمرار، والواجب أن تتلائم وسائل الدعوة مع مستجدات العصر ، ومنتجاته، لأن استعمال الوسائل القديمة قد لا يفيد في بعض الأحيان، وقد يكون ضررها أكثر من نفعها ، فمثلا كان المتحدث في القديم يصعد على جبل عال ليخاطب الناس ، وكان يدور على

القبائل راكبا دابة ، ... ومثل هذه الوسائل لا يمكن استعمالها اليوم ، ولا تفيد من يستخدمها، لأن العالم اليوم يركب الصاروخ، ويتحرك عبر الفضاء، ... ويجب أن يرتقي الدعاة بوسائلهم ليحققوا الدعوة وجودا بين الناس .

لقد قرأنا أن دعاة المذاهب الباطلة في إفريقيا يركبون الطائرات الخاصة، وينشئون المقرات الضخمة، ويوزعون المعونات الكثيرة ، ويحيطون فكرهم بهالة من الغنى والتقدم للتأثير في مدعويهم، ... وهم بذلك يحققون نجاحا لما يدعون إليه مع أنه باطل، ... الأمر الذي يدل على ما للوسيلة المطورة من تأثير في المشاهدين .

إن كثيرا من القراء يحكمون على مضمون الكتاب بجودة الغلاف ، ويقبلون عليه لرضاهم بالشكل البراق والصورة الجذابة، ولذلك حسن تقديم الكتاب الإسلامي في صورة جذابة ومقبولة .

والإسلام دين عظيم في مظهره ومخبره ، ويجب أن تتساوى وسائله مع هذه العظمة لتلتقي مع عقول الناس، وعواطفهم أينما كانوا وكيفما كانوا .

ولا يصح أن يتجاوز هذا التلاؤم الحد المطلوب للوسيلة الدعوية حتى لا يدخل في حد السرف والتبذير، أو يخرج عن حد الطاقة والتكاليف .

٤ - تضمن الرسالة لعوامل الجذب والتأثير :

وسائل الاتصال المعاصرة تهتم بمخاطبة الإنسان بأكثر من ناحية في وقت واحد ، حيث نراها تجذب البصر، وتشد السمع، وتحرك الجوارح بمثيرات ومؤثرات عديدة، ... وهي بذلك تأخذ المستقبل إليها بصورة كلية ، وتحول انتباهه إليها، ... وذلك أمر له أهميته ويجب أن تستفيد الوسائل الدعوية به لتكون أكثر تأثيرا في المدعويين ، ونظريات الاتصال تضع فلسفتها في قوالب عملية، ... الأمر الذي يمكن لرجال الدعوة من الاستفادة

من الخطط التي وضعها رجال الاتصال المعاصر لما في ذلك من خير ونفع للدعوة .

٥ - ملائمة الوسيلة للمدعويين :

يختلف المدعويون اختلافا بينا متأثرين في ذلك بالبيئة، والثقافة، والتقاليد ، والعادات، ولذلك كان المقبول في جماعة مرفوضا عند أخرى ، ... **والواجب أن تكون الوسيلة** ملائمة للمدعويين لتقوم بدورها على الوجه المطلوب ، فالكتاب مثلا لا يفيد في بيئة أمية، ... والوسائل الإلكترونية لا جدوى منها بين الفقراء الذي يبحثون عن قوت يومهم .

ومن هنا كان التلاؤم بين الوسيلة والمدعويين ضرورة لازمة .

٦ - اتحاد وجهة الوسائل :

قد تتعدد الوسائل في مكان واحد، وفي أماكن عدة، وقد يحدث بينها تنافس على السبق، يؤدي إلى الاختلاف والتعارض، ... وهذا أمر لا يجوز مع وسائل الدعوة، لأن اتحاد الوسائل في الهدف يحتم توحيدها في الحركة، والعمل، ... ولا يصح أن تتعارض وسائل الدعوة حتى لا يفسد عملها، وتفقد فوائدها ... وهذا أمر يحتاج من الدولة المسلمة أن تضبط أجهزتها لتسير في خط دعوي واحد، فلا يصح التناقض بين الدعوة والثقافة، ولا يجوز الاختلاف بين الشعارات المرفوعة، وتعاليم الإسلام الثابتة .

إن التناقض الذي يحدث كثيرا بين وسائل الإعلام، وصوت الدعاة يوقع الناس في بلبلة وقلق، وهذا جعل بعض المفكرين يتصور صراعا بين رسالة وزارة الإعلام وبين رسالة الأوقاف والأزهر، وهذا لا يصح في دولة مسلمة .

الفصل الخامس

الأسلوب

في نظرية الدعوة

الأسلوب

الأسلوب هو الكلام البياني المشتمل على الفكرة أثناء نقلها من طرف إلى طرف بإحدى الوسائل التي يتم بها التواصل الاجتماعي .

والأسلوب يختلف عن الوسيلة فمع أنهما يشتركان معا في عملية التواصل إلا أن الوسيلة هي الأداة التي تستخدم لنقل الكلمات النصية والمضامين المعنوية، فالخطبة مثلا وسيلة ذات هيكل ثابت في أطر محددة، ثابتة كالمقدمة، والموضوع، والخاتمة، والكلمات الدالة على الموضوع هي الأسلوب .

ومثل الخطبة المحاضرة ، والصحيفة، والمذيع ، فالوسيلة آلة ناقلة ، والأسلوب هو صيغ المعاني المقصودة في عملية الاتصال سواء كان قولاً منطوقاً، أو كلاماً مطبوعاً، أو صورة بارزة، أو حالة معبرة ...

ومثال ذلك - أيضا - القصة ، فهي وسيلة حين ننظر إليها من ناحية هيكلها الفني العام، وعناصرها المكونة لها، وفنية التأثير بكل عنصر فيها، وتقديمها للدعاة وسيلة لصياغة موضوعاتهم خلالها في صيغ بيانية .

إن الأسلوب هو اللفظ ذو المعنى وما يماثله، والوسيلة هي الشكل الفني المستخدم لحمل الأساليب والألفاظ .

وهذا الفرق الدقيق بين الوسيلة والأسلوب يحتاج لمعرفة واضحة حتى لا يلتبس الأمر على من يقرأ في علوم الدعوة .

وفي هذا الفصل سنتناول بإذن الله تعالى - الحديث عن الأسلوب، الركن

الرابع في نظرية الدعوة، وذلك في المباحث التالية : -

المبحث الأول

تنوع أساليب الدعوة

أساليب الدعوة ليست صورة جامدة، ولكنها نماذج فنية عديدة تراعي أفهام المدعويين ، وموضوع الدعوة، وخاصة الوسيلة الحاملة لها .

يوضح الواقع الديني هذا التنوع في الأساليب حيث نرى أن رسل الله تعالى قدموا أساليب عديدة وهم يدعون أقوامهم إلى الحق ودين الله تعالى .

لقد دعوا أقوامهم بالكلمات الموجزة، وبينوا لهم فوائد الاتباع من خلال صور بيانية عديدة مثل ضرب الأمثال، وحكاية القصة، وإيراد الجدل .

والدعاة إلى الله تعالى يقدمون الإسلام للناس من خلال كلماتهم، وعليهم أن يختاروا لكلامهم الألفاظ الفصيحة، والبيان الواضح، والإبداع الفني الجميل، وهذا أمر يحتم على الدعاة التعلم قبل الدعوة، والتخصيص في التعليم مع الشمول والإحاطة، وتراث العرب مدرسة وافية، والقرآن الكريم والسنة النبوية خير معلم للدعاة .

إن القرآن الكريم هو دستور الإسلام ، وهو كتاب الدعوة، ومن خلاله يرى الدعاة تنوع الأساليب بمنهجيتها في التأثير .

فقد عرض القرآن الكريم الكلمة المفردة في فصاحتها، وبلاغتها، ووضوحها، وأورد الجمل والكلمات في صور فنية عدية كالقصة، والقسم، والمثل، والمجاز، والحقيقة، وترك في كل هذه الفنون تراثا عريضا للدعاة .

وقد بين المفسرون والمحدثون بلاغة القرآن الكريم والسنة النبوية في صور تحليلية لتكون ركيزة للدعاة إلى الله تعالى يتأسون بها .

إن كثيرا من الدراسات التفسيرية والحديثية تتضمن بيانا للأسلوب وما فيه من فصاحة، وبلاغة، وبيان .

تحدث العلماء عن القصة الحديثة، ورأوا قيامها على عدد من العناصر كالحوادث التي يدور حولها الحوار، والأشخاص الذين يقومون بالحركة والنقاش، والمكان الذي تدور فيه الأحداث ، والزمان الذي يحتوي هذه الأحداث، ورأوا وهم يؤلفون قصصهم ضرورة وجود عقدة في القصة تمثل مركز الحوار، وأساس النقاش من أجل حلها في نهاية القصة .

والقصة القرآنية تملك هذه العناصر الفنية ، فالمكان، والزمان، والأشخاص، والحوادث، والحوار كل ذلك واضح فيها إلا أنها لكونها هادفة تركز مرة على أحد هذه العناصر ، ومرة أخرى على غيره، لأنها تراعي الهدف الذي تدعو إليه .

فمثلا يبرز المكان في بعض القصص بالذات توضيحا لغرض مقصود من القصة ، ففي قصة يوسف عليه السلام نعلم أن الأحداث تدور في مصر ، حيث ينتقل يوسف عليه السلام من الجب إلى بيت العزيز، ويخرج من البيت ليدخل السجن، وبعد مدة يترك السجن ليستقر أخيرا في حظيرة الملك، وقد أفاد إبراز المكان في هذه القصة مدى عفة يوسف عليه السلام ، وعصمته فرغم أنه نشأ وترى في بيت الملك والجاه إلا أن ذلك لم يغير من طهارته ، وهذا يجعله يستحق في النهاية أن يكون على خزائن ملك مصر بغناها وشهرتها، وأن يكون رسولا مطاعا من الناس .

وأيضا فإن الهدد ساعة أن غاب عن سليمان عليه السلام يبين له أنه ذهب إلى مكان بعيد، وأنه رأى ملكا وعرشا لامرأة كافرة ، فقال لسليمان عليه السلام ما حكاه الله تعالى عنه في قوله عَلَيْكَ : ﴿ وَجِئْتُكَ مِنْ سَبَإٍ بِنْتًا يَاقِينٍ ۝٣١ إِنِّي وَجَدْتُ أَمْرَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ ۝٣٢ ﴾ (١)، فذكر الهدد

(١) سورة النمل الآيتين : ٢٢ ، ٢٣ .

المكان توضيحا لبعده ، وتهدئة لثائرة سليمان عليه السلام .

وفي قصة الإسراء يبرز المكان إظهارا لشرف الحدث ، وسموه، يقول الله تعالى : ﴿ سُبْحَنَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَا الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ عَائِنَتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ۝ ﴾ (١) .

وعن الزمان كعنصر من عناصر القصة نرى القرآن الكريم يركز عليه في مواضع تفيد العبرة منه، ففي قصة سيدنا نوح عليه السلام يبين ذكر الزمن إخلاص الرسول ﷺ في الدعوة ، ومدى تحمله وصبره، يقول ﷺ على لسان نوح عليه السلام : ﴿ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا ۝ ﴾ (٢)، ويقول ﷺ : ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا فَأَخَذَهُمُ الطُّوفَانُ وَهُمْ ظَالِمُونَ ۝ ﴾ (٣) فتراه ﷺ بهذه الإشارة إلى الزمن يوضح أنه دعا قومه طوال الوقت في الليل وفي النهار، وأنه مكث فيهم زمنا طويلا بلا توان أو كسل .

وفي قصة أصحاب الكهف أيد الله تعالى الفتيّة بقوته، ورحمته، وأحاطهم بالعناية وهم في الكهف الذين آووا إليه ، وحتى يتضح هذا التأييد وتلك الإحاطة جاء ذكر الزمن الطويل الذي مكثوه فيه ، يقول الله تعالى : ﴿ وَلَبِثُوا فِي كَهْفِهِمْ ثَلَاثَ مِائَةٍ سِنِينَ وَازْدَادُوا تِسْعًا ۝ ﴾ (٤)

وعنصر الأشخاص في القصة موجود في جميعها سواء كان الشخص من الأنبياء أو من غيرهم ، بل إن شخصيات القصة أحيانا تكون هدهدا ، أو نملة ،....

(١) سورة الإسراء الآية : ١ .

(٢) سورة نوح الآية : ٥ .

(٣) سورة العنكبوت الآية : ١٤ .

(٤) سورة الكهف الآية : ٢٥ .

كما أن شخصية المرأة ظهرت في القصص القرآني ، كامرأة عمران ، ومريم ، وامرأة نوح ، وامرأة لوط ، وامرأة فرعون ، ... إلا ان الاهتمام حول المرأة ليس لبيان الجمال ، أو إثارة الجنس ، إنما هو لتقرير مبدأ أو لتحقيق عظة وعبرة ، ... وحينما نتحدث القصة القرآنية عن الجنس تعرضها في صورة طاهرة عفيفة ، تنشر الإيمان وتحارب الفجور ، انظر قوله تعالى : ﴿ وَرَوَدَتْهُ الْمَرْءُ بِمَتْنِهَا عَنْ نَفْسِهِ وَغَلَّقَتِ الْأَبْوَابَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ ﴾ (١)

ففي الآية نجد المرأة قد تهيات ، وراودت ، إلا أن هذا الحال تصاحبه الاستعاذة بالله تعالى ، وتذكر حقه في الطاعة ، وعدم فلاح المعتدين .
ويلاحظ أن الحوار الدائر بين الأشخاص في القصة القرآنية لا يقف عند الظاهر ، بل يتعداه إلى حركات الذهن ، وفكر النفس ، وما يجول في الخاطر ومن أساليب الدعوة في القرآن الكريم القسم ، وفيه يقسم الله تعالى بما شاء من خلقه ، ليثبت حقيقة دعوية من خلال هذا الأسلوب ، ففي قوله تعالى : ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾ (٢) ، يقسم الله بالرب مضافا إلى ضمير النبي ﷺ تعظيما للمقسم به وتقديسا له سبحانه وتعالى فهو المربي ، والمعين ، والمستحق لكل تعظيم ، وهذا الغرض لا يجوز إلا إذا كان المقسم به هو الله تعالى .

وفي قوله تعالى : ﴿ يَس ۝ وَالْقُرْآنِ الْحَكِيمِ ۝ إِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴾ (٣) ،

(١) سورة يوسف الآية : ٢٣ .

(٢) سورة النساء الآية : ٦٥ .

(٣) سورة يس الآيات من ١ : ٣ .

يبين الله تعالى أهمية القرآن الكريم، واتصافه بالحكمة، مع تكونه من حروف هجائية، وذلك لأن القرآن الكريم بوصفه الكتاب المنزل المعجز المتحدى به، المشتتل على ما اشتمل عليه من تربية ، وتعلية ، وإسعاد يستحق أن يهتم به وبشأنه، فكان القسم به لبيان أهميته، وحتى يزيد الاهتمام به أكثر وصفه بالحكمة .

وفي قوله تعالى: ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰ ۖ وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّىٰ ۖ﴾ (١)، مثال لسائر الصور التي التي يكون المقسم به فيها أمرا كونيا ، فإنها تدل على هدفها برمز بين واضح ، فظهور الشمس رمز على وضوح الهدى، وغشيان الليل رمز على ظلمة الكفر والضلال، ولعل هذه الرمزية تتضح أكثر من جمع القرآن الكريم بين الشئيين المتقابلين حين يقسم بهما معا، كقوله تعالى : ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا أَدْبَرَ ۖ وَالصُّبْحِ إِذَا أَصْفَرَ ۖ﴾ (٢) ، وقوله تعالى : ﴿وَالضُّحَىٰ ۖ وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَىٰ ۖ﴾ (٣) ، فإن هذا الجمع يدل على أن السنة جارية على أن الظلام مهما طال فلا بد أن يعقبه نور وضياء .

وفي قوله تعالى: ﴿وَالزَّيْتُونِ ۖ وَطُورِ سِينِينَ ۖ وَهَٰذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ ۖ﴾ (٤)، إشارة إلى مواطن النبوات، وأماكن ظهورها .

يقول الشيخ / محمد عبده : " أقسم الله تعالى بالتين للتذكير بأمر نوح عليه السلام ، وما أهلك الله تعالى به أهل الفجور، والفساد، وانجى الله تعالى المؤمنين الصالحين، وأقسم بالزيتون تعبيرا عن زمن تعمير الأرض بعد نوح

(١) سورة الليل الآيتين : ١ ، ٢

(٢) سورة المدثر الآيتين : ٣٣ ، ٣٤ .

(٣) سورة الضحى الآيتين : ١ ، ٢ .

(٤) سورة التين الآيات من ١ : ٣ .

ﷺ ، وطور سينا إشارة إلى عهد الشريعة الموسوية، وأقسم بالبلد الأمين تنويها بقدر مكة خاصة بعد ظهور النور المحمدي (١) .

وهكذا أقسم الله تعالى بهذه الأشياء أيضا لآثارها الهامة .

وفي قوله تعالى: ﴿ فَلَا أُقْسِمُ بِمَوْقِعِ الْجُودِ ۝ وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لِّوَعْلَمُونَ عَظِيمٌ ۝ إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ ۝ ﴾ (٢)، قسم يفيد تعظيم المقسم عليه وهو القرآن الكريم (٣)
وفي قوله تعالى : ﴿ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبْعَثَنَ ۝ ﴾ (٤)، بيان لثبوت البعث، فقد تعرض كثيرا للإنكار والشك، فأكد الله تعالى ثباته بالقسم عليه، وأقسم بالرب مضاف إلى ضمير النبي ﷺ على أن البعث حقيقة ثابتة مؤكدة .
وفي قوله تعالى : ﴿ وَاللَّيْلُ إِذَا يَغْشَىٰ ۝ وَالنَّهَارُ إِذَا تَجَلَّىٰ ۝ وَمَا خَلَقَ الذَّكَرَ وَالْأُنثَىٰ ۝ إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّىٰ ۝ ﴾ (٥)، بيان أن الله تعالى عالم بالغيب، وبيده الأمر كله .

(١) تفسير جزء عم للشيخ محمد عبده، ص ٩٠، ٩١ . بتصرف .

(٢) سورة الواقعة الآيات من ٧٥ : ٧٧ .

(٣) يقول الرازي: عن تفسيرة لكلمة (لا أقسم) في سورة القيامة أن " لا " لنفي القسم، فكأن الله تعالى يقول لا أقسم بهذه الأشياء مع عظمها على إثبات المطلوب، فإن المطلوب أعظم وأجل من أن يقسم عليه، ويكون الغرض هو تعظيم المقسم عليه وتفضيم شأنه وإثبات أنه أحرى وأقوى من أن يحاول إثباته بمثل هذا القسم .

وقد يدل النفي في " لا أقسم " على توكيد القسم لا نفيه ، كما تقول لصاحبك موصيا إياه مؤكدا عليه الوصية تقول : " لا أوصيك بفلان " ، وأنت تريد توكيد الوصية .

وسواء أفادت الصيغة النفي أو التأكيد فإنها تعظم القرآن الكريم، وتقدره. (تفسير

الرازي ج ٣٠ ص ٢١٥ دار الفكر) .

(٤) سورة التغابن الآية : ٧ .

(٥) سورة الليل الآيات من ١ : ٤

فإن نتاج السعي وعاقبته لا يعلمها إلا الله تعالى، فأقسم الله عليها بالليل والنهار، والذكر والأنثى، فقد خلقهما الله تعالى وهو العليم بهما وعلى الإنسان أن يسلم بذلك كرويته الليل والنهار، والذكر والأنثى .

ونرى في المثل أسلوباً آخر للدعوة، حيث يعرض القرآن الكريم القيم الدعوية، والأهداف المرجوة في أمثلة ظاهرة في الأفراد والجماعات حدثت في الواقع الحياتي للإقناع بها، وبيان إمكان تكرارها لتجلية معنى دعوي مقصود.

ومن أمثلة القرآن الكريم ما ذكره الله تعالى عن أصحاب الجنتين، فقد جعل الله تعالى لأحدهما جنتين من أعناب محفوفتين بالنخل، وبينهما زروع، ونبات، وأنهار، فاغتر هذا الرجل، وقال : ﴿ مَا أَظُنُّ أَنْ تَبِيدَ هَذِهِ أَبَدًا ﴾ (١)، وأعلن كفره صراحة بقوله : ﴿ وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِنْ رُدِدْتُ إِلَىٰ رَبِّي لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِنْهَا مُنْقَلَبًا ﴾ (٢)، ولم يرض صاحبه بغروره، فأخذ يشرح له أدلة الألوهية في خلقه، ويستنكر كفره، وبعده عن الإيمان، ويقول له : ﴿ أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ تُظْفَرُ ثُمَّ سَوَّاهُ رَجُلًا ﴾ (٣) لَكِنَّا هُوَ اللَّهُ رَبِّي وَلَا أُشْرِكُ بِرَبِّي أَحَدًا ﴿ (٤) وَلَا إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَاءَ اللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ إِنْ تَرَىٰ أَنَا أَقَلَّ مِنْكَ مَالًا وَوَلَدًا ﴾ (٥) .

ويستمر المثل في بيان حوار الرجلين إلى أن بين نتيجة الكفر، وانتقام الله تعالى، وكانت كما يقول الله ﷻ : ﴿ وَلُحِيطَ بِشَمْرِهِ فَاصْبَحَ يَقْلِبُ كَفِّهِ عَلَىٰ مَا أَنْفَقَ فِيهَا وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَيَقُولُ يَلَيْتَنِي لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّي أَحَدًا ﴾ (٦) .

(١) سورة الكهف الآية : ٣٥ .

(٢) سورة الكهف الآية : ٣٦ .

(٣) سورة الكهف الآيات من ٣٧ : ٣٩ .

(٤) سورة الكهف الآية : ٤٢ .

ومن أمثلة القرآن الكريم إثبات نبوة عيسى عليه السلام وذلك في قوله ﷻ: ﴿إِن مِّثْلَ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ كَمِثْلِ آدَمَ خُلِقَ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ (١).

يقول ابن كثير : " يذكر الله جلالة أن مثل عيسى عليه السلام في قدرة الله حيث خلقه من غير أب كمثل آدم عليه السلام حيث خلقه من غير أب ولا أم، بل خلقه من تراب ، ثم قال له : كن فكان ، فالذي خلق آدم عليه السلام من غير أب ولا أم قادر على أن يخلق عيسى عليه السلام بطريق الأولى، لأن له أما ، ومعلوم بالاتفاق أن دعواهم في ألوهية عيسى عليه السلام أشد بطلانا وأظهر فسادا عند ذوي الألباب (٢) .

إن إفحام النصارى في قولهم بألوهية المسيح عليه السلام يثبت الرسالة المحمدية، لأن القوم لو اعترفوا ببشرية عيسى عليه السلام وهو رسول لسلموا بإثبات الرسالة للبشر، وتوقعوها في أي شخص معه المعجزة الدالة على صدق رسالته، وقد جاءهم محمد ﷺ بمعجزات عديدة على رأسها القرآن الكريم .

ولذا كان العلماء يثبتون رسالة محمد ﷺ مع النصارى بالتدليل أولاً على أن المسيح بشر وليس إلها قط .

يقول الرازي: " اتفق لي حيث كنت بخوارزم أن أخبرت أنه جاء نصراني يدعي التحقيق والتعمق في مذهبهم ، فذهبت إليه وشرعنا في الحديث . فقال لي : ما الدليل على نبوة محمد ؟ ...

فقلت له : أظهر الخوارق على يديه كظهورها على يدي موسى وعيسى - عليهما السلام - ، لأن الاستواء في الدليل يقتضي الاستواء في المدلول . فقال النصراني : إن عيسى ما كان نبيا إنه كان إلها .

(١) سورة آل عمران الآية : ٥٩ .

(٢) تفسير ابن كثير ج ٢ ص ٢٣١ ، هامش فتح البيان .

فقلت له : الكلام في النبوة لابد وأن يكون مسبقا بمعرفة الإله الذي يرسل النبي، ... فمن هو النبي الذي عرفكم بألوهية عيسى عليه السلام ؟ ... وأخذ الرازي يبين للنصراني بطلان قوله في ألوهية عيسى عليه السلام ، ويثبت بشريته، لأن إثبات بشرية عيسى عليه السلام مقدمة لإثبات نبوة محمد ﷺ، وقال له: الإله عبارة عن موجد واجب الوجود لذاته، ويجب أن لا يكون جسما ، ولا متحيزا، ولا عرضا، ...

وعيسى عليه السلام عبارة عن هذا الشخص البشري الجسماني الذي وجد بعد أن كان معدوما، وقتل بعد أن كان حيا، وكان طفلا على قولكم، ثم صار متزجرا، ثم صار شابا، وكان يأكل ويشرب، ويتكلم، وينام، ويستيقظ، ... ومن البدهي أن الحادث لا يكون قديما، والفقير لا يكون غنيا ، والمتغير لا يكون دائما، وعلى هذا فإن عيسى عليه السلام لا يكون إلها (١).

والقرآن الكريم مليء بالأساليب الدعوية العديدة مثل أساليب المثل، والقصص، والبيان، والحوار... ، وهي دروس بليغة للدعاة .

وعلى الدعاة أن يتجهوا إلى المدعوين بأساليب متعددة مناسبة لهم مع ارتباط الأسلوب بموضوع واقعي واضح لإثبات الموضوع، ومن المهم أن يستفيد الدعاة بمنهجية القرآن الكريم ، فقد فصل أركان الدين، وأحاط كل ركن ببراهينه الثابتة في صور عديدة على ألسنة الرسل، وبواسطة خاتم الأنبياء ﷺ .

(١) مفاتيح الغيب ج٨ ص ٨١، ١٢٠ .

المبحث الثاني

الدقة في البيان والتوضيح

تحتاج أساليب الدعوة بصورة مطلقة إلى دقة في التعبير، ووضوح في الدلالة للوصول للمعنى المقصود سواء كان الأسلوب ملفوظاً أو غير ملفوظ كدلالة الإشارة، ومفهوم المطابقة والمخالفة، ولزام القول .

وهذه الدقة شرط في الأسلوب ليتضح المراد منه على الوجه الصحيح .
والاهتمام بدقة الأسلوب يعني الاهتمام بإظهار المعنى المراد، لأن الأساليب قوالب للمعاني، والمعنى المقصود في أساليب الدعوة هو بيان الإسلام الذي أنزله الله تعالى للناس بكماله وتمامه، ولذلك وجب حسن الأسلوب ليظهر البيت جميلاً في مظهره ومخبره .

كان العرب قبل الإسلام ينطقون كلامهم بسليقتهم بلا دراسة لقواعده ، أو تنظيم لمبانيه وصوره، فلما نزل الإسلام بلغتهم أدركوا معناه، ووقفوا على مقاصده، واستمروا على ذلك حتى توسعت الدولة الإسلامية، وضمت العديد من الأمم من غير العرب، ... وهنا اهتم العلماء المسلمون بوضع قواعد لكلام العرب ليتقن الأعاجم لغة الإسلام ، ويعلموا أحكامه ، ودقائقه .

وحتى لا يتأثر المسلمون بالعجمة التي بدأت تظهر في الكلام بعد انتشار الإسلام في العالم كله تم وضع علوم عديدة لضبط بنية الكلمة ، وإعراب أواخرها ، وصلة الكلمة بما يجاورها ، والمحافظة على معنى المفرد، ودلالة الجملة، وتوضيح دور المفرد في الجملة، ودور الجملة مع ما يجاورها لتوضيح المعنى، وبسر الدلالة، وجمال الأسلوب، والوصول في النهاية إلى المعنى الكلي المراد من الكلام كله، وإظهار الإسلام على وجهه الذي نزل به من عند الله تعالى على قدر الطاقة البشرية .

وقد بارك الله تعالى في جهود العلماء المسلمين فتحوّلت هذه العلوم إلى منارات علمية رائدة ساهمت في وضع علوم عديدة لخدمة الإسلام ، والمحافظة على نقاء مصادره ، ووضوح مقاصده، ومنها علوم التفسير ، والحديث، والكلام، والمنطق، والنحو والبلاغة .

وقد رسخت هذه العلوم في الأمة كلها ، وتأسس الأزهر الشريف لمدارسة هذه العلوم ، والمحافظة عليها، ونشرها في العالم كله ، وقد أتقنها غير العرب، وساهموا مساهمات واسعة في التأليف، والتعريف بما في الإسلام من حسن وجمال .

إن اهتمام الدعاة بالتركيب اللفظية ، والمباني اللغوية ضرورة في الدعوة، لأنه لا معنى لكلام غير مفهوم ، ولا قيمة لثروة كلامية لا معنى لها ، ولذلك سمى الله تعالى رسالة الرسول بالبينّة لما فيها من بيان ووضوح ، وجعل الله تعالى رسوله ﷺ هو البينّة لما في حديثه من ظهور .

يقول الله تعالى : ﴿ لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ مُنْفَكِّينَ حَتَّى تَأْتِيَهُمُ الْبَيِّنَةُ ۚ رَسُولٌ مِّنَ اللَّهِ يَتْلُو صُحُفًا مُّطَهَّرَةً ۚ ﴾ (١) ، فقد بينت الآية أن رسول الله ﷺ هو البينّة .

ووصف الله تعالى البلاغ المكلف به الرسول ﷺ بالمبين لما في دعوته وبلاغته من وضوح، يقول الله تعالى : ﴿ وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا أَلْبَانُ الْمُؤْمِنِينَ ۚ ﴾ (٢) . وكان النبي ﷺ يقول كما علمه الله تعالى : ﴿ قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعِيَ ۖ وَسُبْحَنَ اللَّهُ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ (٣) .

(١) سورة البينة الآيتين ١ ، ٢ .

(٢) سورة النور الآية : ٥٤ .

(٣) سورة يوسف الآية : ١٠٨ .

يقول الرازي عند تفسيره لهذه الآية : " وهذا يدل على أن الدعوة إلى الله تعالى إنما تحسن وتجوز مع هذا الشرط، وهو أن تكون على بصيرة ووضوح، ... وعلى هدى ويقين، فإن لم تكن كذلك فهو محض الغرور (١) .

وهذه البصيرة أسلوب بياني ، وكونها شرطاً لدليل على أن حرفة الكلام، وعلم الأصول هي حرفة الأنبياء - عليهم السلام - وأن الله تعالى ما بعثهم إلى الخلق إلا بها، وما كانت حرفة الأنبياء هكذا إلا لأنهم يملكون هذه البصيرة ، ويدعون وهم فاهمون للدعوة والمدعوين .

إن هذه الصفة في أساليب القرآن الكريم تؤكد على ضرورة أن يكون الأسلوب متلائم الكلمات ، متآلف التراكيب ، بحيث تتناسب الجمل وكأنها نغم يلمس أذن المستمع ، ويمده بالشجن والسرور، ويجب أن يكون واضحاً أن الكلمات إذا تتافتت فيما بينها تضر الدعوة، لأنها حينئذ تكون ثقيلة، نابية، خالية من البيان والبرهان .

وقد ذكر ابن الأثير أن من بلاغة الكلام أن تكون كل كلمة مع اختها متعاونة، لئلا يكون الكلام قلقاً، نافراً عن موضعه، وحكم ذلك حكم العقد المنظوم في اقتران كل لؤلؤة منه مع اختها المشاكلة لها .

يقول البلاغيون: إن لكل كلمة مع صاحبها مقام ، وقال غيرهم : لكل حدث حديث، ولكل مقام مقال (٢)، ولكل حق دليل وبرهان .

وقد ناقش علماء اللغة صلة الألفاظ بالمعاني، ورأوا ضرورة أن تكون الألفاظ جميلة أخاذة، وأن تكون المعاني واضحة بينة كعروس في ليلة زفافها وقد جمعت جمال الروح، وحسن الهندام .

(١) مفاتيح الغيب ج ٥ ص ٢٥٥ .

(٢) المثل السائر ص ١٤٩ .

ولنأخذ مثلا من القرآن الكريم نوضح به دور الحرف في الكلمة، ودور الكلمة في الجملة، ودور كل كلمة مع ما يجاورها من كلام، يقول الله تعالى:

﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَيَأْتِيهِمُ الْآخِرُ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ ٨﴾ (١)

ألا ترى ما في اختيار كلمة ﴿النَّاسِ﴾ ، وعمومها مع عدم مجابهة المنافقين بتعيينهم، وفي ذلك ستر عليهم ، وإغراء لهم بالإقلاع عن نفاقهم، ذلك أنهم ما داموا لم يعينوا فمن المتوقع أن يصغوا إلى القرآن ، فلربما انصرفوا عن غيهم إذا استمعوا إلى تصوير حال ضلالهم ، ولو أنه جبههم بكشف الستار عنهم لانصرفوا معرضين .

وكلمة ﴿يَقُولُ﴾ توحى بأن إيمان هؤلاء الناس لم يتعد أفواههم، وأنه لم يستقر في قلوبهم .

وأجرت الآية الإيمان على ألسنتهم بصيغة الماضي زيادة في التمويه ، وعدم تعيينهم في عدم الإيمان .

وخصت الآية الإيمان بالله تعالى وبالיום الآخر، لأن الإيمان بهما يجمع كل أركان الإيمان .

واختارت الآية في الرد عليهم الجملة الإسمية المنفية : ﴿وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ ٨﴾، لتدل به على استقرار هذا النفي وثباته في قلوبهم .

ولابد للأسلوب أن يكون جامعا لعدد من فنون التعبير لينتقل بالسامع من فن إلى فن، طردا للسأم، وتنشيطا للذهن، وما دامت سائر التعابير تدور حول المعنى الواحد فجميعها أسلوب جميل ، ذلك أن الانتقال من الانشاء إلى الخبر ، ومن الاستفهام إلى النفي أو الإثبات مثلا يثبت الأفكار ، ويوقظ المشاعر ويحمل النفس على الاطمئنان إلى المعاني، والثقة في المضمون .

(١) سورة البقرة الآية : ٨ .

ومن قديم وعلماء البلاغة يعرفون علم البيان بأنه " العلم الذي يورد المعنى الواحد المدلول عليه بكلام مطابق لمقتضى الحال بطرق مختلفة توضح المعنى المراد " .

فعلم البيان يدور حول المعنى الواحد ويؤديه بتعابير مختلفة غير مترادفة، ومن المعلوم أن البيان هو قمة البلاغة، وسيد الأسلوب ، وما أجمل الرسالة الدعوية التي تشتمل على التشبيه، أو المجاز، أو الاستعارة، لأن كل ذلك يقرب المعنى، ويؤدي إلى تحقيق المطلوب .

ولابد للأسلوب أن يتنوع بتنوع المقامات، وأن يلاحظ أحوال السامعين ، لأن مقام التهديد غير مقام التحميس، وإظهار الألم غير إظهار الفرح، والحديث إلى العالم يغاير الحديث مع العامي، ودعوة الأمير تختلف اختلافاً كلياً عن دعوة الحقير .

ويضرب الغزالي مثالا بالخليل عليه السلام حينما حاج النمرود الذي قال له : ﴿ أَنَا أَخِي وَأُمِّيْتُ ﴾ ، فقد عدل إبراهيم عليه السلام أسلوبه إلى الأوفق لطبع النمرود، والأقرب إلى فهمه، فقال : ﴿ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾ (١) فلم يركب الخليل ظهر اللجاج في تحقيق عجزه عن إحياء الموتى ، إذ علم أن ذلك لا يلائم قريحة الخصم ، ولا يناسب حده في البصيرة ، ودرجته في الفهم والحوار .

وهكذا نجد الإمام الغزالي يدعو إلى تنوع المقامات ، وتعدد الأساليب ليصل إلى إقناع المستمع ، واستمالته ، ومن المعروف البدهي أن الإمداد بالموافق منتج مفيد، والإمداد بغيره كلا إمداد في الحقيقة .

(١) سورة البقرة الآية : ٢٥٨ .

وقد احتوت كل أساليب الدعوة القرآنية على هذا الوضوح، يقول الله ﷻ:
﴿ فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ بِلِسَانِكَ لِتُبَشِّرَ بِهِ الْمُتَّقِينَ وَتُنذِرَ بِهِ قَوْمًا لَّدُنَّا ﴾ (١) .

والتييسير هو تسهيل القراءة، وتيسير الفهم، والتمكن من الإدراك .

لقد اهتم القرآن الكريم بالأسلوب الذي خاطب به الناس، وأبقاه فيهم
ليأخذوا منه المبنى والمعنى، فهو مصدر الإسلام، ودستور الدعوة، ولذلك
اتخذه المسلمون مصدر هداية ، وتبليغ .

وهياً الله تعالى الأزهر الشريف ليكون مدرسة تحافظ على علوم اللغة،
وعلم القرآن الكريم، وعلوم السنة النبوية المشرفة، وتخرج العلماء في كافة
المعارف الإسلامية .

وعلى الدعاة ان يأخذوا من الوحي المنزل الإسلام، ومن عربية الوحي
طرق الدعوة والبيان .

إن أسلوب القرآن الكريم يشتمل على الدقة التامة، والوضوح الميسر،
والمنهجية في الخطاب .

ومزايا القرآن الكريم عديدة ، حيث نراها في اللفظة المفردة ، وفي
الجملة المركبة ، وفي المعاني المقصودة .

فالكلمة المفردة فصيحة بليغة، تتلائم حروفها في رقة وفصاحة،
وتتماسك في انسجام تام ، وتكامل واضح، وكل من له حس لغوي يرى هذا
الترابط التام بين الحروف في الكلمة الواحدة ، فترى كل حرف يتناغم مع
شركائه في الكلمة الواحدة، وكأن كل حرف وجد ليوضع في هذا الموضع
وحده، لما يصنعه من موسيقى في النفس والحس .

يقول الرافعي: وليس بخفي أن مادة الصوت هي مظهر الانفعال النفسي

(١) سورة مريم الآية : ٩٧ .

وأن هذا الانفعال بطبيعته إنما هو سبب في تنويع الصوت بما يكون عليه، مداً، أو غنة، أو ليناً، أو شدة، وبما يحيطه من الحركات المختلفة في اضطرابه ، وتتابعه على مقادير تناسب ما في النفس من أصولها، ثم هو يجعل الصوت إلى الإيجاز، والاجتماع، والإطناب، والبسط بمقدار ما يكسبه من الارتفاع والاهتزاز والمد ونحوه مما يعد نوعاً من بلاغة الصوت في لغة الموسيقى (١) .

وقد تكون الكلمة ثقيلة في لسان الناس إلا أن أسلوب القرآن الكريم يضعها في موضع يحسنها، ويظهرها جميلة .
ومن أمثلة هذه الكلمات لفظة " النذر " جمع نذير ، وهي كلمة وردت كثيراً في قصص سورة القمر .

يقول الرافعي عنها : " الضمة ثقيلة في لفظة ﴿ يَأْذُرُ ﴾ لتواليها على النون والذال فضلاً عن جساءة هذا الحرف ، وثقله على اللسان ، وخاصة إذا جاء فاصلة للكلام ، ولكنه جاء في القرآن الكريم على العكس، وانتقى من طبيعته انظر قوله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ أَنْذَرَهُمْ بَطْشَتَنَا فَتَمَارَوْا بِالنُّذُرِ ﴾ (٢) ، وتأمل هذا التركيب، وانعم ثم انعم على تأمله ، وتذوق مواقع الحروف، ومواضع القلقة في دال ﴿ وَلَقَدْ ﴾ وفي " طاء " ﴿ بَطْشَتَنَا ﴾، وهذه الفتحات المتتالية في ﴿ فَتَمَارَوْا ﴾ ، مع الفصل بالمد كأنها تثقل لخفة التتابع في الفتحات، إذ هي جرت على اللسان ليكون ثقل الضمة مستحقاً بعد، ولتصيب هذه الضمة موقعها، ثم ردد النظر في ﴿ فَتَمَارَوْا ﴾ فإنها ما جاءت إلا مساندة لراء (النذر) حتى إذا انتهى اللسان من هذه انتهى إليها من مثلها ، فلا تجف ولا تغلظ ،

(١) إعجاز السنة النبوية ج ١ ص ٣١٤ .

(٢) سورة القمر الآية : ٣٦ .

ولا تنبو فيه " (١) .

هذا عن الكلمة الواحدة، فلو جئنا للجمال المركبة فإننا نجد الجملة القرآنية تهتم بالبيان الراقي النابع من لفظ قليل، ونرى كيف توضح الكلمات القليلة المعاني الكثيرة مع المحافظة على جمالها الرنان ، وجرسها الحسن، وهذه الخاصية للتركيب القرآنية مكنة للأسلوب من بيان المعاني التي اتضحت بالقليل من الألفاظ ، ورآها المستمع حية متحركة أمامه ، إذا قرئت قراءة حسنة، وعنها يقول النبي ﷺ : (أُعْطِيَ جَوَامِعَ الْكَلِمِ) (٢) .

اقرأ قوله تعالى قاصدا إجابة موسى ﷺ لفرعون حين قال له: ﴿مَنْ رَبُّكُمْ يَا مُوسَىٰ﴾ (٣) ؟؟ ... ﴿قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَىٰ كُلَّ شَيْءٍ حَلْقَهُ ۖ فَتُرْ هَدَىٰ﴾ (٤) نرى أنه ﷺ ذكر أدلة وجوب وجود الرب المعتمدة على قدرته ، وبين عنايته ﷺ بالإنسان ، حيث خلقه، وهده إلى الخير، وذلك كله في هذه الجملة القصيرة التي يحتاج تفصيلها إلى كتب كثيرة .

يقول الرازي : " الشروع في بيان عجائب حكمة الله تعالى في الخلق والهداية شروع في بحر لا ساحل له (٥) .

واقرأ قوله تعالى قاصدا مقالة الهدهد لسليمان ﷺ : ﴿وَجِئْتُكَ مِنْ سَبَإٍ بِنَبَإٍ يَقِينٍ﴾ (٦) .

(١) إعجاز القرآن ص ٢٥٨ .

(٢) صحيح مسلم - كتاب المساجد ومواضع الصلاة، حديث : ٨٤٣ .

(٣) سورة طه الآية : ٤٩ .

(٤) سورة طه الآية : ٥٠ .

(٥) مفاتيح الغيب ج ٦ ص ٦٠ .

(٦) سورة النمل الآية : ٢٢ .

فقد بين الهدهد بهذه الكلمات الأربع أن غيبته كانت لغاية كبرى تفيد سليمان عليه السلام ، وتهمه، فقد أتى الهدهد بها من مكان بعيد ناء، وإن هذه الغاية تحمل أخبارا لم تعرف من قبل، ولم تكن محتملة ، وهي أخبار صادقة لا تحتل الكذب أبدا، وهي هامة لسليمان عليه السلام ، وضرورة لنشر دعوته، وقد وضعت هذه المعاني الكثيرة في كلمات أربع فيها الجمال والحسن، اللذان يبدوان من الادغام والغنة وتنوع شكل الحروف، وهكذا سائر التراكيب القرآنية **يقول الباقلاني** : ما رأيك في قوله تعالى : ﴿ إِنْ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلْ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضِعُّ طَائِفَةً مِنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ ٤١ ﴾ (١) ، فإن هذه الآيات تشتمل على ست كلمات سناؤها، وضياؤها على ما ترى، وسلاستها وماؤها على ما تشاهد ، إنها تشتمل على إجمال وتفصيل، وتفسير حيث ذكر العلو في الأرض، وفسره باستضعاف الخلق بذبح الولدان، وسبي النساء، وإذا تحكم في هذين الأمرين فما ظنك بما دونهما، ثم ذكر الفاصلة التي ردت آخر الكلام إلى أوله بقوله : ﴿ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ ٤١ ﴾ .

ولعل إجابة موسى عليه السلام على فرعون ، وإجابة الهدهد على سليمان عليه السلام ، ووصف موقف فرعون لو حاول بشر أن يصوغها ابتداء لاستوفاهما باضعاف أضعاف كلماتها.

ومن دقة أسلوب القرآن الكريم نقرأ قوله عليه السلام : ﴿ وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا ﴾ (٢) وقوله تعالى : ﴿ وَفَجَّرْنَا الْأَرْضَ عُيُونًا ﴾ (٣) ، فقد أسند الله تعالى الفعل في

(١) سورة مريم الآية : ٤ .

(٢) سورة القمر الآية : ١٢ .

(٣) سورة القصص الآية : ٤ .

الآيتين إلى ما هو سبب الفعل وليس للفعل نفسه، ليبين ما جاء به السياق ... يتضح هذا حين نسند الفعل إلى الفاعل، ونقول: (اشتعل شيب الرأس)، و(فجرنا عيون الأرض) حيث يسقط المعنى المقصود، لأن أسلوب القرآن الكريم يفيد أن الرأس كله امتلاً شيباً، والأرض كلها كانت عيوناً، وغيره لا يفيد ذلك كما هو واضح .

ومن دقة الأسلوب القرآني ما نراه في قوله تعالى : ﴿ وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَوةٌ ﴾ (١) ، فقد سواها البعض بقول العرب : (القتل أنفى للقتل) ، مع أن الفرق بينهما كبير، فقد بدأت الآية بالواو لربط عظمة القصاص بصورة الموجودة في الآية السابقة، وبدأت بـ(لكم) لبيان موطن منفعة القصاص ، وأنه راجع إلى المؤمنين على وجه الخصوص، وتسمية العقوبة بالقصاص يشير إلى قيام العقوبة على العدل، والمساواة، واستيفاء الشروط، وفي ربط القصاص بالحياة بيان لدور القصاص في تحقيق الأمن والاستقرار، وفي تكرير الحياة بيان لتنوع الحياة بالعدل، وفي تأخير الخبر إشارة إلى المقاصد العظمى للقصاص، ونجد في كلام العرب تكرار كلمة (القتل) مع ما في القتل من دم تتعدد صورته وأشكاله، وبهذا تظهر دقة أسلوب القرآن الكريم في احتوائه على معان رائعة مقصودة، لا وجود لها في قول العرب .

وكلمات الجمل القرآنية متفقة، ومؤتلفة، ومتعاونة في أداء المعنى وكأن كل كلمة لفظاً (٢) لجارتها لفظاً ومعنى .

اقرأ قوله تعالى في قصة نوح عليه السلام : ﴿ وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكِ وَيَسْمَاءُ أَقْلَعِي وَغِيضَ الْمَاءِ وَفُضِيَ الْأَمْرُ وَأُسْتُوتَ عَلَى الْجُودِيِّ وَقِيلَ بُعْدًا

(١) سورة البقر الآية : ١٧٩ .

(٢) اللفق شق الملاءة ، أي إن كل كلمة جزء من الكلمة المجاورة ، تكملها، وترتبط بها .

لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٤٤﴾ (١) فإن كلماتها مترابطة ومؤدية لكثير من المعاني.

يقول عبد القاهر معلقا على هذه الآية: "إنك لم تجد ما وجدت من المزية الظاهرة ، والفضيلة القاهرة إلا لأمر يرجع إلى ارتباط هذه الكلم بعضها ببعض، وإن لم يعرض لها الحسن والشرف إلا من حيث تلاقت الأولى بالثانية، والثانية بالثالثة، وهكذا إلى أن تستقر بها كلها، ثم يقول: إن شككت فتأمل هل ترى لفظة منها بحيث لو أخذت من بين أخواتها، وأفردت لأدت من الفصاحة ما تؤديه وهي في مكانها من الآية قل: "ابلعي" واعتبرها وحدها من غير أن تنتظر إلى ما قبلها ولا إلى ما بعدها ، وكذلك فاعتبر سائر ما يليه ، وكيف بالشك في ذلك ، ومعلوم أن مبدا العظمة في أن نوديت الأرض ثم أمرت، وكذلك السماء، وتمام الأمر والخضوع لأمر الله تعالى .

ثم كان النداء بـ " يا " دون " أي " - وإضافة الماء الى الكاف دون أن يقال " ابلعي الماء " ، ونداء الأرض وأمرها بما هو من شأنها، واتباعه بنداء السماء وأمرها كذلك بما يخصها ، ثم إلى بناء الفعل " غاض " للمجهول للدلالة على أنه لم يغض إلا بأمر أمر ، وقدرة قادر، وتأكيد ذلك وتقديره بقوله "وقضي الأمر" ، وذكر ما هو نتيجة لهذه الأمور جميعا، وهو الاستواء على الجودي، على إضمار السفينة قبل الذكر للتعظيم والتفخيم ، إلى مقابلة " قيل " في الخاتمة بـ " قيل " في الفاتحة (٢)

وهكذا نرى الأسلوب القرآني حيث يقدم الحقائق في براعة معجزة، أخذت بلب البلغاء، ودهشتهم، وجعلت العرب وهم أرباب البلاغة - لفظا، ومعنى، وبيانا، وبديعا- يقفون أمامها وليس لهم إلا التأثير والتسليم .

(١) سورة هود الآية : ٤٤ .

(٢) الإيجاز في شرح دلائل الإعجاز ص ٣٢ .

والجملة القرآنية تراعي عملية التأثير في نفسية المستمعين حسب واقعهم، وطبيعتهم .

ففي المرحلة المكية يوم أن كان المسلمون غير آمنين في حياتهم، ومعاشهم ، والمشركون منصرفين عن القرآن الكريم إلى الماديات المثيرة لوجدانهم ومشاعرهم ، في هذا الوقت كان الأسلوب القرآني يستولي على القلوب بأسلوب مناسب للنفوس القلقة من حيث قصره وإيجازه، وتصويره لموقف آخاذ، أو إيراد حادثة تطمئن المضطرين، وتخوف ظالمهم .

وكان هذا الأسلوب على صورة الأسجاع العربية، لأن ذلك هو الذي كان يثير العربي، ويوقظ مشاعره ، ويشد انتباهه، اقرأ قوله تعالى : ﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ ۖ ﴿٦﴾ إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ ﴿٧﴾ الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ ﴿٨﴾ وَثَمُودَ الَّذِينَ جَاءُوا الصَّخِرَ بِالْوَادِ ﴿٩﴾ وَفِرْعَوْنَ ذِي الْأَوْتَادِ ﴿١٠﴾ الَّذِينَ طَعَنُوا فِي الْبِلَادِ ﴿١١﴾ فَأَكْرَمُوا فِيهَا الْفَسَادَ ﴿١٢﴾ فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ ﴿١٣﴾ إِنَّ رَبَّكَ لَإِلَٰهٌ مُرْصِدٌ ﴿١٤﴾ ۝ (١) .

هذه الكلمات القليلة تعبر عن المعاني الكثيرة بدقة وإيجاز ، فحين نقراً ﴿ أَلَمْ تَرَ ﴾ ندرك أن العلم بهذه الأخبار يقيني كالمشاهدة الحسية تماماً، ومن جملة الآيات نعرف عاداً وموطنها ، وضخامة أشخاصها بصورة لا نظير لها، ونعرف ثمود الذين قطعوا الصخر ليصنعوا بيوتهم بالوادي ، ونعرف فرعون بكثرة جنوده، ونعرف أن هؤلاء جميعاً عاداً، وثموداً، وفرعوناً كانوا طغاة ظالمين ، مكثرين في إفسادهم بالطغيان، والقتل، والظلم ، وكانت عاقبتهم أليمة ، فاستحقوا ما فعل الله تعالى بهم حيث رصد الله ﷻ أعمالهم كلها، وعذبهم بها في الدنيا قبل الآخرة ...

وهكذا اشتملت هذه الآيات القصيرة الكلمات على مجموعة من الأفاصيص

(١) سورة الفجر الآيات من ٦ : ١٤ .

غايته واحدة هو بيان شدة العذاب، ودوامه، إذ الصب يشعر بالدوام ،
والسوط يشعر بزيادة الألم، والإلقاء فوق الرعوس يوضح المهانة والذلة،
وكون الفعل من الرب دليل على شدته وقسوته (١) .

ولعل هذه الموسيقى المؤثرة الواضحة من مقاطع الآيات القصيرة هو
السر في نزول الأسلوب المكي غالبا على هذا النمط .

وانظر إلى سورة القمر وهي تركز على أحداث الأمم ، فقد لزمتم في
جميع آياتها مقطعا واحدا هو حرف الراء ، مع قصر الآيات ، وعمق
المعاني والدلالات ، وقوة التأثير والاعتبارات .

وفي السور المكية : يتحد رنين المقاطع، وتتقارب مخارجها إن اختلفت
كسورة " ق " التي تدور مقاطعها حول الباء، والجيم، والدا، والراء ، والصاد،
والطاء، والظاء، وكلها متقاربة المخرج، ولها صفيير ورنين .

ومن سور هذا النمط سور " ص، والصفات، والشعراء، والأنبياء،
والمؤمنون، والحجر " وكلها ركزت على التأثير الصوتي بالأسلوب ، والتأثير
المعنوي بالحدث المقصود ، والتوجه المباشر نحو الغاية والهدف بالإيجاز .

على أنه يجب أن يبقى معلوما أن من القصص المكي ما ورد على غير
هذا الأسلوب ، كقصص سور " الأعراف، وهود، والأنعام " فأسلوب هذه
السور بعيد عن الرنين الموسيقي ، والتركيز على الحدث الواحد، وإنما جرى
على شكل محاورة فيها كثير من الجوانب التي جاءت لأغراضها المقصودة ،
وهذا النمط قليل الورد في السور المكية .

وبالنسبة للمعاني نستفيد من القرآن الكريم ضرورة تجزئة الموضوع،
ومراعاة حال المدعوين، وذلك واضح في منهج القرآن الكريم، فهو لا يعطي

(١) تفسير النسفي ج ٤ ص ٣٤٥ : ٣٥٥ بتصرف .

أحداثه دفعة واحدة ، بل يتخير حدثا مفيدا للغرض، ويهتم به ، وبذلك يحقق شيئين لابد منهما في الدعوة إلى الله تعالى هما :

- تجزئة الموضوع الواحد .

- وتكرار الحديث عن الحدث الواحد .

وبهذا تتحقق أغراض الأسلوب في سهولة ويسر، لأن التجزئة تيسر الفهم للسامع، والتكرار في حد ذاته له تأثير عجيب في الحفظ، فإن أدركنا أن التكرار القرآني لا يعني الالتزام بصورة واحدة دائما ، وإنما هو في القرآن الكريم جديد في كل مرة، وبزيادة أحداث أخرى مع التركيز على جوانب معينة مع تغير الصنيع ، وتنوع التوجيه، وتعدد الأهداف، ... حين ندرك ذلك - وهو حق - نعلم ما في القرآن الكريم من دقة وإعجاز وبخاصة في التكرار والتجزئة .

وحتى نتبين هذين الشيين في قصص القرآن نقرأ قصة نوح عليه السلام كما جاء بها القرآن الكريم .

فهي في سورة الأعراف تحتل الآيات من (٥٩ : ٦٤) وتركز على ضلال القوم بشكل عام ، وتبين استغراقهم في الكفر، وتشير إلى عاقبة الكفر والاستكبار، وجزاء الإيمان والطاعة .

وهي في سورة هود من آية (٢٥ : ٤٨) ، تركز على بيان الأدلة المثبتة للإيمان بالله تعالى إذ هو مصدر الرحمة ﴿وَأَتَيْنِي رَحْمَةً مِّنْ عِنْدِهِ﴾ ، والأجر والحق عنده ﴿إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ﴾ ، والنصر منه وحده ﴿مَنْ يَصْرِفْهُ مِنِّي اللَّهُ إِن طَرَدْتُهُمْ﴾ وهو العليم بالخفي والظاهر ﴿اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا فِي أَنْفُسِهِمْ﴾ ،

ومشيئته مطلقة في إنزال العقوبة ﴿ إِنَّمَا يَأْتِيكُمْ بِهِ اللَّهُ إِنْ شَاءَ ﴾، والأمر كله بيده، ﴿ إِنْ كَانَ اللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يُغْوِيَكُمْ هُوَ رَبُّكُمْ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ (١) .

ونرى من مناقشات القصة في سورة هود أن نوحا عليه السلام كان يدير الحديث نحو الأدلة، ولم يسترسل معهم في المجادلة الباطلة .

وهي في سورة الأنبياء تحتل آيتي (٧٦ ، ٧٧) وتركز على النعم التي جعلها الله تعالى لنوح عليه السلام بشكل مجمل وموجز .

وفي سورة المؤمنون تأتي القصة في الآيات من (٢٣ : ٢٨) وتركز على نعمة الإنجاء بواسطة السفينة، وهي نعمة تستحق الحمد ﴿ فَإِذَا أَسْتَوَيْتَ أَنْتَ وَمَنْ مَعَكَ عَلَى الْفُلِّ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي نَجَّانَا مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴾ (٢) .

وفي سورة العنكبوت تركز على بيان المدة التي مكثها نوح عليه السلام في قومه ، لأنه عليه السلام مكث فيهم : ﴿ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا ﴾ (٣) .

وفي سورة القمر تركز على تهويل صورة العذاب، وكيف يبدو من قوله ﷻ : ﴿ فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ بِمَاءٍ مُنْهَمِرٍ ۖ وَفَجَّرْنَا الْأَرْضَ عُيُونًا فَالْتَقَى الْمَاءُ عَلَى أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ ﴾ (٤) .

وفي سورة نوح نرى التركيز على أعمال نوح عليه السلام ، ودعوته، وبقائه في قومه، ورأيه فيهم، يقدمها نوح عليه السلام إلى ربه جلالة موجزا عمله خلال مدة بعثته، طالبا من الله تعالى أن ينزل العقاب على الضالين الكافرين، ويذكر له نتيجة خبرته الطويلة معهم، وكأنها في سورة نوح بيان ختامي يقدمه نوح عليه السلام لله رب العالمين .

(١) سورة هود من الآيات من ٢٨ : ٣٤ .

(٢) سورة المؤمنون الآية : ٢٨ .

(٣) سورة العنكبوت الآية : ١٤ .

(٤) سورة القمر الآيتين : ١١ ، ١٢ .

فهذه سبع مرات لقصة نوح عليه السلام ، ولكل مرة أحداثها البارزة الواضحة ،
المركزة على جانب معين لتكون مفيدة في هذه النقطة، وفيها تكرار لمعان
معينة مع إيراد الجديد في كل مرة .

ليأخذ من نزل القرآن لهم من تجزئة القصة درسا لهم، فالعلم بعاقبة
المؤمنين، والكافرين درس من القصة في الأعراف، والأدلة الإيمانية درس
من هود، وضرورة الحمد على النعم درس من سورة المؤمنين ، كما أن بيان
رفعة منزلة النبي صلى الله عليه وسلم عند الله تعالى درس من سورة الأنبياء، والإحاطة بقدرة
الله تعالى في تعريف قوى الطبيعة درس من سورة القمر .

وهكذا جزأ القرآن الكريم أحداث قصصه، وكررها ليوسع الفائدة منها،
ويوجد الدافع إلى شدة التأثير ووضوح الهدف، وقد حقق القرآن الكريم
بالتكرار توضيح المعاني وأبقاها حية في ذاكرة المدعوين، وبخاصة ضعفاء
العقول، والعامة، وحتى تصل القصة إلى سائر المدعوين .
إن هذه الدقة في الأسلوب ومعناه درس بليغ للدعاة ليحافظوا عليه،
ويتخذوه منهجا لعملهم في دعوة الناس، وتوجيه المدعوين .

المبحث الثالث

خصائص أسلوب الدعوة

تحتاج الأساليب إلى إعداد مسبق ، وتنظيم محكم لتؤدي وظيفتها في الدعوة إلى الله تعالى، وتتمكن من مخاطبة جميع المدعوين ، وتوصل لهم المعنى المقصود في حسن وجمال يشمل المبنى والمعنى معا .
ولذلك كان من الأساسيات المنهجية لأساليب الدعوة التركيز على الخصائص التالية : -

- أولاً -

جمال الأسلوب

الأساليب قوالب المعاني، وهي التي تخرج من اللسان، وأول ما يطرق الأذن، فإذا ما تحلت بالجمال والحسن أقبل عليها من يستمع لها، وقد وضع علماء العربية قواعد البلاغة والفصاحة في الكلمة والجملة، والتراكيب الطويلة لتكون منهج الدعاة والعلماء في استخدام الكلام الحسن، والعبارات الجميلة ليصنعوا من أحاديثهم مدخلا إلى الأفهام والأرواح.

لقد تعود الرجل العربي على الولع بجمال الأسلوب فسحر به، وانجذب نحوه، واتخذ من جمال الأسلوب توضيح المعنى.

لقد نزل القرآن الكريم مشتملا على هذا الجمال، فأقبل عليه العرب، وشهدوا له بذلك قبل أن يؤمنوا به،... يقول عمر بن الخطاب رضي الله عنه حين سمعه في بيت أخته قبل أن يكون مسلما: (ما أحسن هذا الكلام وأكرمه) (١)، فلما أعجبه أقبل عليه، وتدبر معانيه، فرضى به، ودخل في الإسلام متأثرا بجمال الأسلوب، وحلاوة المعنى، ودقة الدليل .

(١) فضائل الصحابة لأحمد بن حنبل - إسلام عمر بن الخطاب رضي الله عنه، حديث : ٣٤٩

- ثانياً -

تجسيد المعاني

يشترط في تبليغ الدعوة أن تصل إلى درجة عالية من الوضوح والإقناع، وتحريك عناصر الوعي والنظر عند من تبلغه .

وما سميت الدعوة بالبلاغ إلا للإشارة إلى ضرورة وصولها في البلاغة حدا يحقق لها المراد .

وأوضح طريقة للبلاغ تجسيد المعنى، وإبرازه في هيئة المرئي المحسوس، لأنه بذلك يقدم المعاني مشخصة، متحركة تشد الوجدان، وتحرك النفس، وتحول الفهم إلى حركة مشهودة، وبهذا يتأثر العقل، وتتأمل الجوارح، وينجذب الوجدان .

وأسلوب القرآن الكريم يوجه الدعاة إلى ضرورة التصوير الحركي من خلال المعاني، ليقف المستمع أمام الألفاظ، ويشاهد معانيها تتحرك أمامه .
انظر قوله تعالى : ﴿ هَاجَتْهُ إِحْدَاهُمَا تَمْشِي عَلَى اسْتِحْيَاءٍ قَالَتْ إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا فَلَمَّا جَاءَهُ وَقَصَّ عَلَيْهِ الْقَصَصَ قَالَ لَا تَخَفْ نَجَوْتَ مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ٥٥ ﴾ (١) نراه يصور حركة ابنة مدين، وحديثها، وذهاب موسى عليه السلام معها إلى أبيها.

وانظر قوله تعالى وهو يبين ضياع أعمال الذين كفروا: ﴿ وَقَدِمْنَا إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُورًا ٣٧ ﴾ (٢)، ترى ضياع أعمال الكافرين .
وانظر قوله تعالى في عرض آيات قدرته جلالة : ﴿ وَفِي الْأَرْضِ قِطْعٌ مُتَجَوِّرَةٌ وَجَعَلْنَا مِنْ أَغْنَبٍ وَزَرْعٍ وَنَخِيلٍ صُنُوفًا وَغَيْرِ صُنُوفٍ يُسْقَى بِمَاءٍ وَاحِدٍ وَنُفِضَ

(١) سورة القصص الآية : ٢٥ .

(٢) سورة الفرقان الآية : ٢٣ .

بَعْضَهَا عَلَى بَعْضٍ فِي الْأَكْلِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿١﴾ (١)، ترى آيات القدرة في بعض المخلوقات .

وهكذا يعيش قارئ القرآن الكريم مع معانيه وقد صارت حركة بارزة أمام العقول والأفهام، سلسلة اللفظ، يسيرة المعنى،
وقد سمي العلماء هذا الجمال الحركي بالتصوير الفني لما فيه من بيان يحقق المقصود مع أدلته وبراهينه .

- الثالث -

مخاطبة فطرة الإنسان

إن التوجه لإنسان ما، وفتح حديث معه يحتاج إلى معرفة طبيعته، وثقافته، والوقوف على أهم القضايا التي تشغل باله، وتنتشر في البيئة التي يعيش فيها .

والدعوة الإسلامية عامة ودائمة، وعليها أن تستوعب الناس علما بطبائعهم، وتفهما لاهتماماتهم حتى تتمكن من تحريك داعية النظر والفكر فيمن تتوجه إليه، وعند كل جماعة على حدة ، حتى تستطيع إبلاغ الإسلام إلى الجميع .
ومن هنا ملكت الدعوة أمثل الطرق في تحقيق الاتصال عن طريق الأساليب التي تتضمن الفهم الواعي، والتوضيح التام للقضايا التي تدعو إليها .
ومن دقة الأساليب في الإحاطة بطبائع الناس أنها تبين الخصائص العامة التي تدور مع كل الأمم مهما اختلفت عملا ، أو مكانا ، أو زمانا ، وخاصة ما له علاقة بالدعوة السماوية .

وتعد أساليب القرآن الكريم بيانا للأسلوب الواجب للدعوة لما فيها من روعة، ودقة، وبيان .

(١) سورة الرعد الآية : ٤ .

والأساليب القرآنية تعرفنا طبائع الناس من خلال مناقشتها لهم في الحوارات التي جرت بين الرسل وبين أقوامهم، وتمدنا في الوقت نفسه بالنموذج الأمثل في دعوة كل فريق حسب طباقته الاجتماعية، وطبعه، وخلقه، وكيفية الترقى والاستعلاء بغرائزه .

ومن دقتها كذلك إحاطتها بعقائد البشر حيث نجدها تعرف باليهود واليهودية والمسيحيين والمسيح ، وتشير إلى المجوس والصابئة، وعبد الكواكب، وعبد الأشخاص، والأصنام، والأوثان، وإلى الدهريين الذين لا يؤمنون بإله ... وهي تعرف أصحاب العقائد ، وتناقشهم جميعاً، فقد سهل الله تعالى ذلك بأن جعل في الجزيرة العربية نموذجاً لكل العقائد حتى تكون مجابهة الأساليب شاملة وعامة .

والأساليب وهي تحيط بالناس تأتي مناسبة لهم ، من خلال تنوع خطاباتها، وورودها على صور شتى، على شكل قصة، أو جدل، أو مثل، أو تشبيه ، أو قسم، أو على وجه من وجوه المجاز .

- رابعاً -

ملاحظة التنوع البشري

الناس ليسوا صورة واحدة، فهم أنواع شتى، فمنهم العبقري النابهة، ومنهم الخامل البليد، ومنهم من هو بين هؤلاء وهؤلاء، ومن الضروري ملاحظة الدعاة هذا التنوع وهم يدعون الناس مستقيدين في هذا الجانب بأسلوب القرآن الكريم

إن الأساليب القرآنية قدمت بدقتها وسعة معارفها، وشمول خطاباتها لقضايا الدعوة، وأحوال الناس خطاباً ملائماً لسائر المكلفين استجابة لقوله تعالى: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَدِّ لَهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ (١)

(١) سورة النحل الآية: ١٢٥ .

حيث كانت الحكمة للخاصة من الناس، والموعظة للجمهور والعامة، والمجادلة للمعاندین .

إن الحكمة مشتقة من الأحكام، والاتقان، والعلم، فعن ابن مسعود رضي الله عنه
قال : (قال النبي ﷺ : " لا حسد إلا في اثنتين : رجل آتاه الله مالا فسلط على هلكته في الحق ، ورجل آتاه الله الحكمة فهو يقضي بها ويعلمها) (١)
يقول العيني: الحكمة تدل على علم دقيق محكم ، وتعليمها كمال علمي، والقضاء بها كمال عملي (٢) .

فإذا ما حدث بعد ذلك أن عرفت الحكمة بالإصابة، أو بالعقل، أو بالفهم، أو بالفقه، أو بالنبوة، أو بالقرآن فهي كلها أوصاف متقاربة تشتمل الحكمة عليها ، وتحتويها بكمالها العلمي والعملية، حيث دقة المعنى، ودقة الفهم المؤدي إلى العمل السديد .

إن الحكمة هي اللفظ المتقن الدقيق الواضح الدلالة ، الداعي إلى الحق والصواب، وهي في سائر الأقوال والعلوم تفيد اليقين ودلالاتها على المعنى دلالة قطعية حتى لو كان ثبوت اللفظ ظنيا .

وحيثما يقول الله تعالى : ﴿ ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ ۚ وَجَدِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ۚ ﴾ ، فإن معناها: ادع إلى دين الله تعالى بالحكمة، وهي المقالة المتقنة، الدقيقة، الصحيحة، وهي الدليل الموضح للحق، المزيل للشبهة ، المتجه إلى الفكر العقلي مباشرة في صورة موجزة من غير إثارة الوجدان، وتهيج الانفعال بالقصص والأمثال (٣)

(١) صحيح البخاري - كتاب العلم، باب الاغتباط في العلم والحكمة - حديث : ٧٣

(٢) عمدة القارئ ج ٢ ص ٥٨ بتصرف .

(٣) تفسير أبي السعود ج ٢ ص ٢٠٠ .

والآية تأمر بالموعظة الحسنة في الدعوة لأنها تفيد القرب النفسي بين الداعي والمدعو بما تشمله من إثارة الانفعال ، وإيقاظ الشعور ، مع وضوح أن الداعي يقصد النصح للمدعو ، ويخاف عليه .

جاء في مختار الصحاح : أن الوعظ هو النصح ، والتذكير بالعواقب ، يقال : السعيد من اتعظ بغيره ، والشقي من اتعظ به غيره (١) .

وفي المصباح المنير: أن الوعظ هو الوصية ، والأمر ، والموعظة اسم منها (٢) .

وكل اشتقاق مادة الوعظ في القرآن الكريم تدور حول النصح ، والأمر ، والتذكير ، والزجر .

يقول النسفي عند قوله تعالى : ﴿ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَعِظْهُمْ وَقُلْ لَهُمْ فِي أَنْفُسِهِمْ قَوْلًا بَلِيغًا ﴾ (٣) ، إن المعنى أن اعرض عن قبول الأعذار ، وعظ بالزجر والإنكار ، وبالغ في وعظهم بالتخويف والإنذار (٤) .

وهذا يشير إلى أن الموعظة الحسنة مجموعة من المؤثرات الإنفعالية ، والعبر النافعة ، والخطابات العاطفية ، والتبشير والإنذار ، على وجه لا يخفى على المدعويين أن الداعي يناصرهم ، ويقصد ما ينفعهم ، وهي في كل أشكالها أمارات ظنية ، ودلائل إقناعية بخلاف الحكمة فإنها محكمة قطعية في مقدماتها وإيجازها ونتائجها .

والمجادلة بالحسنى التي جاء الأمر بها في الآية: أدلة كلامية يوردها الداعي ليلزم الخصم بالحق ، ويجعله يؤمن بالمدعي .

(١) مختار الصحاح مادة " وعظ " .

(٢) المصباح المنير مادة " وعظ " .

(٣) سورة النساء الآية : ٦٣ .

(٤) تفسير النسفي ج ١ ص ٢٣٣ .

والجدل هو الحوار والمناقشة ، ذلك أن الداعي قد يصادف معارضا يجادله ، أو سائلا يستفتيه ويحاوره .

وقد اتصفت المجادلة بالحسنى إيعادا لها عن مفهوم المجادلة الاصطلاحية عند علماء البحث والمناظرة، لأنهم يرون أن المجادلة الاصطلاحية تكون لإلزام الخصم ، وليست لإظهار الصواب ، ذلك أن حملة الدعوة يقصدون إظهار الصواب دائما ، ويلتزمون الحق باستمرار، ويعملون على إقناع الخصم بالحسنى .

وقد أمر الله تعالى رسوله ﷺ أن يدعو الناس بالحكمة، والموعظة الحسنة، والمجادلة بالحسنى، لتعم الدعوة سائر الخلائق وإن اختلفوا مكانا، أو زمانا ، أو فكرا، أو طبيعة، والحكمة في حصر الأساليب في هذه الصور البيانية الثلاث أن الخلائق جميعا يمكن حصرهم في طوائف ثلاث كذلك .
فطائفة منهم أصحاب نفوس مشرقة، قوية الاستعداد لإدراك المعاني ، قوية الانجذاب نحو المبادئ العالية، مائلة إلى تحصيل اليقين على اختلاف مراتبه، وهؤلاء يدعون بالحكمة .

والطائفة الثانية عوام نفوسهم كدرة، ضعيفة الاستعداد ، شديدة الإلف بالمحسوسات ، قوية التعلق بالرسوم والعادات، قاصرة عن درجة البرهان، لكن لا عناد عندهم، وهؤلاء يدعون بالموعظة الحسنة .

والطائفة الثالثة : معاندة مجادلة بالباطل، تقصد دحض الحق لما غلب عليها من تقليد الأسلاف ، ورسخ فيها من العقائد الباطلة ، وهؤلاء يدعون بالمجادلة بالحسنى (١)

وتقسيم الناس إلى هذه الطوائف الثلاث يعتمد على تنوع خصائصهم،

(١) تفسير الألوسي ج ١٤ ص ٢٥٤ .

وهو تقسيم موضوعي ، لأن من الناس من يريد التعمق ، ويكره السطحية، ولا يهدأ له بال إلا باليقين الحقيقي ، القائم على الفكر والتدبير، ...
ومنهم من يستهويه موضوع مثير، وفطرة طيبة، يقف أمام اللفظة الجميلة، والمثل النادر، والقصة الشيقة، والتكرار المؤكد ، ويتألم لرؤية منظر بائس، ورؤية مسكين، ...

ومنهم من يهوى الحوار، ويعشقه، وينازع، ويجادل .
وليس معنى هذا التقسيم أن كل طائفة تغاير الأخرى تماما إذ من الناس من يجمع في طبعه أكثر هذه الصفات .
يقول ابن رشد : والناس على ثلاثة أصناف .
صنف ليس هو من أهل التأويل، وهو الخطابيون الذي هم الجمهور الغالب ، وذلك أنه ليس يوجد أحد سليم العقل يعري من هذا الموضوع من التصديق .

وصنف هو من أهل التأويل اليقيني، وهؤلاء هم البرهانيون بالطبع والصناعة (١) .

ومراد ابن رشد بالخطبيين الذين يتأثرون بالموعظة والخطابة، ومراده بالبرهانيين الحكماء الذين يفهمون بالإشارة ، ويرضون بالدليل والبرهان .
وقد ارتضى الرازي في تفسيره هذا التقسيم، وذكر أن البشر بالنسبة لكمال الطبع طرفان وواسطة .

فالطائفة الأولى: التي تتجه إليها الحكمة هي طرف الكمال .
والطائفة الثالثة: المجادلة هي طرف النقصان ، وتتجه إليها المجادلة .
والطائفة الثانية: صاحبة الموعظة هي الواسطة ، وهم الذين ما بلغوا في

الكمال إلى حد الحكماء المحققين، كما لم يبلغوا في النقصان والردالة إلى حد المشاغبين المخاضمين ، بل هم أقوام بقوا على الفطرة الأصيلة ، والسلامة الخلقية ، وهؤلاء يدعون بالموعظة الحسنة .

يقول الرازي : إن معنى قوله تعالى : ﴿ ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَدِّ لَهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾ (١) ادع الأقوياء الكاملين على الدين بالحكمة وهي البراهين القطعية اليقينية ، وعوام الخلق بالموعظة الحسنة وهي الدلائل اليقينية الإقناعية ، والتكلم مع المشاغبين بالجدل على الطريق الأحسن الأكمل (٢) محافظة على روح الإسلام وسماحته .

وينبغي أن يكون معلوماً أن الأساليب القرآنية سواء كانت من الحكمة ، أو من الموعظة، أو من المجادلة معصومة من الهوى، وقطعية الدلالة في لفظها ومعناها، أو في معناها فقط لورودها في القرآن الكريم المتواتر المحكم المحفوظ في الصدور والصحف، الذي يقوم على الحق والصواب، وجميع قضاياه ومسائله صادقة ، ومقطوع بصحتها، يقول الله تعالى مبيناً هذه الخصائص عن كتابه الكريم : ﴿ كَتَبَ أَحْكَمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ۝ (٣) ﴾ .

ويقول ﷺ : ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ۝ (٤) ﴾ .

(١) سورة النحل الآية : ١٢٥ .

(٢) مفاتيح الغيب ج ٥ ص ٥٣٦ ، ٥٣٧ .

(٣) سورة هود الآية : ١ .

(٤) سورة الحجر الآية : ٩ .

- خامساً -

تقديم الإسلام بكماله وتماحه للناس

كما تحيط الأساليب بالناس، وعقائدهم، فإنها تقدم الدعوة واضحة ميسرة ، لأنها توضح أصول الدعوة، وتقدم الإيمان على غيره، لأن من الأصول ما يستتبع غيره بالضرورة كالإيمان بالله تعالى ، والتصديق بالرسول ﷺ ، فإنهما يستتبعان باقي الأصول والفروع .

والأساليب بفهمها للدعوة تحدد الهدف الذي تدعو إليه ، وتتجه إلى غاية معروفة واضحة، وهو فهم دقيق يميز الإسلام عن غيره من الدعوات ، ويجليه بخصائصه التي انفرد بها، ذلك أن الإسلام يتكون من ثلاثة عناصر: الأول: العقيدة المشتمة على أصول الدين، وهي عبارة عن الإيمان بالله تعالى ، وبالرسول ﷺ ، وبالملائكة، بالكتب المنزل، وباليوم الآخر .

الثاني: الشريعة المكونة من فروع الدعوة ، وهي العبادة المحددة بأوقات، ومقادير على وجه الضرورة ، أو غير المحددة وتسري في سائر الأعمال والأقوال .

الثالث : الأخلاق وهي النتاج الضروري للعقيدة والشريعة ، وهي مجموعة من المحاسن النفسية ، وتظهر بآثارها في الأقوال والأعمال .
وهذه الأمور الثلاثة لا انفصام بينها لأن العقيدة أصل يدفع إلى الشريعة، والشريعة تلبية لانفعال القلب بالعقيدة وبعد استقامة العقيدة والشريعة تكون الأخلاق رمزا لهما ، وعلامة على صدقهما عند صاحبهما.

الفصل السادس

الركن الخامس

" المدعوون "

المدعوون هم العالم كله

العالم كله منذ بدء الخلق وإلى يوم القيامة عباد الله تعالى، خلقهم، ورزقهم، ومكنهم من الأرض ، وأرسل لهم رسله - عليهم السلام، يقول الله تعالى: ﴿ وَإِنْ مِنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ ٥٦ ﴾ (١) ، وختم الله تعالى الأديان بالإسلام، وختم الرسل بمحمد ﷺ الذي أرسله الله تعالى للناس كافة .

لقد جاءت الرسالات السابقة خاصة بأقوام معينين ينسب دينهم إليهم أو إلى رسولهم، مثل دين نوح عليه السلام ، أو دين قوم نوح، أو دين الإسرائيليين، أو دين موسى وعيسى فلما جاء محمد ﷺ بالإسلام ختم الرسالات السابقة، وهيمن على ما نزل قبله، يقول الله تعالى عن ذلك : -

- ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ٥٧ ﴾ (٢)
- ﴿ تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا ٥٨ ﴾ (٣)
- ﴿ مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ ٥٩ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ٦٠ ﴾ (٤)
- ﴿ يَأَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ٦١ ﴾ (٥) .

وعن جابر بن عبد الله الأنصاري رضي الله عنه ، قال : (قال رسول الله ﷺ :
"أعطيت خمسا لم يعطهن أحد قبلي، (ومنها) ... كان كل نبي يبعث إلى

(١) سورة فاطر الآية : ٢٤ .

(٢) سورة الأنبياء الآية : ١٠٧ .

(٣) سورة الفرقان الآية : ١ .

(٤) سورة الأحزاب الآية : ٤٠ .

(٥) سورة الأعراف الآية : ١٥٨ .

قومه خاصة ، وبعثت إلى كل أحمر وأسود، (١) .

وبهذه الحقيقة الدينية صار البشر جميعا على اختلاف المكان والزمان أمة واحدة، وعلى دين الله الخاتم الذي جمع أصول كافة الأديان السابقة .

وسار النبي ﷺ في الحركة بالإسلام سيرا طبيعيا يتلاءم مع طبيعة الناس في نشر الأفكار، وإبلاغ الدين، ونشر النظم .

فبدأ ﷺ فردا واحدا تلقى الوحي من الله تعالى بواسطة الملك ، ثم نقله إلى من معه ومن حوله من أفراد متصلين به، له معهم تعارف مسبق، وأوصل لهم الوحي المنزل، ودعاهم إلى دين الله تعالى، ثم أخذ يتوسع في نشر دين الله الموحى إليه به، ومعه من آمن بدعوته .

واستمر التوسع في نشر الإسلام بهذا المنهج البشري حتى وصل إلى الناس من خلال تحرك المسلمين ، واتصالهم بغيرهم تجارا ، أو زوارا، أو عاملين أو دعاة، أو حماة للعدل والأمان ...

ووصلت دعوة الإسلام إلى العالم كله بعد بعث الدعوة، وإرسال الكتب إلى جهات العالم المختلفة، ووصول الوفود إلى المدينة المنورة .

وكان للجهد والمجاهدين دور كبير في إزاحة الموانع التي كانت تصادر حرية الكلمة، وتمنع الناس من الاستماع والتفكير، وبذلك تحققت الحرية في الدنيا، وبلغ الإسلام إلى العالمين .

وفي العصر الحديث صار تبليغ الإسلام سهلا إلى كل مكان بسبب مستحدثات العقل، وابتكارات العلم، وأصبح من اليسير التعريف بالإسلام من خلال الإذاعات الموجهة، والصور المتلفزة، والمراسلات الإلكترونية ، وصار من الأخبار العادية كل يوم أن يدخل في الإسلام مسلمون جدد في

(١) صحيح مسلم - كتاب المساجد ومواضع الصلاة، حديث : ٨٤١

مناطق العالم المختلفة .

وأصبح اجتماع البشر جميعا تحت نظام شامل أملا يراود عقول المصلحين في العالم بعدما قاموا بوضع المواثيق والمعاهدات لصنع جماعات متآلفة مثل الولايات المتحدة، والاتحاد الأوربي، وعصبة الأمم المتحدة، وهيئة الأمم المتحدة، وغيرهما من المنظمات، والمؤسسات الدولية .

إن عالمية الإسلام حقيقة ثابتة ، وواجب القيام بتبليغه مسئولية كل من آمن بالإسلام ، ورضى به ديناً منزلاً من عند الله تعالى، أداء للأمانة، وقياماً بالواجب، وحرصاً على كرامة الإنسان ، وإنفاذاً للناس من ظلمات الجهل، وعبادة المادة، والاستغراق في ضلال الفكر ، ومتاهات المفسدين .

إن العالم اليوم في نظر الإسلام ينقسم إلى قسمين :-

أحدهما : قسم آمن بالإسلام ، ودخل في دين الله تعالى، ويعرف هذا القسم بـ " أمة الإجابة " ، لأن أفرادهم استجابوا للدعوة ، وصاروا مسلمين .

والقسم الثاني : هو بقية الناس الذين لم يدخلوا في الإسلام .

وهذا القسم يعرف بـ " أمة الدعوة " ، لأن أفرادهم مكلفون بالإسلام مع أنهم لم يدخلوا فيه بعد، بسبب أنهم لم يعرفوا الإسلام، أو أنهم عرفوه على غير وجهه، أو ساقه إليهم أعداؤه وخصومه، أو لم يرغبوا في الإسلام .

إن التعريف بالإسلام ، والدعوة إليه واجب أمة الإجابة بالأساليب الحكيمة التي سبق الإشارة إليها في إطار نظرية الدعوة إلى الإسلام .

وفي هذا الفصل سنتعرف - بإذن الله تعالى - على أمة الإسلام بقسميها، لتقف كل أمة على واجبها الديني الذي ستسأل عنه أمام الله تعالى ، وذلك في المباحث التالية : -

المبحث الأول

أمة الإجابة

أمة الإجابة تشمل كل من أعلن إسلامه، ودخل في دين الإسلام الذي أكمله الله تعالى، وأتمه، ورضيه للناس أجمعين، وهم اليوم منتشرون في العالم كله، وحالتهم العامة سيئة، وحاجتهم المادية، والعقلية، والدينية تحتاج إلى عناية وعمل، وسيكون حديثي عنهم منحصرا في المسائل الالية : -

المسألة الأولى

جغرافية أمة الإجابة في العالم

يقترّب عدد المسلمين اليوم من المليارين، وهم يتوزعون في أقاليم العالم المختلفة، بعضهم يمثل الأكثرية في دول إسلامية، وآخرون هم الأقلية في الدول الأخرى .

وانتشار الإسلام بدأ ببعثة النبي ﷺ وهو مستمر حتى الآن .
فلقد بدأ بالدعوة سرا في مكة، ثم كان الجهر بها ، وبعد الهجرة كانت البعوث، والسرايا، والغزوات والفتوحات حتى وصل الإسلام للعالم كله .
وهكذا ...

ظهر الإسلام في جزيرة العرب ، ومن مكة والمدينة كان انطلاقه ، ولم ينتقل الرسول ﷺ إلى الرفيق الأعلى إلا وقد أسلمت الجزيرة العربية كلها ، ودخلت جميعا في دين الله تعالى، وبعدها قال الرسول ﷺ : (لا يجتمع دينان في جزيرة العرب) (١) .

وفي نفس الوقت وصل البلاغ إلى أقاليم العالم بواسطة الرسائل، والوفود، وحركة التجار ، وقوافل السفر ، والمجاهدين، وعرف الناس الإسلام بما فيه

(١) موطأ مالك - كتاب الجامع، باب ما جاء في إجلاء اليهود من المدينة - حديث : ١٦٠٣

من مزايا ومحاسن .

ومن الجزيرة العربية كان انطلاق الفاتحين إلى بلاد الشام ومصر اللتين مثلا نقطتي الانطلاق لنشر الإسلام شرقا وغربا .

فمن مصر تحرك المسلمون بإسلامهم في موجات متتابعة إلى جهات عدة، فقد اتجهت الانطلاقة الأولى من مصر إلى الشمال الأفريقي، وتم فتحه، فدخلت ليبيا، وتونس، والمغرب، والجزائر، وموريتانيا في الإسلام .

ومن الشمال الأفريقي امتد الإسلام شمالا وعبر البحر المتوسط إلى الإندلس ، والبرتغال، وجنوب فرنسا، كما امتد جنوبا فوصل إلى أواسط إفريقيا، والصحراء الكبرى، وانتشر في السنغال، ومالي، والنيجر، وغيرها .

ومن مصر - أيضا - كانت الانطلاقة الثانية إلى الجنوب، وتم فتح بلاد النوبة ، والسودان، وتشاد، ووقف الفتح عند حدود الصحراء الكبرى .

ومن مصر كذلك كانت الانطلاقة الثالثة إلى الشمال، حيث ركب المسلمون البحر الأبيض، وفتحوا أهم جزره مثل تكريت، وصقلية، وغيرها، وطرقوا أبواب اليونان وإيطاليا.

وباستقرار الإسلام في السودان صار السودان مركزا رئيسيا للدعاة، وصار العلماء يفتنون إليه من مصر، ومن شبه الجزيرة العربية، وأصبح السودان البوابة الشرقية لأفريقيا، ومنه امتدت طرق عديدة إلى كل البلاد الأفريقية.

وأبناء السودان بسبب تقاليدهم ، وعاداتهم ، ولون بشرتهم كانوا أقرب الناس إلى قلب وعقل الرجل الأفريقي، وقد استفادوا بهذه المزيا، ووصلوا بالإسلام إلى شرق إفريقيا، ونشروه في الحبشة ، والصومال، وإريتريا، وتنزانيا، وزنجبار .

وقد ساهم عرب الجزيرة في مساعدة السودانيين في إيصال الإسلام إلى شرق إفريقيا ، فركبوا البحر الأحمر إلى قارة إفريقيا ، وتمكنوا مع السودانيين

والأحباش في نشر الإسلام في اوغندا ، وكينيا، وزيمبابوي، ومدغشقر ،
وجزر القمر، وغيرها .

**وبواسطة السودانيين ، وبمساعادات ومساهمات من عرب الشمال
الأفريقي وصل الإسلام إلى غرب، ووسط إفريقيا ، فدخل الإسلام إلى
السنغال، وجامبيا، وغانا ، وغينيا، والنيجر ، ونيجيريا، وتشاد، ووسط إفريقيا،
وداهوقي، وغيرها .**

**وهكذا وصل الإسلام إلى إفريقيا في القرون الأولى لظهور الإسلام ما عدا
جنوب إفريقيا ، فقد وصلها الإسلام متأخرا مع المهاجرين المسلمين الذي
جاءوا من الهند، وبلاد العرب، وشمال ووسط إفريقيا .**

**ومن بلاد الشام الجناح الشرقي للإسلام تحرك الفتح إلى الشرق، وتم
فتح بلاد فارس "إيران" ومن إيران تحرك الإسلام جنوبا إلى الهند، وشرقا إلى
أفغانستان، وشمالا إلى بلاد تركستان، وتركيا، وبلاد الشمال الشرقي لأوربا.**

**وقام عرب الجزيرة بركوب البحر إلى الجنوب حيث كانوا يذهبون
إليه تجارا يحملون الإسلام في سلوكهم ونشاطهم ، فتمكنوا بذلك من نشر
الإسلام في الجزر، وأشباه الجزر الموجودة في المحيط الهندي ، وبذلك دخل
الإسلام في الملايو، واندونيسيا ، والفلبين، وماليزيا، وسيلان .**

**ولما استقر الإسلام في وسط وجنوب آسيا اهتم أهل هذه البلاد بالإسلام
، فانطلقوا به إلى الشمال عكس اتجاهه السابق ، وساهموا في نشر الإسلام
في تركيا ، وبلاد الأناضول، وشرق أوربا .**

وهكذا انتشر الإسلام في قارات العالم في القرون الأولى .

**وفي العصر الحديث أوصل المسلمون دينهم إلى العالم كله بواسطة
الهجرة ، والسفر ، والتجارة ، فوصل إلى الأمريكتين، واليابان، وأستراليا ،
وشمال وغرب أوربا .**

وصار للإسلام وجود في كل مكان مع توجه جميع المسلمين إلى موطن الدعوة الأول حيث الكعبة في مكة المكرمة، ومسجد رسول الله ﷺ في المدينة المنورة ، وحيث الأمة العربية المسئولة الأولى عن تبليغ الإسلام للعالم كله وفي جميع الأوقات .

ومع هذا الانتشار الواسع للإسلام نلاحظ ما يلي : -

- أ- استمرارية هذا الانتشار، وتوسعه في العصر الحاضر، وهذا دليل على أن الإسلام لم يستعمل القوة والقهر في انتشاره، وإنما كان يكتفي بالدعوة البيانية ، والعملية الفكرية التي أفنعت الناس به ، فالمسلمون الآن هم أضعف الناس في عالم اليوم، ومع ذلك ينتشر الإسلام ، ولو كان انتشار الإسلام بالقوة لاستغل خصومه ضعف المسلمين ، وانقلبوا على الإسلام والمسلمين، ومنعوا انتشاره .
- ب- الحركة بالإسلام تؤكد حرية المسلمين في اعتناق الإسلام، وإخلاصهم الصادق له، لأن المسلمين الجدد يتحولون بمجرد إسلامهم إلى جند ودعاة للإسلام، يبلغونه إلى من وراءهم ، وذلك واضح في حركة انتشار الإسلام في العصر الحديث .
- ت- كان الإسلام دائما يصل إلى الناس قبل الفاتحين، وهذا يوضح سبب الانتصار السريع لل فاتحين مع قلة عددهم لأنهم لم يجدوا مقاومين لهم، وإنما كانوا يجدون أقواما يسارعون إلى إعلان إسلامهم، والترحيب بهم، لما هم فيه من خلق كريم، ودين قويم .
- ث- هناك أماكن عديدة في العالم لم يصل إليها الفاتحون، مثل أواسط وجنوب إفريقيا، والجزر المنتشرة في جنوب شرق آسيا، وأعالي الجبال في آسيا وأواسط الغابات في أفريقيا، وبلاد التركمان في شرق أوروبا وشمال آسيا، ومع ذلك وصل الإسلام إليها، ولا تفسير لذلك إلا

إقتناع الناس بالإسلام بعد معاشرتهم للتجار ، وسماعهم دعوة العلماء ، فلقد أسلموا ولم يصل إليهم فاتح .

ج- لم يحدث أن ارتد شعب عن الإسلام بعد أن آمن به ، لأن المؤمنين الجدد كانوا يدافعون عن دينهم الجديد بكل ما أوتوا من جهد عقلي، وجهاد بدني بسبب ما رأوا فيه من حرية وكرامة، وعدل، وصدق، ورعاية لحقوق الله تعالى والناس.

إن كل من دخل في الإسلام في البلاد الإسلامية كان يتحول بمجرد إسلامه إلى جندي داعية يعمل لحماية الإسلام ، وينشره عند غيره ، ويترك أهله وموطنه إلى غيره في المواطن الأخرى داعياً إلى دين الإسلام .

ويكفي معرفة أن ما في الإسلام من اقناع ، وخصائص ذاتية هو الذي يدفع إلى الإيمان به ، وما نراه اليوم من دخول العقلاء ، والعلماء في الإسلام بصورة معروفة ومعلنة في مختلف بلدان العالم شاهد على ذلك .

ح- واجه المسلمون الجدد في البلاد المفتوحة عداوة ظاهرة من أعداء الإسلام، فكانت الحروب الصليبية، وكان طرد المسلمين من أوطانهم بالقوة، وإحلال غيرهم مكانهم كما حدث في الأندلس، وفلسطين، وبعض بلدان شرق آسيا في إطار الاستبداد الصهيوني، والصليبي، والشيعي .

خ- فشل أعداء الإسلام في القضاء على الإسلام والمسلمين ، ورضوا بتجهيل المسلمين وإبعادهم عن تعاليم الإسلام، ونشر النظم الغربية البعيدة عن الإسلام فيهم ، وتمكنوا من ذلك إلى حد بعيد .

المسألة الثانية

أحوال أمة الإجابة اليوم

لا يحتاج الإنسان إلى جهد كبير ليقف على أحوال المسلمين اليوم في كل المجالات ، فقد خيم التخلف بظلاله على العالم الإسلامي كله حتى بدا عالة على غيره في كل جوانب الحياة .

إنه في الجانب الاقتصادي والعلمي في المؤخرة ، وقد أدى تخلفه المادي إلى الضعف، والعجز، وتقليد الأغنياء الأقوياء في انشطتهم الاجتماعية ، والفكرية، والخلقية ، و صدق فيهم قول النبي ﷺ : (يوشك أن تداعى عليكم الأمم من كل أفق كما تداعى الأكلة على قصعتها " .

قلنا : يا رسول الله ، أمن قلة بنا يومئذ ؟

قال ﷺ : " أنتم يومئذ كثير ، ولكن تكونون غناء كغناء السيل، تنتزع المهابة من قلوب عدوكم ، ويجعل في قلوبكم الوهن " .

قلنا : وما الوهن ؟

قال ﷺ : " حب الحياة وكراهية الموت (١) .

إن إضعاف المسلمين بدأ منذ عصر النهضة الأوروبية، فقد تمكن أعداؤهم منهم فكان الاستعمار العسكري ، والغزو الفكري ، وأخيرا رحل الجنود، وبقي الفكر ، واستمر الضعف والوهن .

والذي يعنيننا ونحن نبحث في شأن الدعوة المعاصرة هو أن نقف على الأحوال المذهبية، والدينية، والعقائدية للمسلمين، لأن هذه الأمور هي ألصق القضايا بحركة الدعوة وأهم ما نراه في الأمة الإسلامية ما يلي: -

(١) ضعف الاعتقاد :

ضعفت عقيدة المسلمين الدينية بوجه عام ، فلم تعد شهادة التوحيد تملأ

(١) مسند أحمد بن حنبل - مسند الأنصار، ومن حديث ثوبان - حديث : ٢١٨٠٣

القلوب، وتحركها للعبادة والطاعة، وتحولت العبادة إلى عمل تقليدي لا أثر له في العمل والسلوك .

وخلت حياة المسلمين من العمل الجاد للدنيا ، ولم يربطوا العمل نفسه بالله وبالأخرة .

وانقلبت النظم الفردية والجماعية للمسلمين، وبعدت عن الإسلام، وتحولت إلى تقليد قبيح لمناهج الآخرين، وحدث إنفصام واضح بين العقيدة والحياة العملية .

واهتم المسلمون بملء الحياة بما يشتهون لا بما أحل الله لهم .

(٢) طغيان المادة في حياة المسلمين :

تضخمت معدة المسلم المعاصر حتى صار لا يشبعها إلا الجشع والأنانية ، وحب الذات، وحمل الكثيرون جهنم في قلوبهم لعدم الفصل عندهم بين الحلال والحرام ، وعلامة ذلك أن الإنسان العصري يمجّد الثراء ، والجشع ، ويعظم أمور الفساد والهوى ، ويتجاهل القيم، والخلق الكريم ، ومن هنا

اختفت الحقوق كافة، وعاش الناس حياة الترف والفساد وهم راضون .

(٣) الانقسام المذهبي :

المتأمل لأحوال العالم الإسلامي يرى الانقسامات المذهبية بوضوح . ولا أقصد المذاهب الفقهية ، لأن الاختلاف في فروع الشريعة اجتهاد يثري الفكر ، ولا يوصل إلى التعارض والانقسام، لأنه اجتهاد يقوم على الأصول الإسلامية ، ومع كل اتجاه دليله ، ومن حق كل مسلم أن يأخذ بأي رأي فقهي، فالكل أخذ من رسول الله ﷺ ، والذي أقصده هو الانقسام العقائدي لما فيه من خطورة على الوحدة الإسلامية فوق ما فيه من تعارض مع الثوابت الإسلامية .

إن الاختلافات في أصل الاعتقاد هو أساس تعدد الأديان والملل .
ويظهر الانقسام المذهبي بين المسلمين انقسمت الأمة، وأصبحت
فرقا، كل فريق يرى نفسه مؤمنا بالإسلام الصحيح وغيره ليس كذلك ،
فاختلف المسلمون وصارت الأمة شيعة وأحزابا متضاربة يعادي بعضها
بعضا .

ويكفي لأي متسائل أن ينظر في خريطة العالم الإسلامي مذهبيا ليرى
المذاهب التالية : -

السنة باتجاهاتها، والشيعة بمختلف فرقها، والصوفية بتنوع طرقها ،
والقاديانية وكثرة مزاعمها ، والبابية، والبهائية بزيها وضلالها ، وأهل البدع
وما يلقونه في العقول، ويزينون به إفكهم واتجاهاتهم .

إن العالم الإسلامي ينقسم مذهبيا إلى أكثر مما أشرت إليه ، وقد تأثرت
الدعوة بهذا الانقسام، حيث لكل فريق دعوته ودعائه، الكل يخطئ الآخر ،
ويعارضه، الأمر الذي شوه دعوة الجميع ، وأضعف صورة الدعوة إلى
الإسلام دين الله تعالى .

إن هذا حال الأمة المذهبي، ويجب أن يكون واضحا أمام المخلصين
الصادقين ليعملوا على إنقاذ الأمة منه .

٤) الانقسام السياسي :

وصل الضعف بالمسلمين إلى أن تمكن منهم أعداؤهم فاستعمروا بلادهم،
وقسموا أوطانهم إلى بلاد متعادية، واسقطوا الخلافة، وتمكنوا من البلاد كلها،
ونشروا الحروب والعداوة بين المسلمين، وبذلك سقط المسلمون في دوامة
الضعف، والعوز، والهوان .

٥) الأمية الدينية :

يعيش المسلمون بصورة عامة أمية ثقافية، فأغلبهم جاهل بأمور الحياة،

قاصر في تصوراته، لا يعرف شيئا عن الماضي ولا عن الحاضر، ولا عن المستقبل ، ضحل المعرفة، عديم العلم ، ولعل سبب ذلك ما يعيشه العالم الإسلامي من فقر، وجهل، ومرض .

وقد أثرت الأمية العامة في المعرفة الدينية التي يجب على كل إسلامي أن يحيط بها ويعرفها، حتى صار المسلم – إلا من رحم الله وهم قلة – لا يعرف من أحكام دينه شيئا ، وأصبح يؤدي نسكه تقليدا وعادة فقط .
لو أخذنا نسأل في المسلمين عن يعرف فرائض الوضوء ، وواجباته، وسننه، ومستحباته ؟؟؟

ولو أخذنا نكرر نفس السؤال مع الصلاة ، وباقي العبادات، والمعاملات، والأحوال الشخصية، وغير ذلك ؟؟؟
ولو أخذنا نسأل لنعرف لانكشفت أمامنا حقيقة مرة تؤكد وجود أمية مطبقة في المعرفة الدينية .

ويا ليت هذا الحال يدفع الناس إلى البحث والمعرفة، ويحفز الدعاة على التعلم والاجتهاد في دعوة الناس، والعمل لمواجهة هذا الواقع ، ليت هذا حدث أو يحدث ، إلا أنه على كل الأحوال يجب أن يحدث مع الأمية الموجودة .

٦) الضعف العام :

تحتاج الحقيقة إلى قوة تسندها، لتعيش مرهوبة الجانب، يحترمها الغير، ولا يجترئ على العدوان عليها .

ومن المعلوم أن الضعيف يعجز عن حماية حقه، ويعيش تابعا للأقوياء.
وعلى مدد طويل من الزمن تحولت الأمة الإسلامية إلى ضعف مطلق لاقوة لها البتة، ويكفي دليلا على ذلك انقسامها إلى أوطان عديدة ، وتحولها إلى دول شتى، بعيدة عن التقدم والنهضة .

وقد أدى هذا الوضع المادي الهزيل إلى التنازل عن الكثير مما كانت تملكه .

إن العالم الإسلامي اليوم يبحث عن لقمة العيش يأخذها هبة وعطاء من غيره ، وهو الآن يحتاج إلى غيره في كافة جوانب الحياة ، في الصناعات على تعددها ، وفي الزراعة مع تطورها ، وفي التجارة وتعدد وسائلها حتى في المعرفة ، والثقافة ، والتعليم أصبح محتاجا إلى خبرتها وخبرائها .
هذا الضعف هو سمة العالم الإسلامي المعاصر ، ويجب أن نعترف بذلك .

ومع هذا الحال

لابد أن تستمر الدعوة ، ويجب أن تتجه إلى الواقع بمنهجية ثلاثية لتتمكن من علاج حال الأمة ، ودعوة الآخرين في نفس الوقت .
ولابد للمسلمين من العودة إلى دينهم مرة أخرى ، بأن يرجع كل مسلم إلى ربه ، ويستقيم على منهجه ، ويتمسك بنظمه وتعاليمه ، وحينئذ ينقذ المسلم نفسه وبلده من الضياع ، ويتمكن من القيام بواجب الدعوة إلى الله تعالى .

المسألة الثالثة

حركة الدعوة

بين المسلمين المعاصرين

المسلمون اليوم أحوج الناس إلى اكتشاف حقيقة الإسلام مرة أخرى بعد ما عم الجهل بالإسلام ، وتحول عند البعض إلى ثقافة فكرية لا تأثير لها في واقع الحياة، وامتلاً نشاط المسلمين بنظم وانشطة غير إسلامية ، لدرجة أن من ينظر إلى أحوال الناس يتخيل نفسه في مجتمع لا إسلام فيه .
فالنساء في الطريق عاريات مائلات مميلات ، والخلاعة والمجون سمة الشباب ، ودور اللهو والعبث تستقبل روادها ليل نهار.

والإعلام بصوره جميعا خليط بين الجد والهزل، وصوت الباطل فيه أعلى من صوت الحق في كثير من الأحيان .
والمؤسسات الدينية تعمل بلا خطة منظمة، وبعيدا عن هدف مقصود .
والدعوة في جملتها تحتاج إلى تخطيط، وتنظيم، وإشراف، ولا بد من مضاعفة الجهد ، و تنشيط العمل على كل من يريد العمل لله تعالى بصدق وإخلاص .

إن تبليغ الدعوة واجب كل مسلم ومسلمة بقدر ما يستطيع .
الأب مسئول عن أبنائه، يعلمهم ما يعلمه من الإسلام ، ويحببهم في التطبيق والعمل ، ويبعدهم عن رفاق السوء ومناط العصبية .
والأم مسئولة عن نفسها، وبيتها ، تتمسك بالطهر والعفة ، وتعود أبنائها الخلق الطيب ، والسلوك الحسن ، وتحول بيتها إلى مدرسة تخرج الصالح والاستقامة، والإيمان، والتقى .

وكل مسلم ومسلمة مسئول عن أخيه، وجاره، وصديقه ، وبذلك يتحول المجتمع المسلم إلى خلية تعمل لله تعالى ورسوله ﷺ ، وتحقق الدعوة داخل المجتمع الإسلامي أهدافها .

ومن الممكن الاستفادة بالعلماء والأئمة الموجودين داخل المجتمع .
ومن الممكن تنظيم تجمعات أسرية ، ومهنية، واجتماعية لتعليم الإسلام، وتعلمه .

إن اهتمام المسلم بأخيه المسلم واجب ديني يتضمن النصيح، والتوجيه، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، والتعاون على البر والتقوى .

يقول الله ﷻ : ﴿ وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ ﴾ (١)
ويقول ﷻ : ﴿ كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ﴾ (٢) .

ويقول الله تعالى : ﴿ إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ ﴾ (٣)

ويقول ﷻ : ﴿ تَرْكَانَ مِنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا بِالْمَرْحَةِ ۝ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ ۝ ﴾ (٤) .

ولو صدقت النوايا، وأخلص المسلمون لدينهم لتعلم المسلمون من العلماء، والمؤلفات، والكتب الإسلامية ، ولتمكنوا بعد ذلك من تعليم أهلهم وذويهم ليكون التطبيق الإسلامي بعد ذلك تطبيقا صحيحا .

(١) سورة المائدة الآية : ٢ .

(٢) سورة آل عمران الآية : ١١٠ .

(٣) سورة العصر الآية : ٣ .

(٤) سورة البلد الآيتين : ١٧ ، ١٨ .

ومن السهل الاستفادة بأساليب القرآن الكريم في الدعوة إلى الله تعالى ،
ومراجعتها، والتأثر بها .

يجب أن يمتلئ قلب المسلم بحب الله تعالى ورسوله ﷺ ، وباليقين في
صدق الإسلام ، وأحقيته، والأمل في دعوة المسلمين إلى الله تعالى .
ومن الضروري أن يتحول المسلم إلى صورة الإسلام العملية في القول،
وفي العلم، وفي السلوك ، ولن يفلت المسلمون من حساب الله تعالى
وعقابه إن فرطوا في دينهم الذين حملوا أمانته .

والإنسان يتساءل

- ما الذي يبعد المسلم عن دينه ؟ ...
- ألم يعلم المسلم أن الإسلام عقيدة وعمل ؟ ...
- أفي الله شك وهو الخالق العظيم ؟ ...
- وهل يرضى المسلم أن يكون محاربا لدينه، وعونا لأعداء الله تعالى ؟
- وهل هناك إنسان مخلص ؟
- وهل يفلت أحد من السؤال ؟

أم ماذا ؟

إن الإجابة الصادقة على هذه الأسئلة توضح دور المسلم ، وواجبه مع
دين الله تعالى .

إني أنادي كل مسلم وأرجوه ، وأقول له : عد إلى ربك، واعلم أن الله يقبل
التوبة من عباده، ويعفو عن كثير .
هذا عن المسلمين فيما بينهم، وفي بلادهم .

المبحث الثاني **أمة الدعوة**

ثلاثة أرباع الناس اليوم وأكثر ليسوا مسلمين، وهم أمة الدعوة، فإليهم ولهم توجه الدعوة إلى الإسلام ، ليتمتعوا بمزاياه التي وضعها الله تعالى فيه، ومن أهمها : -
أولاً :

بقاء منهج الله تعالى الذي أنزله، وحفظه، ليبقى في الناس كما نزل،
ويؤدي وظيفته في تكريم الإنسان، وإحيائه بالمنهج الإلهي المستقيم الذي ارتضاه الله تعالى لعباده، ودعاهم ليعيشوا به في الدنيا، ويسعدوا به في الآخرة .

والإسلام بهذه الحقيقة يتميز عن كل الملل والنحل ، وتوضح البحوث العلمية المعاصرة انقطاع كل الأديان عن أصولها، ولجؤها إلى العقل البشري لصناعة دين سياسي لا يخلو من الضعف والوضع في أصوله، ونسكه، وتعاليمه، ما عدا الإسلام فقد بقى محفوظا كما نزل من عند الله تعالى ، وملائما للناس في كل زمان ومكان .
وقد اتضحت هذه الحقيقة بالمقارنات الدينية التي قام بها العلماء الأفاضل في مختلف الأمم والأعراق، ومع كل الملل والنحل .
ثانياً :

إقرار الإسلام بالحق في أي دين، فهو يؤكد، ويدعمه، ويدعو إليه،
ويبين ارتباطه به، ويجعله هدفا له، ومعنى ذلك أنه يبين الرؤيا السليمة في القضايا المشتركة ، ويدعو إلى الإيمان بها ليكون المؤمن بها مسلما، ومؤمنا بحقائق الأديان السابقة على النحو الذي نزلت به، بل عد ذلك ركنا من أركان الإسلام .

ثالثاً :

عدم التعارض أبداً بين أصول الإسلام وبين أصول الأديان السابقة الخالية من التحريف، والتفسير الملتوي ، ولذلك عد المسلم مؤمناً بالرسول والرسالات السابقة .

رابعاً :

الإسلام في جملته يدعو إلى السلام، والعزة، والكرامة، والحرية في إطار العبودية الصادقة لله رب العالمين، يقول الله تعالى : ﴿ وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَى دَارِ السَّلَامِ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ١٥ ﴾ (١) .

خامساً :

اتفاق الإسلام مع الفطرة البشرية، فقد توصلت الإنسانية في العصر الحديث إلى حاجة العالم كله إلى التوحد في منهج واحد، وهدف واحد ، فأنشأوا المعاهد العلمية ذات المنهج الواحد وأسسوا المنظمات الدولية لضمان الحقوق، وصيانة الضعفاء، وكونوا الجيوش الأممية لمساعدة الضعفاء . وفي هذا دليل على أن دعوة الإسلام للعالم كله أمنية للناس جميعاً، جاء بها الإسلام على لسان رسول الله ﷺ .

سادساً :

الإسلام هو الدين الوحيد الذي تتسع تعاليمه للناس جميعاً، بينما ترفضه الملل والمذاهب الأخرى، فقد دعا إلى تقديس الرسالات السابقة ، والإيمان بالرسول، ومن السهل أن يدخل المكلف في الإسلام ، ويجد نفسه مؤمناً بما كان عليه قبل الإسلام بشرط عدم التحريف .

وفي هذا المبحث سأحدث عن أمة الدعوة في المسائل الآتية : -

(١) سورة يونس الآية : ٢٥ .

المسألة الأولى

التوزيع الجغرافي لأمة الدعوة

ثلاثة أرباع العالم اليوم وأكثر هم أمة الدعوة الموزعة في القارات كلها، مع اختلاف أديانهم ومذاهبهم، وهم منتشرون في أوطان عديدة، على النحو التالي: -

- أولاً -

المسيحيون

المسيحيون هم أتباع عيسى عليه السلام ، وعددهم اليوم أكثر من أربعة مليارات من الناس ، وليسوا على مذهب واحد ، فمذاهبهم تقترب من المائة، أشهرها الأرثوذكس، والكاثوليك، والبروتستانتس، والانجيليون .

والمسيحيون اليوم يشغلون قدرا واسعا من سكان المعمورة، ويوجدون في قارات العالم القديمة والجديدة، فقد نشرها قسطنطين في سائر الولايات الرومانية، وانتقل بها الأوربيون إلى الأمريكتين ، وبشر بها الرهبان في أماكن كثيرة في عالم اليوم .

وقامت حركة التبشير بالعمل على إدخال أبناء المناطق التي استعمروها في مذهبهم المسيحي الذي يؤمنون به، وانتشرت حركة التبشير مع الاستعمار في العالم كله، وبصور متعددة .

والمسيحيون اليوم يسكنون في دول أمريكا الجنوبية، وأمريكا الشمالية، وكندا، والمكسيك، وسائر دول غرب أوربا ماعدا ألبانيا ، وبعض الدول في شرق أوربا، وأفريقيا، وآسيا .

وهم أقلية في كل الدول التي تدين بأديان أخرى ، ما عدا دول الجزيرة العربية فهي إسلامية خالصة، وما يسكنها الآن من نصارى ، وبوذيين فهم وافدون إليها للعمل، والتجارة، والمساهمة في النهضة والتعمير ، ... وإقامتهم

في جزيرة العرب إقامة مؤقتة ، ولمدة معينة يعودون بعدها إلى بلادهم وأوطانهم .

وقد اختلفت المسيحية في العصور الحديثة عما كانت عليه قبل عصر النهضة ، فلقد كان المسيحيون عبيدا مملوكين لرجال الكنيسة التي كانت تملك البلاد، والعباد، وتتصرف في شئون الدنيا والآخرة ، وقد أدى هذا الحال السيء إلى صراع شديد في القرون الوسطى بين العلماء ورجال الدين المسيحي انتهى بانتصار العلماء ، وعزل الدين داخل الكنائس ، والقضاء على سلطة الكنيسة ، ورجال الدين، والإقطاع بكافة صوره ، ووضع العلماء نظمهم التجريبية متأثرين بتراث الرومان والأغريق .

فمن الإغريق أخذوا ضرورة التفكير في كل شيء ، وأهمية استخدام العقل في سائر القضايا ، فأدخلوا التفكير العقلي العلمي في حياتهم، وجعلوه أساسا لنهضتهم، وانكروا الوحي، وأبعدوا الدين عن تنظيم شئون الحياة ... فبعدوا بذلك عن كل ما جاءت به المسيحية ولو كان حقا .

ومن المعلوم أن الفكر العقلي يعتمد على المحسوس، فيحلله، ويستفيد بنتائجه، وقد رضى العقل الأوربي بذلك ، وآمن به حتى جعل من العقل إلها يتحكم في كل شيء، إلا أنه اضطر إلى المحافظة على المسيحية بعد أن عزلها داخل الكنيسة ، وحصرها في العبادة وبعض النسك .

ومن الرومان أخذوا أهمية المادة ، وضرورة الجمال، ومدى الحاجة لحياة طبيعية يتمتع فيها الجسد بما يرضي شهواته ، وغرائزه .

وبعد تقدير الحس، والعقل، والجسد ، وحب الجمال المادي انطلق العلماء إلى صناعة النهضة الأوربية بعيدة عن الكنيسة ، وتعاليمها .

وأقاموا النهضة على مفهوم العلمانية، بمعنى حصر المعرفة في العلم التجريبي القائم على الحس بعيدا عن أي معلومة تأتي من الوحي ،

وعملوا على نشر هذه العلمانية في العالم كله وإن اختلف عن العالم المسيحي القديم .

صارت العلمانية أساس النهضة في العالم المسيحي، وبداية الحركة والتقدم، ولابد أن نقرر الإيجابيات والسلبيات التي أنتجتها النهضة ، وما زالت آثارها حتى اليوم .

لقد نجح العلماء في مجال العلوم الطبيعية ، واستفادوا بالمنهج التجريبي ، وابتدعوا في الطب، والكيمياء، والفلك ، والفيزياء ، إلخ ، ووصلوا إلى نتائج تطبيقية مذهلة، ومخترعات العصر تشهد بذلك .

أما الدراسات الإنسانية فقد جاءوا بها، ودرسوا أبحاثها بالمنهج التجريبي، وصنعوا النظريات النفسية، والاجتماعية بعقولهم المجردة، فلم يحققوا معها النجاح الذي حققوه مع العلوم الطبيعية .

وكان الفشل الذريع في المجال الديني فقد أخضعوه للمنهج التجريبي ، فوصلوا إلى إهمال حق الله تعالى في التشريع والتوجيه ، ورضوا لعقلهم بالسيادة والسلطان، وأنكروا أي دور للدين في تنظيم الحياة .

وانتهى الأمر إلى تملك المجتمعات الغربية إلى القوة المادية ، وأخذوا يبتكرون فيها كل يوم، وأصبح العصر هو عصر المخترعات العلمية العجيبة.

وقد تمادى الغربيون في اتجاهاتهم العلمانية ، وعملوا على نشرها في العالم الإسلامي، وتصوروا الإسلام، وعلماء الإسلام أمثلة مكررة للفكر الكنسي القديم، وكهان الكنيسة، فبعدوا بذلك عن الحق، وظلموا الإسلام والمسلمين .

- ثانياً -

اليهود

اليهود هم اتباع موسى عليه السلام، وعددهم قليل فهم لا يتجاوزون خمسة عشر مليوناً .

ومع قلة عددهم فإننا نراهم يسيطرون اليوم على مقدرات العالم المادية ، والإعلامية والسياسية ، والثقافية، وهكذا

وسبب هذا التفوق يرجع إلى أسباب معقولة، فهم بين الناس أقلية قليلة، وأراد الله تعالى لهذه الأقلية أن تعيش ولا تقنئ في غيرها، فعاشوا حيث كانوا في كانتونات خاصة بهم، وسط زراعات يانعة، وصناعات متقدمة، وحياة يهودية خالصة .

وأخذت الشعوب المختلفة تكره اليهود ، وتضطهدهم حينما رأوا فيهم حب التفرد، والرغبة في السيطرة المادية، وميلهم إلى العزلة ، واجتهادهم في إفساد غيرهم .

أمام هذا الواقع تشدد اليهود في ضرورة العيش منعزلين بعيداً عن الناس مع الاهتمام بالتعليم ، والتفكير في كل ما يجد لهم ، والاستعداد لاقتناص الفرصة المناسبة حين تواترهم ، والظهور بمظهر الضعيف المستكين كسبا لعطف الأقوياء، والتخطيط المتقن للحاضر والمستقبل، والاهتمام بالابحاث العلمية في كافة المجالات .

هذا التصرف تسلكه الأقليات الضعيفة دائماً ، وقد عاشه اليهود بذكاء، وخطط قادتهم للسيطرة المادية على سائر الشعوب بوعي ودقة حتى حققوا ما يريدون .

لقد عاش اليهود في يثرب وعددهم قليل ، وكانوا يأملون في الإيمان برسول يظهر ليسيظروا به على العرب، وعلى العالم، وقد صرحوا بذلك

للأوس والخزرج ، فسبقهم الأوس والخزرج إلى الإيمان بمحمد ﷺ ، والدخول في الإسلام .

هذه الحادثة تفسر المنهج الذي يسيرون عليه مع سائر الأحداث ، ولئن صرحوا به للأوس والخزرج فلن يصرحوا به لغيرهم .

عاش اليهود مضطهدين في العصور الوسطى ، فلما بدأت النهضة كانوا من قاداتها، وواضعوا نظرياتها، وكانوا قاداتها، والمتحمسين للعلم التجريبي الذي ساد في عقول العلماء وهم يصارعون الكنيسة ورجالها.

وتمكن اليهود بدعائهم من قيادة الحركة العلمية في عصر النهضة، فوضعوا النظريات المادية البعيدة عن الدين، والهادمة لتعاليم الوحي، ومكارم الأخلاق، ... ومن أهمها : -

١) نظرية دارون:

وهي نظرية النشوء، والتطور، والارتقاء ، وهي نظرية تؤكد على ضرورة التغيير ، وعدم الثبات في كل شيء، فكل شيء يتطور ، مادة كان أو معنى ، والأخلاق نفسها تتطور، والقيم والمبادئ تتغير ، والأديان تتغير ولا بقاء لشيء وإن كان حسنا .

٢) نظرية فرويد :

وهي نظرية تؤكد أن الإنسان تملكه غريزة الجنس منذ صغره ، ولا بد من إشباع هذه الغريزة حتى لا يصاب بالعقد، والأمراض النفسية، وذلك بإباحة الاختلاط، وفتح باب الحرية المطلقة للذكور والإناث، وإهمال القيود الدينية في هذا المجال، حتى لا توضع العوائق أمام تحرر الإنسان حتى يعيش أمنا سعيدا .

٣) نظرية ماركس :

وهو يرى أن الصراع بين الناس يدور حول المرأة والمال، ولذا فهو

ينادي بنظرية الشيوعية التي تجعل المال مشاعا بين الناس، وتجعل المرأة مشاعة بين الرجال ، وحتى يتمكن ماركس من تحقيق هذا الشيوع نجده يهدم الدين ، ويرفض الأخلاق الموروثة ، وينادي بعقد اجتماعي جديد يعتمد على الشيوعية التي ينادي بها .

وأحس اليهود مبكرا بأهمية الجماهير ، فاخذوا يواجهون أبناءهم ، وأموالهم إلى الأنشطة التي سوف يحتاج إليها الناس ، والتي لها في المستقبل تأثير كبير .

بدأوا بالأعمال البسيطة التي أخذت تكبر شيئا فشيئا ، حتى صارت اليوم تملأ العالم كله، فاليهود في عالم اليوم هم أصحاب الأموال الضخمة ، وهم مالكو البنوك الكبيرة ، وهم في دنيا الإعلام المسيطرون على وسائلها يبثون من خلاله فكرهم، وأهدافهم ، وهم تجار السلاح ، ومثيرو الحروب، وقادة الجمعيات السرية العالمية .

**وهم صانعوا أزياء المرأة ، وتجار أدوات الزينة ، والجمال .
وهم تجار اللهو، واللعب ، وأصحاب الهوى، وناشرو الفحشاء بين الأمم
وهم مؤسسو هوليوود، ومنتجو الأفلام، وناشرو الخلاعة والفسق بين
الناس عن طريق السينما، والعري، وحرية الاختلاط، وإباحة الفجور....
وهكذا ...**

**تمكنوا من السيطرة السياسية، والتحكم في الرأي العام العالمي ، كما تمت
لهم السيطرة الجماهيرية ، فاخذوا في توجيه الشباب والمرأة ، وسائر الطبقات
إلى نحو ما يريدون بذكاء عجيب ، وإمكانيات عقلية فريدة حتى أنهم
موجودون وراء كل فساد ، وخلف أي مصيبة .**

- ثالثاً -

أديان أخرى وثنية

هناك أديان أخرى تنتشر في جنوب شرق آسيا وغيرها، حيث يوجد أناس يتخذون إلها من البشر، أو من الحيوانات، أو من الأصنام،... أو من غير ذلك .

ومن العجيب أن منهم العلماء، والمفكرين ، فقد طمس الله عقولهم، وسيطر عليهم الشيطان اللئيم .

من هؤلاء البوذيون، والبراهمة ، وأمثالهم ، وهؤلاء موجودون في شبه القارة الهندية ، واليابان، والصين، وبورما، وفي بعض البلاد الأفريقية، ولهم فلسفتهم التي يعيشون بها وهم راضون عنها.

ومن عجيب الأمر إخلاصهم الواضح لمعتقداتهم، واهتمامهم بالجانب الأخلاقي الذي يوجههم إليه رجال مذهبهم، وقد تمكنوا من تحقيق حضارات خاصة بهم .

- رابعاً -

الإلحاد

يوجد الإلحاد في فريق من الناس ، وهم الذين لا يؤمنون بدين ما ، وينكرون وجود إله موجد للعالم، وهم أفراد منتشرون في دول عديدة ، وأغلب الملحدين من العامة الذين لا يجيدون فكراً، ولا يعلمون شيئاً .

وأغلب هؤلاء يوجدون في مجاهل إفريقيا ، وآسيا ، ومنهم أفراد ينتشرون في العالم كله، ...

وأصحاب الأديان الآخري يتسابقون إليهم للظفر بهم ، وإدخالهم في معتقدهم .

المسألة الثانية

التواصل المعاصر

بين أتباع الأديان والمذاهب

كان المأمول أن يعيش الناس في حرية تامة، وتعاون على الخير وإن اختلفوا موطناً أو مذهباً، ليجعلوا من الدنيا موطناً للأمن والهدوء، ومجالاً تتحرك خلاله الأفكار والمعتقدات ، بعيداً عن التعصب وحب الذات .

كان المأمول ذلك إلا أن الواقع يوضح وقوع البشر في منازعات مادية، وصراعات دينية أدت وتؤدي إلى حروب عديدة ، واختلافات طاحنة .

فاليهود قابعون على مناسكهم، لا يعملون على نشرها ، والدعوة إليها ، ويرون أنفسهم الشعب المختار أتباع موسى ﷺ خاصة ، ولذلك يحافظون على ذواتهم ، ويحاولون استقدام كل يهود العالم لإقامة مملكة لليهود في أرض الميعاد ، ويقصدون بها دولتهم الكبرى من النيل إلى الفرات .

وقد تمكن اليهود من تحقيق كثير من أحلامهم ، فسيطروا على كثير من مقدرات العالم الاقتصادية ، والسياسية، والإعلامية، ... وتحكموا في توجه النظم السياسية حتى صار أغلب العالم خادماً لأغراضهم، وعاملاً في خططهم وضلالهم .

واليهود قوم لا يريدون انتشار دينهم، لأنه في نظرهم خاص بهم ، ولذلك نجدهم يتعاونون مع المسيحيين ومع غيرهم ضد المسلمين مع أنهم لا يؤمنون بغير دينهم، حتى لا يتوسع الإسلام بينهم ويضمهم إليه .

أما المسيحية فهي تعمل على الانتشار في سائر الأمم بواسطة المبشرين المنتشرين في العالم كله ،

وقد جربوا التوسع العسكري في الحروب الصليبية، إلا أنهم فشلوا، فلجأوا إلى الخداع ، والعمل الخفي، فكان التبشير، والتحكم في مصير الضعفاء .

وبرغم تعدد المذاهب المسيحية، واختلافها فيما بينها ، إلا أنها تلتقي في هدف واحد ، هو إضعاف المسلمين وإدخالهم في النصرانية ، والعمل على إلهاء المسلمين وإبعادهم عن دينهم بقدر المستطاع .
والوثنيون يدعون لعقيدتهم في نطاق ضيق وبصورة عنصرية، إلا أنهم يعاملون المسلمين بقسوة، وحقداً، وكراهية .

والمسلمون يعيشون حالة بئيسة، فقد سيطرت عليهم القوى المعادية ، وتحكمت في مصائرهم ، وزرعت فيهم الجهل ، والمرض، والتخلف، فتحولوا إلى خدم للدول الغربية، ووصل الضعف أن صار المسلم يحارب أخاه المسلم ويحافظ على مكاسبه المادية الدنيوية ، ولا يعنيه دين الله تعالى
ومع أن الله تعالى قد حبا بلاد المسلمين بأسباب الغنى إلا أن المسلمين ضيعوا هبة الله ، وصاروا كاليتامى يلعب بهم الآخرون .

إن المسلمين يجدون أنفسهم في مواجهة واحدة مع أصحاب الملل والنحل الأخرى ، حيث يرون الواجب عليهم ، ويعلمون أن دعوة الجميع إلى الإسلام أمانة يتحملها كل مسلم ، وذلك يدعونا إلى ضرورة تحسين العمل، ومضاعفة الجهد في سبيل الله تعالى .

إن المسلمين اليوم وسط هذا الصراع عليهم أن يطبقوا الإسلام في حياتهم، وبهجروا المفاصد التي هم فيها، ويعودوا إلى ربهم بصدق، ويحرصوا على ما وجب عليهم بالنسبة لدين الله تعالى .

ولي كلمة

في الختام

الحمد لله الذي أعانني على إتمام هذه الدراسة عن

نظام الإسلام

في الدعوة إلى الله تعالى

فقد بينت فيه حاجة الناس إلى الإسلام ، وحاجة الإسلام إلى الدعوة إليه ، وفق نظرية كاملة، بينت أركانها ، ووضحت الصورة الواجبة لكل ركن ليهتم المخلصون بهذه النظرية ، ويبلغوا بها الإسلام إلى العالم كله .

ومن الواجب النهوض بأركان النظرية، والاستفادة التطبيقية بها، والأخذ بكل جديد يساعد على الوصول بالإسلام إلى كل إنسان في العالم الحديث .

والأصوات اليوم تنادي بضرورة " تجديد الخطاب الديني " ، وهي دعوة حسنة إلا أنها تحتاج إلى قيود تحفظها من مكائد الخصوم ، وحيل الخبثاء .

إن التجديد يعني التغيير بتكميل الناقص، وتبديل القاصر ليتمكن من أداء ما وجد له، ولذلك يحتاج التجديد لزيادة، أو نقص، أو تعديل .

وإذا جئنا لأركان نظرية الدعوة للوقوف على قابليتها للتجديد فإننا نرى أن الموضوع في النظرية له خاصية ثابتة، وأن المحافظة عليه كما نزل أمر ضروري ثابت ، فقد حفظه الله تعالى من التحريف والتغيير، وأثبتته في القرآن الكريم، والسنة المشرفة، وأي تجديد لا يصح معه .

فأركان العقيدة هي هي كما نزلت من عند الله تعالى على جميع الرسل، وثابتت الشريعة والأخلاق لا تتغير ، وبذلك لا تجديد في دين الله تعالى .

وإنما يجوز التجديد في إيجاد دعاة أكفاء متميزين بالعلم والفهم، وحسن الاتصال بالناس .

كما يجوز التجديد في استحداث وسائل تفيد في توصيل الدين للناس .

كما يجوز التجديد باختيار الأسلوب ، وطريقة الدعوة، وضرورة التكيف مع الناس، ومخاطبتهم بلغتهم، والإحاطة بأحوالهم، والوقوف على مذاهبهم، وعاداتهم، وعوامل التأثير فيهم .

وبهذا التقيد يحسن التجديد في الخطاب والدعوة .

كما أشير إلى ضرورة الاهتمام بنظرية الدعوة، وتكثيف الأبحاث والدراسات حولها، لتصير علوما يتقنها العلماء، ويفهمها الدعاة، وينشرون بها دين الله تعالى على وجهه الصحيح كما نزل من عند الله تعالى، ويعرف كل مسلم تعاليم الإسلام ليقوم بها في وعي وعلم.

ومن الواجب الاستفادة بكل مستحدثات العصر من علوم ، ومعارف، ومخترعات .

إن غاية الدعوة تعبيد المخلوقات للخالق، وربط الإنسان بالله ، وتحقيق السعادة في الدنيا والآخرة، وذلك أمل يحتاج إلى الإخلاص والصدق في التوجه لله رب العالمين

والله أسأل ان يوفق العاملين في الدعوة ، وأن يفتح القلوب والعقول لهم ، ويرزقهم الصواب والسداد .

والله ولي التوفيق .

أ . د / أحمد أحمد غلوش

فمن المصنفات

فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة
المقدمة	٧
الباب الأول : المسار الدعوي في الحياة الإنسانية	١٥
الفصل الأول : الوجود كله خلق الله تعالى	١٩
المبحث الأول : الوجود كما صنعه الله تعالى	٢٣
المبحث الثاني : بدء الإنساية بدين الله تعالى	٣٣
المبحث الثالث : تعدد الأديان في مسارات الدعوة	٤٢
المبحث الرابع : حاجة الإنسان الكامل إلى الإسلام	٥٠
الفصل الثاني : ضرورة الدعوة إلى الإسلام	٦١
المبحث الأول : صيانة فطرة الإنسان الدينية	٦٥
المبحث الثاني : أساس الدعوة التعريف بالإسلام	٧٤
المبحث الثالث : دور المسلم في الدعوة إلى الإسلام	٨٣
الفصل الثالث : المنهجية الدينية في الدعوة الى الله تعالى ...	٩١
المبحث الأول : منهجية الدعوة في العصر الأول	٩٤
المبحث الثاني : ضرورة الدعوة إلى الإسلام في العصر الحديث	١٠٤
الباب الثاني : نظرية الدعوة إلى الإسلام	١١١
الفصل الأول : الهيكل العام لنظرية الدعوة	١١٥
المبحث الأول : أركان نظرية الدعوة	١١٩
الركن الأول : الموضوع	١٢١
الركن الثاني : حامل الموضوع	١٢٢
الركن الثالث : الأداة الحاملة للفكرة	١٢٥

١٢٧	الركن: الرابع الأسلوب المتضمن للفكرة
١٢٩	الركن الخامس :المدعوون
١٣١	المبحث الثاني : تكامل نظرية الدعوة
١٣٣	الفصل الثاني : موضوع الدعوة " الإسلام "
١٣٦	المبحث الأول : التعريف بالإسلام
١٤٠	المبحث الثاني : منهج تقديم الإسلام للناس
١٥٩	المبحث الثالث : تجنب الاختلافات المذهبية حول العقيدة
١٦٣	الفصل الثالث : الركن الثاني " الداعية " مبلغ الإسلام ...
١٦٦	المبحث الأول : التعريف بالداعية
١٦٨	المبحث الثاني : صناعة الدعاة
١٦٨	أولاً : الاختيار المبكر للدعاة
١٧١	ثانياً : التفرغ للتعليم النظري
١٧٥	ثالثاً : التدريب العملي الدعوي
١٧٧	المبحث الثالث : صفات الداعية
١٧٧	١- الإيمان التام بالله تعالى
١٨٥	٢- الاتصال الوجداني بالناس
١٨٩	٣- السمو الأخلاقي
٢٠١	المبحث الثالث : علوم الدعاة
٢١١	الفصل الرابع : الركن الثالث " الوسائل "
٢١٤	المبحث الأول : وسائل الاتصال المباشر
٢١٤	(١) مناقشة الذات
٢١٥	(٢) الحوار البسيط
٢١٦	(٣) المناقشة
٢١٨	(٤) الخطبة

٢٢١	٥) المناظرة
٢٢٢	٦) المحاضرة
٢٢٦	٧) الندوة
٢٢٧	٨) الحديث العادي
٢٢٨	٩) حوار المؤتمرات والمجامع العلمية
٢٣٠	المبحث الثاني : الوسائل السمعية
٢٣٠	أولاً : المذيع
٢٣٢	ثانياً : الشريط
٢٣٣	ثالثاً : الرسائل الإلكترونية
٢٣٤	المبحث الثالث : الوسائل المقروءة
٢٣٤	١- الكتاب
٢٣٦	٢- الكُتيب
٢٣٧	٣ - الصحيفة اليومية
٢٣٨	٤- الدوريات والحواليات
٢٣٩	المبحث الرابع : الوسائل المصورة
٢٤٠	المبحث الخامس : الوسائل الفضائية الحديثة
٢٤٠	١) التليفون المحمول
٢٤١	٢) البريد الإلكتروني
٢٤٢	المبحث السادس : الأساسيات الشرعية لاستخدام الوسائل
٢٤٥	الفصل الخامس : الأسلوب في نظرية الدعوة
٢٤٨	المبحث الأول : تنوع أساليب الدعوة
٢٥٧	المبحث الثاني : الدقة في البيان والتوضيح
٢٧٣	المبحث الثالث : خصائص أسلوب الدعوة
٢٨٣	الفصل السادس : الركن الخامس " المدعوون "

٢٨٥	المدعوون هم العالم كله
٢٨٨	المبحث الأول : أمة الإجابة
٢٨٨	المسألة الأولى : جغرافية أمة الإجابة في العالم
٢٩٣	المسألة الثانية : أحوال أمة الإجابة اليوم
٢٩٨	المسألة الثالثة : حركة الدعوة بين المسلمين المعاصرين
٣٠١	المبحث الثاني : أمة الدعوة
٣٠٣	المسألة الأولى : التوزيع الجغرافي لأمة الدعوة
٣٠٣	أولاً : المسيحيون
٣٠٦	ثانياً : اليهود
٣٠٩	ثالثاً : أديان أخرى وثنية
٣٠٩	رابعاً : الإلحاد
٣١٠	المسألة الثانية : التواصل المعاصر بين اتباع الأديان
٣١٢	الختام "ولي كلمة "
٣١٥	الفهارس

نم بلعم الله وحسن نونبقه

